مصرع التصوف

ويليه

تحذير العباد من أهل العناد

تأليف العلامة

برهان الدين البقاعي

(٨٠٩ - ٨٨٥هـ)

تحقيق وتعليق فضيلة الشيخ

عبد الرحمن الوكيل

رحمه الله

دار القمة

لتوزيع الكتاب والشريط والسي دي

فاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ ت: ٢٠٠٢٢٢٥

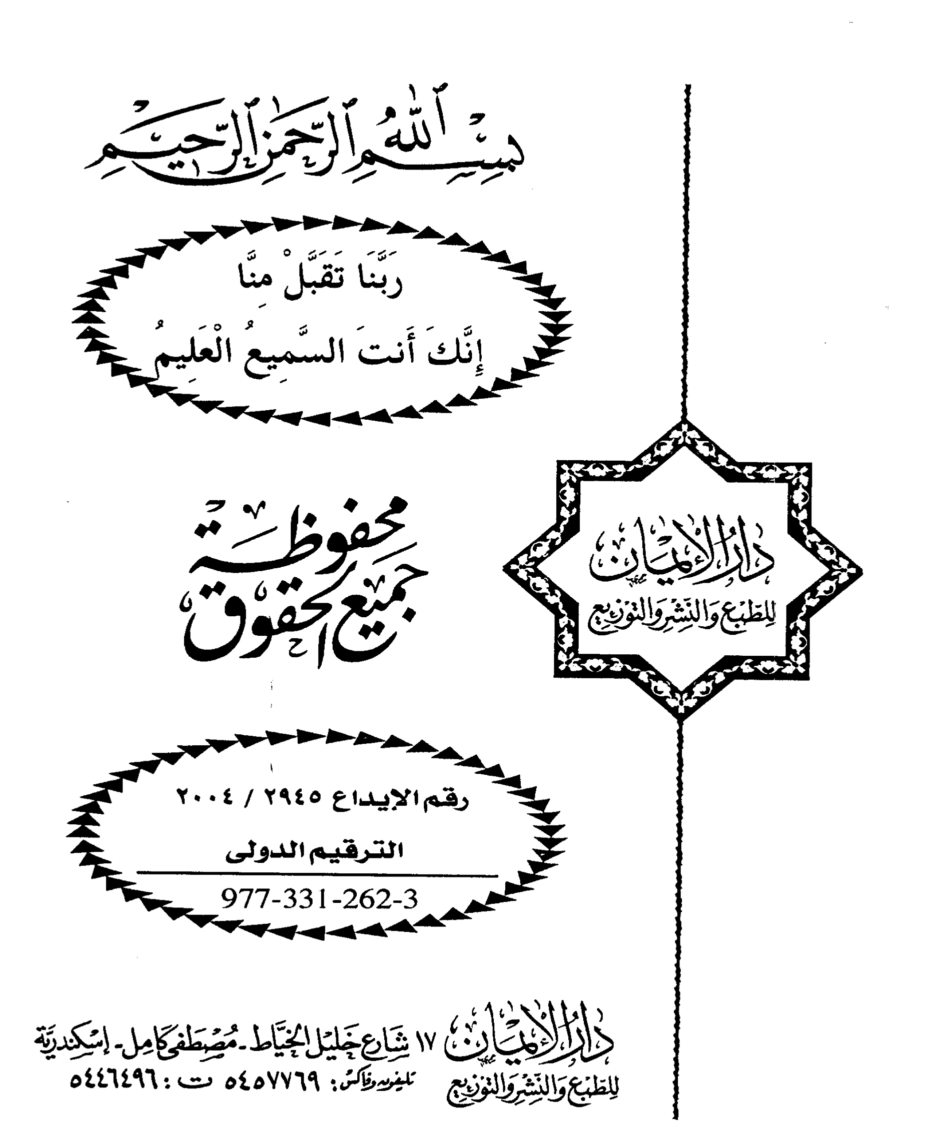
دار الإيمان

للطبع والنشر والتوزيع

إسكندرية ت ٥٤٥٧٧٦٩



مصرع التصوف



بسم الله الرحمن الرحيم

رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا
إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ

دار الإيمان
للطبع والنشر والتوزيع

رقم الإيداع ٢٩٤٥ / ٢٠٠٤
الترقيم الدولى
977-331-262-3

دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع
١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - إسكندرية
تليفون وفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ ت: ٥٤٤٦٤٩٦



مقدمة الكتاب

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق، ليظهره على الدين كله، والصلاة والسلام على عبد الله ورسوله محمد خاتم النبيين، وسيد ولد آدم أجمعين.

وبعد:

فإنه كانت لي بالتصوف صلة، هي صلة العبرة بالمأساة، فهنالك ـ حيث كان يدرج بي الصِّبا في مدارجه السِّحْرِيَّة، وتستقبل النفسُ كلَّ صـرُوفِ الأقدار بالفرحة الطروب، وتستنشي الروح رَيَّا الجمال والحب من كل معاني الحياة ـ هنالك تحت شُفُوف الأسحار الوَرْدِيَّةِ من ليالي القرية الوادعة الحالمة، وفي هيكل عَبِقٍ بغيوم البخور، جَثَمَ على صدره صنمٌ صغيرٌ يعبده كثير من شيوخ القرية، هنالك في مطاف هذه الذكريات الولهى: كان يجلس الصبي بين شيوخ تَغَضَّنَتْ منهم الجباه، وتهدَّلت الجفون، ومشى الهرم في أيديهم خفقات حزينةً راعشة، وفي أجسادهم الهضيمة نحولاً ذابلاً، يَتراءَوْنَ تحت وَصْوصة السراج الخافت أوهام رجاء ضيعته الخيبة، وبقايا آمال عصف بها اليأس.

وتتهدَّج ترانيم الشيوخ تحت السَّحَر ـ نوَّاحا بينها صوت الصبي ـ بالتراتيل الوثنية، وما زال الصبي يذكر أن صلوات ابن بشيش، ومنظومة الدردير كانتا أحب التراتيل إلى أولئك الشيوخ، وما زال يذكر أن أصوات الشيوخ كانت تشرق بالدموع، وتئن فيها الآهاتُ حين كانوا ينطقون من الأولى: «اللَّهم انشلني من أوحال التوحيد!!» ومن الثانية: «وجُد لِي بجمع الجمع منك تفضلاً» يا للصبي الغرير التعس

المسكين!! فما كان يدري أنه بهذه الصلوات المجوسية يطلب أن يكون هو الله هُوِيَّة وماهيَّة وذاتًا وصفةً!! ما كان يدري ما التوحيد الذي يضرع إلى الله أن ينشله من أوحاله!! ولا ما جمع الجمع الذي يبتهل إلى الله أن يمن به عليه!!.

ويشب الصبي، فيذهب إلى طنطا ليتعلم وليتفقه في الدين، وثمت يسمع الكبار من شيوخه يقسمون له، ولصحابه: أن «البدوي» قطب الأقطاب، يصرِّف من شئون الكون، ويدبر من أقداره وغيوبه الخفية!! ويجرؤ الشاب مرة فيسأل خائفًا مرتعدًا: وماذا يفعل الله؟! ويهدر الشيخ غضبًا، ويزمجر حنقًا، فيلوذ الشاب بالرعب الصامت، وقد استشعر من سؤاله وغضب الشيخ أنه لطَّخ لسانه بجريمة لم تُكتب لها مغفرة!! ولم لا؟ والشيخ هذا كبير جليل الشأن والخطر، وما كان يستطيع الشاب أبدًا أن يفهم أن مثل هذا الحِبْرِ الأشيب ـ الذي يسائل عنه الموت ـ يرضى بالكفر، أو يتهوَّك مع الضلال والكذب. فصدق الشابُّ شيخه، وكذَّب ما كان يتلو قبلُ من آيات الله ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾ (سورة يونس: ٣). !! ثم يقرأ الشاب في الكتب التي يدرسها: أن الصوفي فلانًا غسلته الملائكة، وأن فلانًا كان يصلي كل أوقاته في الكعبة، في حين كان يسكن جبل قاف، أو جزائر واق الواق!!! وأن رسول الله ﷺ مدّ يده من القبر وسلم على الرفاعي!! وأن فلانًا عذبته الملائكة؛ لأنه حفظ القرآن والسنة وعمل بما فيهما، ولكنه لم يحفظ كتاب الجوهرة في التوحيد!! وأن مذهبنا في الفقه هو الحق وحده، لأنه أحاديث حذفت أسانيدها!!! ويصدق الشاب بكل هذا، ويؤمن وما كان يمكن إلا أن يفعل هذا.

إذ قال في نفسه: لو لم تكن هذه الكتب حقًا ما درست في الأزهر، ولا درسها هؤلاء الهرمون من الأحبار، ولا أخرجتها المطبعة!! وهل كان يمكن أن يسأل نفسه مثلاً مثل هذا السؤال: أين من الحق البين من كتاب الله هذا الباطل العربيد في هذه الكتب؟! لا فلقد جيء به إلى طنطا ليتفقه في الدين على هؤلاء الشيوخ، وها هو فقه الدين يسمعه من الشيوخ، ويقرؤه في الكتب، وحسبه هذا!!!

وتموج طنطا بالـوفود، وتـعج بالآمِّين بيت الطاغـوت الأكـبـر من كل حـدب، ويجلس الشـاب في حلقة يذكـر فيـها الصوفـية اسم الله بخنَّـات الأنوف، ورجَّات الأرداف، ووثنية الدفوف، وثمَّـتَ يسمع منشد القوم يصيح راقـصًا: «ولي صنم في الدير أعبد ذاته» فتتعالى أصوات الدراويش طروبة الصـيحات: «إيْوَهْ كِدَه اكْفَر، اكْفَر يامْرَبِّي»، ويرى الشابُّ على وجوه القوم فرحًا وثنيًا راقص الإثم بما سمعوا من المنشد الكافر، فيـسأل شيخًا مِـمَّن وفدوا من أهل قريته: يا سيـدي الشيخ، ما ذلك الصنم المعبود؟! فـيزم الشيخ شفـتيه، ثم يجود على الشـاب الواله الحيرة بقوله: «إنْـتَهْ لِسَّهْ صُغَيَّر»!! ويسكت الشاب قليلاً، ولكن الكفر يضج في النعيق، فيسمع المنشد يقيء: «سلكت طريق الدير في الأبدية»، «ومـا الكلب والخنزير إلا إلهنا»، ويطوي الـشاب نفـسه على فـزع وعجب يسـائل الذهول: مـا الكلب؟ ما الخنزير؟ مـا الدير؟! وأنَّى للذهول بأن يجيب؟! ولقد خـشي أن يسأل أحد الشيوخ مادام قد قـيل له: «إنته لسَّه صغـير»، ثم إنه رأى بعض شيوخـه الكبار يطوفون بهـذه الحمآت يشربون «القـرفة» ويهنئون الأبدال والأنجاب والأوتاد بمولد القطب الغوث سيدهم السيد البدوي!!!

وتُكفِّن دورات الفلك عن عمـر الشاب سنوات، فيـصبح طالبًا في كليـة أصول الدين، فيدرس أوسع كتب التوحيد ـ هكذا تُسـمَّى ـ، فيعي منها كل شيء إلا حقيقة التوحيد، بل ما زادته دراستهـا إلا قلقًا حزينًا، وحيرة مسكينة. ويجلس الشاب ذات يوم هو وصديق من أصدقائه مع شيخ صُوفي أمِّي، فيسألهما عن معاني بعض تهاويل ابن عطاء الله السكندري «إرادتك التجريد مع إقامة الله إياك في الأسباب من الشهوة الخفـية، وإرادتـك الأسبـاب، مع إقامـة الله إياك في التجـريد، انحطاط عن الهـمَّة العلية». ويحار الطالبان، ولا يدريان بم يجـيبان هذا الأمي عن هذه الحكم المزعومة ـ وقد عرفـا بعدُ أنها تهدف إلى تقريـر أسطورة رفع التكليف ـ فتمتلئ نفـساهما بالغم المهموم إذ رسبا في امتحان عقده لهما أُمِّي صوفي؟!

ويدور الزمن فيـصبح الشاب طالبًا في شـعبة التوحـيد والفلسفة. ويدرس فـيها التصـوف، ويقرأ في كتاب صـنفه أستاذ من أسـاتذته رأيَ ابن تيميـة في ابن عربي.

فتسكن نفس الشاب قليلاً إلى ابن تيمية، وكان قبل يراه ضالاً مُضِلاً. فبهذا البهتان الأثيم نعته الدردير!!.

وكانت عنده لابن تيمية كتب، بيد أنه كان يرهب مطالعتها، خشية أن يرتاب في الأولياء، كما قال له بعض شيوخه من قبل!! وخشية أن يضل ضلال ابن تيمية.. ويقرأ الشاب، ويستغرق في القراءة، ثم ينعم القدر على الشاب بصبح مشرق يهتك عنه حجب هذا الليل، فيقربه سراه المضنى عند جماعة أنصار السنة المحمدية، فكأنما لقي بها الواحة الندية السلسبيل بعد دَوٍّ ملتهب الهجير. لقد دعته الجماعة على لسان منشئها فضيلة والدنا الروحي الشيخ محمد حامد الفقي إلى تدبر الحق والهدى من الكتاب والسنة، فيقرأ الشاب ويتدبر ما يقرأ، وثَمَّت رُويدًا رُويدًا ترتفع الغشاوة عن عينيه، فيبهره النور السماوي، وعلى أشعته الهادية يرى الحقائق، ويبصر القيم. يرى النور نورًا، والإيمان إيمانًا، والحق حقًا، والضلال ضلالاً، وكان قبل ـ بسحر التصوف ـ يرى في الشيء عين نقيضه، فيؤمن بالشرك توحيدًا، وبالكفر إيمانًا، وبالمادية الصماء من الوثنية روحانية عليا، ويدرك الشاب ـ وهو لا يكاد يصدق ـ أن التصوف دين الوثنية والمجوسية، دين ينسب الربوبية والإلهية إلى كل زنديق، وكل مجرم، وكل جريمة!! دين يرى في إبليس، وفرعون، وعجل السامري، وأوثان الجاهلية، يرى في كل هؤلاء الذين لعنتهم كتب الله، بل لعنتهم حتى العقول، يرى فيهم أربابًا وآلهة تهيمن على القدر في أزله وأبده، دين يرى في كل شيء إلهًا يجب أن يُعْبَد، وربًا يخلق ما يشاء ويختار، دين يقرر أن حقيقة التوحيد الأسمى: هي في الإيمان بأن الله ـ سبحانه ـ عين كل شيء. دين لا تجد فيه فيصلاً بين القِيم، ولا بين حقائق الأشياء، ولا بين الضد وضده، ولا بين النقيض ونقيضه. دين يقول عن الجيف ـ يتأذى منها النتن، وعن الميكروبات تفتك سمومها بالبشرية ـ إنها هي الإله، وسبحان ربنا!! دين يقول عن القاتل، عن السارق، عن الباغي، عن كل وغد تسفل في دناءته، عن كل طاغية بغى في تجبره. يقول عن كل هؤلاء: إنهم تعيُّناتُ الذات الإلهية!! فأي إله هذا

الذي يقتل، ويبغي، ويفسد في الأرض؟ أي إله هذا الذي يدب تحت جنح الليل تتلظى في عينيه وعلى يديه الإثم والجريمة الضارية؟ أي إله هذا الذي يلعق دم الضحايا يُبَرِّدُ به غُلَّته، ويخضب بدماء الأعراض التي سفحها يديه الظالمتين؟ أي إله هذا الذي مشى في أيام التاريخ ولياليه بطشًا وظلمًا وجبروتًا يدمر، ويخرب، ويصنع القصة الأولى لكل جريمة خاتلة؟! ومن يكون إلا إله الصوفية الذي ابتدع أسطورته سلف ابن عربي، وابن الفارض وغيرهما؟؟!.

أيتها البشرية التي تهاب القانون، أو ترهب السماء!! ها هو دين التصوف يناديك مُلِحًا ملهوف النداء: أن تنحدري معه إلى حيث تَتْرَعين من كل خمرة مخمورة، وتتلطخين بكل فسق، وتتمرغين في أوحال الإثم!! وأنتم أيها العاكفون في المساجد: لا حاجة بكم إلى الصلاة والصوم والحج والزكاة، بل لا حاجة بكم إلى رب تحبونه وتخافونه، وترجونه، ولا إلى إله تعبدونه.

لم هذا الكدح والجهاد والنَّصَب والعبودية؟ لم هذا وكل فرد منكم في حقيقته هو الرب، وهو الإله كما يزعم الصوفية!!؟ ألا فاطلقوا غرائزكم الحبيسة، ودعوها تعيش في الغالب والدغل وحوشًا ضارية، وأفاعي فتاكة! وأنتم يا بني الشرق! دعوا المستعمر الغاصب يسومكم الخُسْفَ والهوان، ويُلَطِّخ شرفكم بالضعة، وعزتكم بالذل المهين، ويهيمن على مصائركم بما يهوى بطشه الباغي، وبَغْيُه الظلوم. دعوه يهتك ما تحمون من أعراضٍ، ويدمر ما تشيدون من معال، وينسف كل ما أسستم من أمجاد، ثم الثموا ضارعين خناجره وهي تمزق منكم الحشاشات، واهتفوا لسياطه، وهي تشوي منكم - أذلاءَ - الجلود. فما ذلك المستعمر عند الصوفية سوى ربهم تَعَيَّن في صورة مستعمر.

دعوا المواخير مُفتحة الأبواب، ممهدة الفِجاج. ومَبَاءات البغاء تفتح ذراعيها الملهوفتين لكل شريد من ذئاب البشر، وحانات الخمور تطغى على قدسية المساجد، وأقيموا ذَهَبِيَّ الهياكل للأصنام، وارفعوا فوق الذُّرَى مُنْتِنَ الجِيف، ثم خروا ساجدين

لها، مسبحين باسم ابن عربي وأسلافه وأخلافه. فقد أباح لكم أن تعبدوا الجيفة، وأن تتوسلوا إلى عبادتها بالجريمة!!

ذلكم هو دين التصوف في وسائله وغاياته، وتلك هي روحانيته العليا!!

ألا فاسمعوها غير هيابة ولا وجلة، واصغوا إلى هتاف الحق يهدر بالحق من أعماق الروح: إن التصوف أدنأ وألأم كيد ابتدعه الشيطان لِيُسَخِّر معه عباد الله في حربه لله، ولرسله. إنه قناع المجوسي يتراءى بأنه رباني، بل قناع كل عدو صوفيٍّ العداوة للدين الحق. فتش فيه تجد برهمية، وبوذية، وزرادشتية، ومانوية، وديصانية. تجد أفلوطينية، وغنوصية، تجد فيه يهودية ونصرانية، ووثنية جاهلية، تجد فيه كل ما ابتدعه الشيطان من كفر، منذ وقف في جرأة صوفية يتحدى الله، ويقسم بعزته أنه الذي سيضل غير المخلصين من عباده. تجد فيه كل هذا الكفر الشيطاني، وقد جعل منه الشيطان كفرًا جديدًا مكْحُول الإثم مُتَبَرِّج الغواية، مُتَقَتِّل الفتون، ثم سماه للمسلمين: «تصوف» وزعم لهم وأيده في زعمه القُدامَى والمحدثون من الأحبار والرهبان ـ أنه يمثل أقدس المظاهر الروحية العليا في الإسلام!! أقولها عن بينة من كتاب الله، وسنة خير المرسلين صلوات الله وسلامه عليه، وبعون من الله، سأظل أقولها، لعلِّي أُعين الفريسة التعسة على أن تنجو من أنياب هذا الوحش الملثم بوشاح الدعة الحانية العطوف.

ولكن سلوا الصوفية سودًا وبيضًا، خضرًا وحمرًا، سلوهم: ما رَدُّكم على هذا الصوت الهادر من أعماق الحق؟ سيقولون ما قالت وثنية عاد «إن نراك إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء»، وآلهتهم هي قباب أضرحة الموتى وأعتابها!! دمغناهم بالحق، فراحوا يعوون عواء اللص الحذر، وقع فجأة في قبضة الحارس، وجأروا بالشكوى الذليلة إلى النيابة، فلم تر النيابة فيمن يمسك بالبريء إلا مجرمًا، وشكوا إلى رئيس حكومة سابق، وختموا الشكاة بهذه الضراعة الذليلة: «والله نسأل لمقامكم الرفيع الخير والسؤدد في ظل حامي الدين حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم صان الله عرشه،

وأيد حكومته الرشيدة، وألهمها التوفيق»[١]، فلم ير الرئيس السابق فيمن يثرم أنياب الرقطاء مجرمًا. وطاح الحق ببغي إلاههم وملاذهم حامي دينهم، كما كانوا يلقبونه.

ومازلنا ـ بعون من الله نستلهمه ـ بكتاب الله نتحداهم، وبسنة رسوله ﷺ نحاججهم، والله على كل شيء شهيد، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

سيقول الناعمون ـ من ذوي الألسنة التي استمرأت كلمات الذل والعبودية وليونة النفاق، وممن يتملقون الجماهير على حساب الحق، ويزعمون أنهم لا يحبون إثارة شقاق، أو جدال، ولا الطعن على أحد ـ سيقول هؤلاء: ما هكذا يكون النقد، ولا هكذا يكون البحث العلمي!! لا. أيها المدلَّلون الخانعون للأساطير، فإنا لسنا أمام جماعة مسلمة، فنخشى إثارة الشقاق بينهم، ولو خشى الرسول مثل هذا لمالأ قريشًا على حساب الحق، ولكنه ﷺ أطاع أمر ربه ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ (سورة الحجر: ٩٤).

ووعى قلبه ـ المشرق المؤمن الطهور التقي ـ موعظة ربه فيما قال له العلي الكبير ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ (سورة القلم: ٩). وفيما قال له ﴿وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لَّاتَّخَذُوكَ خَلِيلاً (٧٣) وَلَوْلا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلاً (٧٤) إِذًا لَّأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾ (سورة الإسراء: ٧٣-٧٥). فكان سيد ما يستغفر به الرسول الكريم الأمين ربَّه: «اللَّهم أنت ربي، لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ..»، فكيف بنا نحن الذين أُمرنا أن نجعل الرسول وحده لنا الأسوة؟!

ولسنا كذلك أمام فئة تحترم العقل، بل تزدريه وتحقره، ثم تهب في قحة طاغية الجراءة لتشتم الله، وتذود عن إبليس وفرعون وعباد العجل والوثن، داعية المسلمين إلى اتخاذ هؤلاء أربابًا وآلهة، وسيرد على القارئ عشرات النصوص من فصوص ابن عربي

---

(١) قدموا هذه الشكوى بتاريخ ٤ أغسطس سنة ١٩٥١.

وتائية ابن الفارض شهيدة عليهم بما ذكرت، وابن عربي وابن الفارض قطبا التصوف، وإماما الصوفية المعاصرة. فكيف يعاب علينا أننا ندافع عن دين الله، وأنا نقول للشيطان: إنك أنت الشيطان؟! ماذا نقول عن رجل - وهو ابن عربي - يفتري أدنأ البهتان عن الله، فيصوره في صورة رجل وامرأة يقترفان الإثم، مؤكدًا لأتباعه أن الجسدين الآثمين هما في الحقيقة ذات الله، سبحانه؟! وسبحان رب العزة عما يصف الآثم.

فهل نلازم إذا هتكنا القناع عن وجه هذا الرجل، ليبصره المخدعون به، ليبصروه مِسْخًا ثانيًا للشيطان؟ إننا في ميدان مستعر الأتون، يقاتلنا فيه عدو دنيء يتراءى أنه الأخ الشفيق الحُنُوّ، النديُّ الرحمة، فلا أقل من أن نحاربه بما يدفع ضره وشره، ويحول بينه وبين القضاء على الرمق الذابل من عقائد المسلمين، وبين تشتيت الحشاشة الباقية من الجماعة الإسلامية.

هذا الكتاب: هو في الحقيقة كتابان صنفهما علم من أعلام القرن التاسع الهجري، هو برهان الدين البقاعي، سمي أولهما «تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي»، وسمى الآخر «تحذير العباد من أهل العناد ببدعة الاتحاد»[1]، نقد فيهما ابن عربي وابن الفارض بخاصة، والتصوف المشاكل لدينهما بعامة. ومنهاج البقاعي في النقد يقوم على أصلين:

أولاً - نقل نصوص كثيرة عن «فصوص الحكم» لابن عربي، وعن «التائية الكبرى» لابن الفارض، وقليلاً ما يعلق البقاعي على هذه النصوص، أو يكشف عما فيها من مجافاة لروح التوحيد القرآني. معتمدًا على فطنة القارئ ومعرفته بدينه، فهما كفيلان بإدراك ما في هذه النصوص من كفر ومجوسية، يدركهما القارئ حتى باللمحة الفكرية الهافية.

---

(١) لما كان الكتاب ينقد التصوف نقدًا قاتلاً، فقد سميناه «مصرع التصوف» واعتذر عن مخالفة الأصل في التسمية لطول عنواني الكتابين، ولما في أحدهما من تعريض بالقارئ.

الآخر ـ ذكر فتاوى كثيرة عن أعلام شيوخ القرون: السابع والثامن والتاسع الهجرية، ومما لاحظته: أن المؤلف لم ينقل عن ابن تيمية سوى النزر اليسير جدًا بيد أن هذا مما يجعل للكتاب خطره الكبير في نظر المتصوفة على معتقدهم، إذ ما يستطيعون اتهام أحد ممن ذكرهم البقاعي بالخصومة، كما كانوا يفعلون ـ مفترين ـ بالنسبة إلى الشيخ الإمام ابن تيمية. فهؤلاء الذين أفتوا بكفر ابن عربي وابن الفارض: إما فريق قد ناهض ابن تيمية وخاصمه، ولكنه أدلى معه بدلوه في فضح الصوفية، وإما فريق لم يعرف عنه لا موالاة جلية ولا خصومة صريحة لابن تيمية ـ وإن كانوا فيما يذهبون إليه في مسألة العقيدة يخالفون ابن تيمية ـ فجلهم من أئمة الأشاعرة، وإما فريق كان له جاه ومقام كبيران في التصوف، كعلاء الدين البخاري، وهو أقسى هؤلاء جميعًا حملة على ابن عربي وابن الفارض، ومن دان بدينهما.

عملي في الكتاب: أولاً ـ تحقيق نص الكتاب، وهو إما نقول عن فصوص ابن عربي وتائية ابن الفارض، أو عن كتب علماء نقدوا التصوف. وإما من إنشاء المؤلف. أما ما نقله عن الفصوص: فراجعته على مطبوعة الحلبي بتحقيق الدكتور عفيفي، وجعلتها العمدة في تحقيق نصوص الفصوص، وقد أيقنت من هذه المراجعة أن المؤلف أمين جدًا فيما نقل. بيد أنه كان يترك أحيانًا ما له رحم ماسة بالكشف عن حقيقة معتقد ابن عربي، أو ما لابد منه للربط بين نصوص الفصوص، وأحيانًا كان يسقط منه ـ أو من الناسخ ـ بعض ألفاظ، وكل هذا أثبته عن الفصوص، وجعلته بين قوسين هكذا { }، وقد أشرت في الهامش إلى هذا وإلى أرقام الصفحات التي وردت فيها هذه النصوص حسب ترقيم صفحات فصوص الحكم طبع الحلبي، حتى يسهل على القارئ مراجعة كل ما نقله المؤلف عن الفصوص في مصدره الأصيل.

أما أبيات تائية ابن الفارض، فراجعتها على مرجعين، أحدهما ـ ديوان ابن الفارض طبع بيروت، والآخر ـ شرح تائية ابن الفارض للكاشاني المطبوع على هامش شرح ديوان ابن الفارض المطبوع سنة ١٣١٠هـ في المطبعة الخيرية.

أما ما نقله عن العلماء فقد بذلت كل الجهد في سبيل تحقيق نقوله بمراجعتها في كتب أولئك العلماء، وأشرت إلى أرقام الصفحات التي وردت فيها تلك النقول في مصادرها الأصلية، مثل ما فعلت بما نقل المؤلف عن الشفاء لعياض، والمواقف للإيجي، والملل للشهرستاني وغيرها حتى يسهل أيضًا على القارئ مراجعة آراء هؤلاء العلماء في كتبهم هم.

وقد يسر الله سبحانه، فوجدت بعض ما نقله البقاعي من فتاوى عن العلماء في عصره وقبل عصره مذكورًا في كتاب «العلم الشامخ» للعلامة المقبلي بتحقيق وتعليق العلامة الشيخ رشيد رضا، فراجعت بعض نقول البقاعي عن العلماء الذين لم أعثر على كتبهم في العلم الشامخ، وأثبت زيادة العلم، وجعلتها بين قوسين هكذا { }، ويشهد الله أني لقيت في سبيل ذلك نصبًا كبيرًا، كان من نتائجه أن أصبحت أمانة البقاعي في النقل فوق كل مظنة، وسيكون من آثاره اطمئنان القارئ إلى كل ما نقله البقاعي عن الفصوص والتائية، وكتب العلماء، وما نقل عنهم من فتاوى.

أما ما كان من أسلوب المؤلف: فتركته على حاله، فما صوبت فيه إلا ما تجزم قواعد العربية بخطئه مشيرًا إلى ذلك في الهامش.

ثانيًا ـ ترجمت لمعظم من ذكروا في الكتاب ترجمة مختصرة، ولقيت في سبيل هذا مشقة وجهدًا، سببهما: أن المؤلف كان يذكرهم إما بألقابهم أو كناهم، في حين تذكرهم كتب التراجم بأسمائهم أولاً.

ثالثًا ـ ترجمت لكل فرقة أو نحلة جاء ذكرها في الكتاب ترجمة ذكرت فيها أهم الأصول لتلك الفرقة، أو هذه النحلة، معتمدًا على أصدق المراجع.

رابعًا ـ حققت كل ما ورد في الكتاب من أحاديث، وخرجتها تخريجًا صحيحًا، إذ كان يخطئ المؤلف أحيانًا في نسبتها إلى رواتها.

خامسًا - ولما كانت بعض نصوص الفصوص غامضة تخفي معانيها ومراميها على بعض القـراء، وكذلك بعض أبيـات تائية ابن الفـارض، لما كان ذلـك كذلك: فـقد شرحت في الهامش تلك النصوص وهذه الأبيات، ويشـهد الله ما فهمت في الألفاظ غير مـعانيها، التي لهـا في عرف الصوفيـة، ولا فسرتها إلا بما هو مـقرر عند شراح الفصوص والتائية من الصوفية.

سادسًا - برهنت في كثيـر من المواضع على مخالفة ما ذهب إليه الصـوفية للنقل وللعقل، إذ كان المؤلف يكتفي بإيراد النصوص تاركًا للقارئ الحكم عليها، وهو حكم يجزم به كل من له أدنى فهم لحقيقة التوحيد.

سابعًا - في الكتابين كـثير من مـصطلحات الصوفـية، كالفناء والجـمع، وجمع الجـمع، والقطب، وقاب قـوسين، وغـيرها، وقـد فسـرت في هامش الكتـاب هذه المصطلحات الصوفية معتمـدًا على كتبهم هم، حتى يخلص الكتاب للحق والإنصاف والصدق.

ثامنًا - عنونت لمواضيع الكتـابين، إذ خلا كلاهما إلا من عناوين قليلة وضـعها الناسـخ، أو المؤلف عـلى هامش الكتـابين، ومعـظمهـا ليـست ذات دلالة على مـا وضعت له.

تاسعًا - رقمت ما ورد في الكتـاب من الآيات القرآنية، والرقم الأول يدل على السورة، والثاني على الآية.

ملحـوظة: تشيـر الأرقام الواردة في صلب متن الكـتاب إلى صفـحات النسـخة المصورة التي اعتمدت عليها في نشر هذا الكتاب.

الأصل المطبوع عنه: يملك النسـخة التي عنها نشرنا بالكتـاب سَرِيٌّ جدة الجليل، الشيخ محمـد نصيف. وقد تفضل - كدأبه دائمًا في العـمل على نشر العلم فأعطاها إلى فضـيلة أستاذنا الكبيـر الشيخ محمـد حامد الفقي ليـعمل على نشرها، فتـفضل أستاذنا، ووكل إليَّ أمر تحقيقها والتعليق عليها.

وصف النسخة: وقد عثر على النسخة الخطية الأصلية لكتابي البقاعي، العلامة شيخ العروبة في وقته أحمد زكي، عثر عليها في خزائن القسطنطينية، فنقلها بالتصوير الشمسي في مجلد واحد. ثم نقل عن نسخته المصورة نسخة أخرى بالتصوير الشمسي أيضًا في مجلد واحد وأهداه إلى العالم الجليل الشيخ محمد نصيف.

وقد ورد في الصفحة الأولى من الأصل الذي نشرنا عنه هذا الكتاب ما يأتي:

«نقلت باسم الله هذا الكتاب بالتصوير الشمسي من خزائن القسطنطينية وأضفته إلى مجموعة كتبي التي أودعتها قبة الغوري بالقاهرة باسم الخزانة الزكية وجعلتها وقفًا على العلماء وطلبة العلم، نفع الله بها» ثم يلي ذلك إمضاء «وكتبه أحمد زكي» وورد أيضًا في الصفحة الأولى ما يأتي: «وهذه النسخة المنقولة عنها هدية إلى خادم العلم الإسلامي والعمراني بالحرمين الشريفين الشيخ محمد نصيف، فخر جدة أعانه الله» ثم يلي ذلك إمضاء «أحمد زكي» وتاريخ الإهداء ٥ محرم الحرام سنة ١٣٥٢ الموافق ٣٠ أبريل ١٩٣٣، وقد صورت النسخة المهداة سنة ١٩٣٣م بمطبعة دار الكتب قسم التصوير.

والنسخة مكتوبة بخط فارسي جميل، وناسخها سليمان بن عبد الرحيم. وقد انتهى من نسخها - كما ذكر هو في آخر الكتاب - سنة ٩٤٧هـ. وتقع النسخة في ٨٤ صفحة، وقد كتبت ورقاتها من وجه واحد ومسطرتها تبلغ ٢١ سطرًا، ويقع الكتاب الأول منها، وهو «تنبيه الغبي» في ٥٩ صفحة، والثاني وهو «تحذير العباد» في ٢٣ صفحة.

وقد كتب الشيخ الجليل محمد نصيف على نسخة ما يأتي: «أقول أنا محمد نصيف بن حسين بن عمر نصيف: سألت السائح التركي ولي هاشم عند عودته من الحج في محرم سنة ١٣٥٥ عن سبب عدم وجود ما صنفه العلماء في الرد على ابن عربي، وأهل نحلته الحلولية والاتحادية من المتصوفة، فقال: قد سعى الأمير السيد عبد القادر الجزائري بجمعها كلها بالشراء والهبة وطالعها كلها، ثم أحرقها بالنار،

وقد ألف الأمير عبد القادر كتابًا في التصوف على طريقة ابن عربي. صرح فيه بما كان يلوّح به ابن عربي، خوفًا من سيف الشرع الذي صرع قبله «أبو الحسين الحلاج» وقد سبع كتابه بمصر في ثلاثة مجلدات، وسماه «المواقف في الوعظ والإرشاد» وطبع وقفًا، ولا حول ولا قوة إلا بالله».

شبهة: يقول بعض من لا يستبطنون خبيئة التصوف، ويرسلون النظرة الكاشفة إلى أعماقه: وهل تدين الصوفية المعاصرة بما دان به ابن عربي، وابن الفارض، حتى تحكموا عليهم بما حُكِمَ به على ابن عربي وابن الفارض، أو حتى يصلح هذا الكتاب ردًا عليهم؟! وأقول لهذا السائل: نعم، تدين الصوفية المعاصرة بوحدة الوجود، وبوحدة الأديان، فإنما هو أمر مُبَيّتٌ للدين الحق يتوارثه الصوفية خلفًا عن سلف، ليكيدوا به لهذا الدين الحق. وفي أورادهم دليل ما نقول. وفي تقديسهم لابن عربي وكتابه الفصوص، ولابن الفارض وتائيته حجة على أنهم يدينون بدينهما، فالأول عندهم «الشيخ الأكبر» والثاني: «سلطان العاشقين» ويا طالما قلنا للصوفية المعاصرة: أن تغنم رضاء الله مرة، فتبرأ إليه من ابن عربي، وابن الفارض. بل حتى من كتبهما وأشعارهما قلنا لها ذلك، فكان أن برئت إلى أصنامها ممن يقدم لها النصح ابتغاء وجه الله، واستغاثت بالأحياء، وبالأموات من الطواغيت، حتى لا ينزع الناصح تاج القداسة الزائف عن الشيطان المريد!!.

وقد يقول قائل: وما بالكم تخصون الصوفية بهذا كله؟!

وأقول: بل هو جهادنا الأول؛ ونقتدي في هذا برسولنا وأسوتنا عبد الله ورسوله محمد ﷺ، إذ بدأ دعوته بالدعوة إلى الله وحده، وإلى النهي عن اتخاذ شركاء أو شفعاء من دون الله رب العالمين، بدأ بوحي من الله بدعوة الناس إلى التوحيد الخالص، وإذا ما تمكنت عقيدة التوحيد الخالص من قلب المسلم، جعلته إنسانًا مثاليًا في دينه وخلقه وروحانيته، ودفعت به إلى الحياة بطلاً يعمل باسم الله لتحقيق المثل

العليا للجماعة المسلمة، بل للإنسانية عامة، وجعلت منه وليًا كريمًا للحق والعدل والخير والصدق والسمو والكرامة، وذلك لأنه يحمل قلبًا مؤمنًا لا يحب إلا الله، ولا يرهب غير الله، ولا يتقي غير الله، ولا يرجو إلا ثواب الله، ولا يطيع غير الله ورسوله ﷺ.

أما الصوفية سواء كانت نظرية أم عملية، فقد قامت لتصرف الناس عن عبادة الخالق، إلى عبادة المخلوق. إنسانًا كان أم حيوانًا، ملكًا أم شيطانًا، حيًا أم ميتًا. لتجعل من المسلمين عباد هوى وشهوة وأوثان.

ناج القلب الصادق الإيمان باسم الله يَتَجاوَبْ معك، أَبِنْ له عن أمر الله تجده يتلمس كل سبيل إلى طاعة أمر ربه سبحانه، ناشده باسم الله ما يحب الله تجده طيِّعًا ذلولاً في عزة ونبل وكرم وإيثار. ثم سل القلب الصوفي بعض ما سألت قلب المؤمن، فلن يسمع لك إلا إذا ناجيته باسم طواغيته ابن عربي وابن الفارض والشعراني وأمثالهم، أو باسم أوثانه وأصنامه، من قباب آلهته الموتى.

فنحن إذن نعمل ليكون لله وحده الدين خالصًا، ولتكون قلوب عباده إيمانًا به وحده، وحبًا له وحده، ورجاء فيه وحده، وتقوى له وحده، ولتتوحد الجماعة الإسلامية بهذا الإيمان، وهذا الحب، وهذا الرجاء، وهذه التقوى.

وإلى العلي القدير أضرع أن يجعل عملنا خالصًا لوجهه الكريم، وأن يجعل من المسلمين أمة واحدة تعمل بقول الله سبحانه: ﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾ (سورة الأنبياء: ٩٢).

عبد الرحمن الوكيل

عضو جماعة أنصار السنة المحمدية

البقاعي في سطور

ملخصه عن (شذرات الذهب)، و(الضوء اللامع).

هو الإمام إبراهيم بن عمر بن حسن الرُّباط بن علي بن أبي بكر أبو الحسن برهان الدين البقاعي الشافعي المحدث المفسر العلامة المؤرخ.

ولد سنة ٨٠٩هـ، بقرية خربة روحًا من عمل البقاع، ونشأ بها، ثم دخل دمشق وفيها جود القرآن وجدد حفظه وأفرد القراءات، واشتغل بالنحو والفقه وغيرهما من العلوم.

أخذ عن أساطين عصره، كابن ناصر الدين وابن حجر، وبرع، وتميز، وناظر وانتقد حتى على شيوخه.

وصنف تصانيف عديدة، من أجلِّها:

- (المناسبات القرآنية).
- (عنوان الزمان بتراجم الشيوخ والأقران).
- (تنبيه الغبي بتكفير عمر بن الفارض وابن عربي).

دخل بيت المقدس، ثم القاهرة، وتُوفي بدمشق في رجب سنة (٨٨٥هـ) عن ست وسبعين سنة.

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

خطبة الكتاب

الحمد لله المضلِّ الهاد، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة تضمن الإسعاد، يوم يقود الأشهاد. وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله الداعي إلى سبيل الرشاد. صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين قمعوا أهل العناد، وحكموا سيوفهم في رقاب أهل الفساد، فلم يجسر أحد في زمانهم على إلحاد، بتمثيل، أو تعطيل، أو حلول، أو اتحاد. أبعدنا الله من ذلك أيما إبعاد، وحمانا منه على مر الدهور والآباد.

وبعد: فإني لما رأيت الناس مضطربين في ابن عربي[1] المنسوب إلى التصوف، الموسوم عند أهل الحق بالوحدة، ولم أر من شفى القلب في ترجمته[2] وكان كفره في كتابه الفصوص أظهر منه في غيره، أحببت أن أذكر منه ما كان ظاهرًا، حتى يعلم حاله، فيهجر مقاله، ويعتقد انحلاله، وكفره وضلاله، وأنه إلى الهاوية مآبه ومآله، امتثالاً لما رواه مسلم عن أبي سعيد [الخدري] ﷺ: أن النبي ﷺ قال: «من

---

(١) هو أبو بكر محيي الدين محمد بن علي بن محمد الحاتمي الطائي الأندلسي، ولد بمرسية سنة ٥٦٠ ونشأ بها وانتقل إلى أشبيلية ثم ارتحل وطاف البلدان فطرق بلاد الشام والروم والمشرق، ودخل بغداد، وارتحل إلى مكة، وكانت وفاته سنة ٦٣٨هـ.

(٢) غمط بقوله هذا حق الإمام ابن تيمية - وهو شيخ شيوخ البقاعي، وإليه تنتهي الإمامة في نقد التصوف، والبرهنة العقلية والنقلية على منابذته للحق من الكتاب والسنة، وللبدهيات من العقل.

رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن [لم] يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»[(١)]. وفي رواية [عن عبد الله بن مسعود]: «وليس وراء ذلك من الإيمان مثقال حبة من خردل»، وما أحضر إلى النسخة التي نقلت ما تراه منها إلا شخص من كبار معتقديه، وأتباعه ومحبيه.

عقيدة ابن عربي وكيده للإسلام

وينبغي أن يعلم أولاً أن كلامه دائر على الوحدة المطلقة، وهي: أنه لا شيء سوى هذا العالم، وأن الإله أمر كلي لا وجود له إلا في ضمن جزئياته. ثم إنه يسعى في إبطال الدين من أصله بما يحل به عقائد أهله؛ بأن كل أحد على صراط مستقيم، وأن الوعيد لا يقع منه شيء، وعلى تقدير وقوعه، فالعذاب المتوعد به إنما هو نعيم وعذوبة، ونحو ذلك!!. وإن حصل لأهله ألم فهو لا ينافي السعادة والرضى، كما لم ينافها ما يحصل من الآلام في الدنيا، وهذا يحط عند من له وعي على اعتقاد: أنه لا إله أصلاً، وأنه ما ثَمّ[(٢)] إلا أرحام تدفع وأرض تبلع، وما وراء ذلك شيء.

منهاج الصوفية في الكيد بدعوتهم

وكل ما في كلامه من غير هذا المهيع[(٣)] فهو تستر وتلبيس على من ينتقد عليه، ولا يلقي زمام انقياده إليه، فإنه علم أنه إن صرح بالتعطيل ابتداء بَعُد كل سامع من قبوله فأظهر لأهل الدين أنه منهم، ووقف لهم في أودية اعتقادهم، ثم استدرجهم عند المضائق، واستغواهم في أماكن الاشتباه، وهو أصنع الناس في التلبيس، فإنه يذكر أحاديث صحاحًا، ويحرفها على أوجه غريبة، ومناحٍ عجيبة، فإذا تدرج معه

---

(١) مسلم وأبوداود والترمذي وابن ماجه.
(٢) في الأصل: مائم.
(٣) الطريق الواضح.

من أراد الله ـ والعياذ به ـ ضلاله، وصل ـ ولابد ـ إلى مراده من الانحلال من كل شرعة، والمباعدة لكل ملة. وخواص أهل هذه النحلة يتسترون [٣] بإظهار شعائر الإسلام، وإقامة الصلاة والصيام، وتمويه الإلحاد بزي التنسك والتقشف، وتزويق الزندقة بتسميتها: بعلم التصوف، فهو ممن أشار إليه النبي ﷺ بقوله: «**يحقر أحدكم صلاته مع صلاته، وصيامه مع صيامه، يقرءون القرآن، لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية**»(١).

وقد أصَّل لهم غويُّهم هذا كما صرح به في الفص النوحي: أن الدعوة إلى الله مكر!! ونسب ذلك إلى الأنبياء عليهم السلام، فقال: ادعوا إلى الله. فهذا عين المكر.. إلى آخر كلامه.

وهذا هو السر في تنسكهم. على أنهم قد استغنوا في هذا الزمان عن التنسك؛ لانقياد أهله بغير ذلك، وقد يستدرجهم الله وأمثالهم ـ ممن يريد ضلاله ـ بإظهار شيء من الخوارق على أيديهم، كما يظهره الله على يد الدجال، وأيدي بعض الرهبان، ليتبين الموقن من المرتاب.

مثالهم في زندقتهم

وقد ضربوا ـ لتصحيح زندقتهم ـ مثالاً مكروا فيه بمن لم ترسخ قدمه في الإسلام، ولا خالط أنفاس النبوة، حتى صار يدفع الشبه. حاصل ذلك المثال: أنهم يصلون إلى الله بغير واسطة المبعوث بالشرع(٢)، فتم لهم المكر، وتبعهم في ذلك أكثر الرعاع، ولم يبالوا بخرق الإجماع، وذلك المثال: أن ملكًا أقام على بابه سيافًا، وقال

---

(١) من حديث رواه البخاري ـ واللفظ له ـ ومسلم وأبوداود والنسائي.

(٢) قال ابن عربي: «علماء الرسوم يأخذون خلفًا عن سلف إلى يوم القيامة، فيبعد النسب. والأولياء يأخذون عن الله ألقاه في صدورهم» المناوي ص (٢٤٦).

له: من دخل بغير إذنك فاقتله، وقال لغيره: أذنت لك في الدخول متى شئت، فإذا دخل الغير فقد أصاب، وإن قتله السياف فقد أصاب. وعنوا بالسياف: الشارع. فما أفادهم مثالهم مع زندقتهم به شيئًا. فإنهم اعترفوا فيه بإباحة دمائهم، وهو قصد أهل الشريعة، ومن يعتقد أن لأحد من الخلق طريقًا إلى الله من غير متابعة محمد ﷺ فهو كافر من أولياء الشيطان بالإجماع، فإن رسالته ﷺ عامة ودعوته شاملة.

احتجاج الصوفية بقصة الخضر

ولا حجة لهم في قصة الخضر مع موسى عليهما السلام، للفرق بخصوص تلك الرسالة، مع أن الخبر بعلم الخضر جاء من الله تعالى[1] إلى موسى عليه السلام، فأين

---

(١) يقول ابن تيمية «ولا حجة فيها ـ أي في قصة الخضر ـ لوجهين:

أحدهما: أن موسى لم يكن مبعوثًا إلى الخضر، ولا كان يجب على الخضر اتباع موسى، فإن موسى كان مبعوثًا إلى بني إسرائيل، ولهذا قال الخضر لموسى: إنك على علم من علم الله علمك الله إياه، وأنا على علم من الله علمنيه لا تعلمه أنت. ومحمد رسول الله إلى جميع الثقلين فليس لأحد الخروج عن مبايعته ظاهرًا وباطنًا، ولا عن متابعة ما جاء به من الكتاب والسنة في دقيق ولا جليل، لا في العلوم، ولا في الأعمال. وليس لأحد أن يقول له كما قال الخضر لموسى. وأما موسى فلم يكن مبعوثًا إلى الخضر.

الثاني: إن قصة الخضر ليس فيها مخالفة للشريعة. بل الأمور التي فعلها تباح في الشريعة إذا علم العبد أسبابها كما علمها الخضر، ولهذا لما بين أسبابها لموسى وافقه على ذلك، ولو كان فيها مخالفة للشريعة لم يوافقه بحال. فإن خرق السفينة مضمونه: أن المال المعصوم يجوز للإنسان أن يحفظه لصاحبه بإتلاف بعضه، فإن ذلك خير من ذهابه بالكلية، كما جاز للراعي على عهد النبي ﷺ أن يذبح الشاة التي خاف عليها الموت.

ـ وقصة الغلام مضمونها: جواز قتل الصبي الصائل ولهذا قال ابن عباس: «وأما الغلمان فإن كنت تعلم منهم ما علمه الخضر من ذلك الغلام فاقتلهم وإلا فلا. وأما إقامة الجدار ففيها فعل المعروف بلا أجرة مع الحاجة، إذا كان لذرية قوم صالحين» باختصار عن مجموعة الرسائل والمسائل (جـ ٤ ص ٦٧). وأقول: على فرض أن في القصة مخالفة الباطن للظاهر. فهذا بالنسبة إلى شريعتين، شريعة الخضر وشريعة موسى. =

هي من دعاويهم[1]؟ ولا شبهة عليها، فضلاً عن دليل، بل هي مصادمة للقواطع، ومن صادم القواطع انقطعت عنقه، ولو بلغ في الزهد والعبادة أقصى الغايات ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ (٢) عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ (٣) تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً﴾ (سورة الغاشية: ٢-٤). الآيات. ولو وقعت منهم الخوارق، فإنها شيطانية. قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ (سورة الزخرف: ٣٦). ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ (سورة الأنعام: ١٢١).

القول في صرف الكلام عن ظاهره

وسميت هذه الأوراق: تنبيه الغبي على تكفير ابن عربي، وإن شئت فسمها: النصوص من كفر [٤] الفصوص، لأني لم أستشهد على كفره وقبيح أمره إلا بما لا ينفع معه التأويل من كلامه، فإنه ليس كل كلام يقبل تأويله، وصرفه عن ظاهره. وذلك يرجع إلى قاعدة الإقرار بشيء وتعقيبه بما يرفع شيئًا ما من معناه، ولا خلاف عند الشافعية في أنه إن كان مفصولاً لا يقبل، وأما إذا كان موصولاً ففيه خلاف. ومن صورة ما لا ينفع فيه الصرف عن الظاهر كما لو أقر ببيع، أو هبة، ثم قال: كان ذلك فاسدًا، فأقررت بظني الصحة، فإنه لا يُصَدَّق في ذلك.

حكم من ينطق بكلمة ردة

ونقل الشيخ سراج الدين بن الملقن في العمدة على المنهاج والزركشي في التكملة عن إمام الحرمين، أنه قال في أوائل الإيمان: «قال الأصوليون: لو نطق بكلمة الردة،

= ـ أما الأمر بالنسبة إلى الخضر فكان ما فعله هو الظاهر في شريعته، فلم يخالف ظاهر ما فعل باطن ما به أمر. فليس إذن ثمة باطن خالف ظاهرًا، أما دعوى الصوفية فتفتري جواز مخالفة الباطن للظاهر في الشريعة الواحدة.

(١) في الأصل: دعا.

وزعم أنه أضمر تورية كفر ظاهرًا وباطنًا» قال الإمام الغزَّالي[١] في البسيط بعد حكايته أيضًا عن الأصوليين: «لحصول التهـاون منه، وهذا المعنى ـ يعني التهاون ـ لا يتحقق في الطلاق، فاحتمل قـبول التأويل بإطلاقه». وسيأتي ما يـشهد لذلك من نقل شيخ الإسلام الشيخ زين الدين العـراقي عن العلامة علاء الدين القـونوي مُحَسِّنًا له، على أن بعض العلماء غلب جانب الحرمة لله ولرسله فمنع التأويل مطلقًا.

قال القاضي أبو الفـضل عياض[٢] المالكي في كتـابه (الشفاء)، وهو الذي تلقـته الأمة بالقبول، وتدارسوه في الارتحال والحلول[٣] ـ في القسم الرابع منه: «فصل: الوجه الرابع: أن يأتي من الكلام بمـجمل، ويلفـظ من القول بمشـكل يمكن حمـله على النبي ﷺ، أو غيره، أو يتردد في المراد به من سلامته من المكروه، أو شره، فههنا مُتَرَدَّد النظر، وحيرة العبر، ومظنة اختلاف المجـتهدين، ووقفة استبراء[٤] المقلدين؛ ﴿ لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ ﴾ (سورة الأنفال: ٤٣)، فمنهم من غلب حرمة النبي ﷺ، وحمى حمى عرضه، فجسر على القتل، ومنهم من عظم حرمة الدم»[٥].

---

(١) لقب الغزالي في التاريخ الذي صنعـته الأهواء بالإمام، وغولي فيه حتى لقب بحـجة الإسلام. أما هو في التاريخ الذي يستمد من الحق قصصه وعبره. ويشهد بصدقه كتبه. فليس من هذه الألقاب السحرية في شيء. بما خلفه في كتبه من تراث هو أرجاس من الباطنية، والصوفية، والفلاسفة، وفيه ما يناقض أصول الدين الذي لقب هو بأنـه حجته وإمـامه. يقول ابن تيـمية عنه ـ وقولـه عن بينة «ولهذا صنف الكتب المضنون بها على غير أهلها. وهي فلسفة محضة سلك فيها مسلك ابن سينا» ثم يقول عن كتابه المضنون به على غيـر أهله «وهو فلسفة محـضة. قول المشركين من العـرب خير منه، دع قول الـيهود والنصارى» (النـبوات لابن تيمـية ص ٨٢-٨١) وقال عنه أخـص أصحابه أبو بكر بن العـربي الفقـيه المالكي «شيخنا أبو حامد دخل في بطن الفلاسفة، ثم أراد أن يخـرج منها فما قدر» والغزالي نفسه يقر في كتابه التأويل: بأنه رجل رديء البضاعة في الحديث!!

(٢) ولد بمدينة سبتية سنة (٤٧٦هـ) وتوفي بمراكش سنة (٥٤٤هـ)..

(٣) ليس للشفـاء هذه القيمـة التي مجده بها البـقاعي. قال الحـافظ الذهبي عنه: إنه محشـو بالأحاديث الموضوعة والتأويلات الواهية الدالة على قلة تفقده مما لا يحتاج إليه قدر النبوة.

(٤) في الأصل: استبر. والتصويب من الشفاء.

(٥) ص ٢٥٥ جـ٢ الشفاء، ط الآستانة سنة ١٢٩٠هـ.

بيان ما هو من المقالات كفر

وقال في فصل بيان ما هو من المقالات كفر: «كل مقالة صرحت بنفي الربوبية، أو الوحدانية، أو عبادة أحد غير الله، أو مع الله، فهي كفر، كمقالة الدهرية[١]، وسائر فرق {أصحاب}[٢] الاثنين {من الديصانية[٣] والمنانية[٤]، وأشباههم من الصابئين[٥].

---

(١) يقول عنهم الحميري في كتابه الحور العين ص١٤٣: «إنهم القائلون بقدم العالم وقدم الدهر، وتدبيره للعالم وتأثيره فيه، وأنه ما أبلى الدهر من شيء أحدث شيئًا آخر» ويتحدث الشهرستاني عنهم في الملل، فيقول عنهم: «أنكروا الخلق والبعث والإعادة، وقالوا بالطبع المحيي، والدهر المفني، وهم الذين أخبر عنهم القرآن المجيد ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ﴾ (سورة الجاثية: ٢٤)، إشارة إلى الطبائع المحسوسة في العالم السفلي، وقصر الحياة والموت على تركيبها وتحللها، فالجامع هو الطبع، والمهلك هو الدهر» (ص٢٥٩ جـ٢ ط توفيق).

(٢) ما بين هذين { } ساقط من الأصل. وأثبته نقلاً عن الشفاء.

(٣) هم أصحاب ديصان القائلون بأصلين: النور والظلام، فالأول يصنع الخير قصدًا واختيارًا، والثاني يفعل الشر طبعًا واضطرارًا، ويزعمون أن سمع النور وبصره وسائر حواسه شيء واحد، فسمعه هو بصره، وبصره هو حواسه» انظر جـ٢ ص٨٩ من (الملل والنحل).

(٤) أصحاب ماني بن فاتك الذي ظهر في عهد سابور بن أزدشير. وضع دينًا بين المجوسية والنصرانية، وزعم أن العالم مركب من أصلين قديمين نور وظلمة. الأول مصدر الخير، والثاني مصدر الشر. ويدين ماني بأن الظلام امتزج بالنور امتزاجًا كليًا في هذا الوجود، ولا يمكن أن ينفصل النور عن الظلام إلا بعد أن يفنى هذا العالم، ولهذا حرم الزواج على أتباعه حتى يبيد النوع الإنساني، فيستطيع النور الخلاص من الظلام، ولهذا قتله الملك. ودعوة ماني ذات نزعة تشاؤمية سوداء، شديدة الغلو في الحث على الزهد والحرمان.

(٥) اختلف في شأن الصابئة. فالمسعودي يرى أنهم عبدة الكواكب، فيقول في المروج - وهو بصدد الحديث عن أحد ملوك الفرس: «وظهر في سنة من ملكه رجل يقال له: بوداسف أحدث مذهب الصابئة، وقال: إن مجالي الشرف الكامل، والصلاح الشامل. ومعدن الحياة في هذا السقف المرفوع «يعني السماء» وأن الكواكب هي المدبرات والواردات والصادرات» مروج الذهب جـ١ ص٢٢٢ ويقول عنهم الحميري في الحور العين ص١٤١ «وقال الصابئون: شيئان قديمان: نور وظلام، فالنور عالم، والظلام جاهل. وقيل: إن الصابئين قوم يعبدون الملائكة. وقيل: إن الصابئين قوم يخرجون من دين إلى دين» =

والنصارى والمجوس[1] [والذين أشركوا بعبادة الأوثان، أو الملائكة، أو الشياطين، أو الشمس، أو النجوم، أو النار، أو أحد غير الله»[2]، ثم قال: «وكذلك من أقر بالوحدانية، وصحة النبوة، ونبوة نبينا عليه السلام، ولكن جوز على الأنبياء الكذب فيما أتوا به. ادعى في ذلك المصلحة بزعمه، أو لم يدعها ـ فهو كافر بإجماع، كالمتفلسفين، وبعض الباطنية[3] والروافض[4]، وغلاة المتصوفة، وأصحاب الإباحة[5]، فإن هؤلاء زعموا أن ظواهر الشريعة [٥] وأكثر ما جاءت به الرسل من الأخبار عما

= ويقول الرازي في اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص٩٠: «إنهم قوم يقولون: إن مدبر هذا العالم وخالقه هذه الكواكب السبعة والنجوم، فهم عبدة الكواكب» ويقول الشهرستاني في الملل والنحل «ذكرنا أن الصبوة في مقابل الحنفية. وفي اللغة: صبا الرجل إذا مال وزاغ، فبحكم ميل هؤلاء «يعني الصابئة» عن سنن الحق، وزيغهم عن نهج الأنبياء، قيل لهم: الصابئة، وإنما مدار مذهبهم على التعصب للروحانيين».

ويقول في موضع آخر «ومنهم ـ أي من الناس ـ من يقول بالمحسوس والمعقول والحدود والأحكام، ولا يقول بالشريعة والإسلام، وهم الصابئة» وانظر القرطبي جـ١ ص٣٨٠، وابن خلدون جـ١ ص ١١٦.

(١) هم الثنويون من الفرس الذين يثبتون أصلين مدبرين قديمين يقتسمان الخير والشر. انظر الملل والنحل للشهرستاني جـ٢ ص ٥٩ ط صبيح، والحور العين للحميري ص١٤٢، واعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي ص٨٦.

(٢) ص (٢٦٨ جـ ٢) الشفاء.

(٣) بل كل الباطنية، فما من باطني إلا وهو يبطن البغضاء لله ورسوله، وأولى الناس بهذا اللقب هم الصوفية.

(٤) يقول الأشعري في كتابه المقالات «وإنما سموا رافضة لرفضهم إمامة أبي بكر وعمر، وهم مجمعون على أن النبي ﷺ نص على استخلاف علي بن أبي طالب باسمه وأظهر ذلك وأعلنه، وأن أكثر الصحابة ضلوا بتركهم الاقتداء به بعد وفاة النبي ﷺ» (ص٨٧). ويقول ابن تيمية «فهذا اللفظ ـ يعني الرافضة ـ أول ما ظهر في الإسلام لما خرج زيد بن علي بن الحسين في أوائل المائة الثانية في خلافة هشام بن عبد الملك، واتبعه الشيعة، فسئل عن أبي بكر وعمر، فتولاهما وترحم عليهما، فرفضه قوم. فقال: رفضتموني، رفضتموني، فسموا: الرافضة» ص ٢٥ ط مجموعة الرسائل الكبرى. وانظر (ص١٨٤) من الحور العين ففيه تفصيل ما دار بين الرافضة وبين زيد من محاجة في شأن أبي بكر وعمر.

(٥) هم صنفان. صنف كانوا قبل دولة الإسلام كالمزدكية، وصنف ظهروا في الإسلام. وهم كذلك =

كان ويكون من أمور الآخرة والحشر والقيامة والجنة والنار، ليس منها شيء على مقتضى لفظها، ومفهوم خطابها، وإنما خاطبوا بها الخلق على جهة المصلحة، إذ لم يمكنهم التصريح لقصور أفهامهم(١)؛ فَمُضَمَّن(٢) مقالاتهم إبطال الشرائع، وتعطيل الأوامر والنواهي، وتكذيب الرسل والارتياب فيما أتوابه.. وكذلك نكفر من ذهب مذهب بعض القدماء في أن [في](٣) كل جنس من الحيوان نذيرًا ونبيًا من القردة والخنازير والدواب والدود [ويحتج بقوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾](٤)

= صنفان: بابكية، ومازيارية. والأول أتباع الخرّمي الذي ظهر في الجبال بناحية أذربيجان، وكثروا واستباحوا المحرمات وقتلوا الكثير من المسلمين، وأما المازيارية فهم أتباع مازيار. وكانت لهم ليلة يجتمعون فيها على الخمر والزمر، رجالهم ونساؤهم، فإذا طفئت السرج افتض الرجال النساء.. انتهى مختصرًا عن مختصر الفرق بين الفرق (ص١٦٢)، وانظر (ص٧٤) من الاعتقادات للرازي وص(٣١) من كشف أسرار الباطنية للحمادي. ولعله لقب عام يصدق على كل طائفة تستبيح لنفسها ما حرمه الله سبحانه، ولعل القراء على ذكر مما نشرته الصحف عن إحدى الطرق الصوفية التي استباح شيخها لنفسه أعراض أتباعه رجالاً ونساءً، مما يؤكد لهم أن كل طريقة صوفية: إنما هي امتداد لفرقة سابقة ناهضت الإسلام، ونابذت شرعته.

(١) يقول ابن سينا: «أما أمر الشرع فينبغي أن يعلم فيه قانون واحد، وهو أن الشرع والملل الآتية على لسان نبي من الأنبياء يرام بها خطاب الجمهور كافة. ثم من المعلوم الواضح أن التحقيق الذي ينبغي أن يرجع إليه في صحة التوحيد من الإقرار بالصانع موحدًا مقدسًا - ممتنع إلقاؤه إلى الجمهور. ثم لم يرد في القرآن من الإشارة إلى هذا الأمر الأهم شيء، ولا أتى بصريح ما يحتاج إليه من التوحيد بيان مفصل، وإذا كان الأمر في التوحيد هكذا، فكيف فيما هو بعده من الأمور الاعتقادية» باختصار عن رسالة الأضحوية لابن سينا من (ص٤٤).

وهكذا يدين الفلاسفة ومخانيثهم الصوفية بأن ليس في القرآن ما يهدي النفس إلى التوحيد أو يبين للفكر ما يجب اعتقاده في الله، وغير هذا من الأمور التي هي قوام الدين وملاكه. يدينون بهذا الإلحاد، ويقررونه في كتبهم في جرأة بالغة السفه والقحة والجحود بآيات الله التي تقرر في جلاء وإشراق ما يجحد به الفلاسفة.

(٢) في الأصل: فمضمون، وهي كما أثبتها في الشفاء.

(٣) ساقطة من الأصل. وأثبتها عن الشفاء.

(٤) القائلون بهذا هم الحائطية أتباع أحمد بن حائط، أحد أصحاب النظام انظر (ص٢٠) من كتاب الفرق الإسلامية للأستاذ محمود البشبيشي. وما بين هذين [ ] أثبته عن الشفاء.

(سورة فاطر: ٢٤). إذ ذلك يؤدي إلى أن توصف أنبياء هذه الأجناس بصفاتهم المذمومة، وفيه من الإزراء على هذا المنصب المنيف ما فيه، مع إجماع المسلمين على خلافه، وتكذيب قائله»[١] انتهى.

قلت: فكيف بمن يدعي أن الإله عين كل شيء من ذلك[٢]؟!

«وكذلك وقع الإجماع على تكفير كل من دافع نص الكتاب، أو خص[٣] حديثًا مجمعًا على نقله، مقطوعًا به، مجمعًا على حمله على ظاهره، كتكفير الخوارج بإبطال الرجم؛ ولهذا نكفر من دان بغير ملة المسلمين من الملل، أو توقف فيهم أو شك، أو صحح مذهبهم، وإن أظهر مع ذلك الإسلام واعتقده، واعتقد إبطال كل مذهب سواه، فهو كافر بإظهاره[٤] ما أظهر من خلاف[٥] ذلك» انتهى.

قلت : فكيف بمن يقول: إن جميع الخلق من أهل الملل وغيرها على صراط مستقيم[٦]، وأن فرعون مات طاهرًا مطهرًا[٧] بعد النص القطعي على أنه من أهل النار بقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴾ (سورة يونس: ٨٣). وقوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴾ (سورة غافر: ٤٣).

---

(١) ص ٢٩٦، ٢٧٠ جـ٢ من الشفاء.

(٢) أي من القردة والخنازير والدواب والدود التي كفر القاضي عياض من يزعم النبوة لشيء منها، وافتراء أن الإله عين كل شيء من هذه وغيرها، هو دين ابن عربي وأحلاس زندقته. لإيمانه بوحدة الوجود.

(٣) كذا بالأصل. وبصلب الشفاء أيضًا، ولكن على هامش الشفاء ط الآستانة تصويب هو «أو نص حديث مجمع على نقله مقطوع به، مجمع على حمله على ظاهره» وهو هكذا في الشفاء. ط المطبعة الأزهرية بشرح القارئ. وهذا هو الصواب. بدليل ما كفر به الخوارج، وهو إبطالهم للرجم، والرجم إنما نصت عليه السنة لا القرآن فتكون العلة في تكفير القاضي لهم هي مخالفتهم لنص حديث.

(٤) في الأصل: وما. والتصويب من الشفاء.

(٥) ص ٥١٠ جـ ٤ ط المطبعة الأزهرية بشرح القارئ.

(٦) هذا دين ابن عربي لإيمانه بوحدة الأديان.

(٧) سيأتي النص بلفظه.

وقال[١]: إن كل عابد شيئًا فهو عابد لله، وحرَّف ما أُخبِر به عن عذاب قوم نوح وهود ونحوهم بما سيأتي من أن ما حَلَّ بهم أعقبهم راحة وعذوبة، وأن الله تعالى كان ناصرهم على أنبيائه، فإن العداوة ما كانت إلا بينهم وبينهم؟!

قال[٢]: «وكذلك نقطع بتكفير كل من كذب وأنكر قاعدة من قواعد الشرع»[٣]. ثم قال: «وأجمع فقهاء بغداد أيام المقتدر من المالكية، وقاضي قضاتها أبو عمرو المالكي على قتل الحلاج[٤] وصلبه لدعواه الإلهية، والقول بالحلول، وقوله: أنا الحق، مع تمسكه في الظاهر بالشريعة، ولم يقبلوا توبته، وكذلك حكموا في ابن أبي الغراقيد[٥].

---

(١) أي ابن عربي.

(٢) أي القاضي عياض.

(٣) ص ٢٧٢ جـ ٢ الشفاء، ط الآستانة.

(٤) هو الحسين بن منصور ولد سنة (٢٤٤هـ) وهلك مصلوبًا سنة (٣٠٩). وفي عصره تم انتقال التصوف من جانبه العملي إلى جانبه النظري. فبدأ الصوفية يتحدثون عن ماهية الإله، وعن حقيقة العلاقة التي تربط الإنسان بالله: وقد آمن الحلاج بثنائية الطبيعة الإلهية باللاهوت والناسوت، وآمن بحلول اللاهوت في الناسوت. والحلاج في هذا متأثر بالمسيحيين السريان الذين استعملوا اللاهوت والناسوت للدلالة على طبيعتي المسيح. يقول في الطواسين (ص١٣٤):

أنا من أهوى، ومن أهوى أنا	نحن روحان حللنا بدنا
فإذا أبصرتني، أبصرته	وإذا أبصرته أبصرتنا

ويقول في (ص٥١) «أنا الحق، وصاحبي وأستاذي إبليس وفرعون».

(٥) هو محمد بن علي أبو جعفر الشلمغاني. كان يعتقد أنه إله الآلهة، وأن الله سبحانه يحل في كل شيء على قدر ما يحتمل، وأنه قد حل في آدم، وفي إبليس، وأن الله تعالى إذا حل في جسد أظهر من القدرة والمعجزة ما يدل على أنه هو الله له كتاب اسمه الحاسة السادسة، صرح فيه برفض الشريعة وإباحة اللواط، وزعم أنه إيلاج نور الفاضل في المفضول، ولذا أباح أتباعه نساءهم له، طمعًا في إيلاج نوره فيهن. وكان يسمى محمدًا وموسى بالخائنين، زعمًا منه أن هارون أرسل موسى، وأن عليًا أرسل محمدًا فخاناهما. صلب في خلافة الراضي سنة (٣٢٢) انظر الكامل لابن الأثير جـ٦ ص٢٤١، والشذرات جـ٢ ص٢٩٣، ومختصر الفرق ص١٦٠.

وكان على {نحو}[١] مذهب الحلاج - بعد هذا أيام الراضي وقاضي قضاة بغداد يومئذ أبو الحسين بن أبي عمر المالكي»[٢] انتهى.

قلت: فكيف بمن يقول صريحًا: إن الخلق هو الحق[٣]، والحق هو الخلق. والحق هو الإنسان الكبير، وهو حقيقة العالم وهويته؟!

وقال شيخ الإسلام الشيخ محيي الدين النووي الشافعي في كتاب الردة الروضة[٤] مختصر الرافعي. قال المتولي: «من اعتقد قدم العالم، أو حدوث {٦} الصانع - إلى أن قال - أو أثبت له الانفصال، أو الاتصال، كان كافرًا» [٥] انتهى.

---

(١) ساقطة من الأصل. وأثبتها عن الشفاء.

(٢) ص ٢٨٢ جـ٢ الشفاء.

(٣) يعني الصوفية بالحق: الله تبارك وتعالى.

(٤) لعله سقط حرف «من» قبل لفظ الروضة.

(٥) في التصريح بنفي الاتصال والانفصال معًا في آن واحد، وعن ذات واحدة خلل منطقي. فهما يتقابلان تقابل السلب والإيجاب، فيلزم من انتفاء أحدهما ثبوت الآخر. وفيهما أيضًا إجمال واشتباه، فقد يعني بالانفصال أنه سبحانه بائن من خلقه مستو على عرشه، ليس كمثله شيء. وهذا حق يؤمن به من أسلم قلبه لله، ووحده توحيدًا صادقًا في ربوبيته وآمن بأسمائه وصفاته كما هي في القرآن والسنة. وقد يعني بالانفصال أنه سبحانه لا يتصل بالعالم صلة خلق أو تدبير، أو علم منه سبحانه، أعني نفي كونه خالقًا عليمًا يدبر الأمر، أو أنه سبحانه ليس لإرادته أو قدرته أثر في مقادير الوجود، وغير ذلك مما يدين به الفلاسفة. ومرادهم منه نفي الخالق القادر المريد المختار. وهذا كفر يجحد بالربوبية والإلهية.
- وكذلك الاتصال: فقد يراد به أنه سبحانه يدبر الكون، ويصرف الليل والنهار، ويسخر الشمس والقمر، ويحيط علمه بكل شيء كليًا كان أو جزئيًا، وتشمل قدرته على شيء، وغير هذا مما يشهد بكمال الربوبية. وهذا حق لا يتم الإيمان إلا به؛ وقد يعني به مفهومه الصوفي، أي أنه سبحانه حالٌّ في كل شيء، أو متحد بكل شيء، أو أنه عين كل شيء، أو أنه هو الوجود الساري في كل موجود، ومن يدين بهذا فهو زنديق، أو مجوسي، أو بتعبير أدق: صوفي. فالصوفية مرادفة لكل ما يناقض الإيمان الحق، والتوحيد الحق. لذا يجب على كل من يخبر عن الله أو صفاته أو أسمائه أن يلتزم حدود ما أخبر الله به عن نفسه، وأخبر الرسول به عن ربه، وإلا تزندق، أو تمجس كالصوفية، وألحد كالفلاسفة، وضل كالمتكلمين؛ ألم تر إلينا نحن البشر كيف نعيب فلانًا بأنه لم يكن =

قلت: فكيف بمن يصرح بأنه [١] عين كل شيء؟! قال: «والرضى بالكفر كفر».

قلت: فكيف بمن يُصَوِّب كل كفر، وينسب ذلك التصويب إلى نقل الله تعالى له عن نبيه هود عليه السلام؟

ويقول: إن الضلال أهدى من الهدى؛ لأن الضال حائر، والحائر دائر حول القطب[٢] والمهتدي سالك في طريق مستطيل، فهو بعيد عن القطب؟! وسترى ذلك كله في عباراته[٣] صريحًا.

ثم نقل الشيخ محيي الدين النووي عن الحنفية ـ مرتضيًا له ـ قائلاً: «إن إطلاق أصحابنا يقتضي الموافقة عليه. أنه إذا سخر بوعد الله تعالى، أو بوعيده كَفَر، ولو قال: لا أخاف القيامة ــ كَفَرَ» انتهى.

= دقيق التعبير عن المذهب الفلسفي أو الأخلاقي، أو الفني لفلان، أو لم يكن مهذبًا فيما تحدث به عن فلان، أو خاطب به فلانًا، بل قد نذهب في مذمته كل مذهب، حتى نتهمه بالعي والفهاهة والسفه، فكيف ـ ولله المثل الأعلى ـ نطلق للقلم العنان فيما يكتب عن الله، مما يصوره له الأفن والوهم عن ذات الله وصفاته؟ وكيف نستبيح ـ سادرين ـ الإخبار عن الله سبحانه بما لا يحب، وما لا يرضى، وما لم يخبر به عن نفسه. ونصف هذه الجرأة الكافرة بأنها حربة فكرية أو تجاوب مع العقل، أو استيحاء من الذوق!! ولقد كان من نتائج هذه الحرية المزعومة ـ والحق أنها عبودية للوهم وللشيطان ـ أن آمن بعض الناس برب لا يوصف إلا بالسلب أي بالعدم نعتوه ربًا، أو برب هو عين العبد، أو بإله يجب أن يعبد في كل شيء، لأنه عين كل شيء!!. فلتمجد العبودية ربوبية الله. بما يحب سبحانه وحده أن تمجد به.

(١) أي الله سبحانه.

(٢) القطب عند الصوفية عبارة عن «الواحد الذي هو موضع نظر الله في الأرض في كل زمان، أعطاه الطلسم الأعظم من لدنه، وهو يسري في الكون وأعيانه الباطنة والظاهرة سريان الروح في الجسد، ويفيض روح الحياة على الكون الأعلى والأسفل». وستعرف مما سنذكره عن خصائص القطب أن ابن عربي يريد بالقطب هنا الله سبحانه وهو في زعمه متعين في صورة الحقيقة المحمدية.

(٣) أي عبارة ابن عربي. فكل ما يذكره المؤلف دائمًا بعد قوله: قلت فكيف بمن يقول... هو من دين ابن عربي.

قلت: فكيف بمن يقول: إنه ليس لوعيد الله عينٌ تُعاين، وأن الآخرة موضع السعادة لكل أحد، والمعذَّب مُنَعَّم بعذابه؟!

ثم نقل الشيخ عن القاضي عياض - مرتضيًا له -: «أن من لم يكفر من دان بغير الإسلام، كالنصارى، أو شك في تكفيرهم، أو صحح[1] مذهبهم، فهو كافر، وإن أظهر مع ذلك الإسلام، واعتقده - قال: وكذا نقطع بتكفير كل قائل قولاً يتوصل به إلى تضليل الأمة، أو تكفير الصحابة»[2].

ثم قال[3] في الباب الثاني في أحكام الردة: «إن حكمها إهدار دم المرتد، فيجب قتله إن لم يتب، سواء كان الكفر الذي ارتد إليه كفرًا ظاهرًا أو غيره ككفر الباطنية» انتهى.

وقال الإمام شرف الدين إسماعيل بن المقري في مختصر الروضة: «فمن اعتقد قدم العالم - إلى أن قال - أو شك في تكفير اليهود والنصارى وطائفة ابن عربي - كَفَرَ، لا إن جعل لقرب إسلامه أو بعده عن المسلمين»[4]. انتهى.

الباطنية[5]

قال الإمام محمد بن عبد الكريم الشهرستاني في كتاب الملل والنحل: «وإنما لزمهم - يعني الباطنية - هذا اللقب لحكمهم بأن لكل ظاهر باطنًا ولكل تنزيل تأويلاً، ولهم ألقاب كثيرة سوى هذه على لسان [قوم][6]. فبالعراق يسمون الباطنية

---

(١) في الأصل: صح.

(٢) انظر ص٢٧١ جـ ٢ من الشفاء.

(٣) أي النووي.

(٤) كذا بالأصل. وفي الكلام اضطراب. فليحرر.

(٥) يقول أبو المظفر الاسفرايني في التبصير ص ٨٤: «إن الذين وضعوا دين الباطنية كانوا من أولاد المجوس، وكان ميلهم إلى دين أسلافهم، ولكنهم لم يقدروا على إظهاره مخافة سيوف المسلمين».

(٦) ساقطة من الأصل، وأثبتها عن الملل والنحل.

والقرامطة[1] والمزدكية، وبخراسان: التعليمية والملحدة، وهم يقولون: نحن إسماعيلية[2]، لأنا نُمَيَّز عن فرق الشيعة بهذا الاسم، وهذا الشخص - يعني إسماعيل ابن جعفر - ثم إن الباطنية القديمة خلطوا كلامهم ببعض كلام الفلاسفة، وصنفوا كتبهم على ذلك المنهاج، فقالوا في الباري تعالى: إنا لا نقول: هو موجود، ولا: لا موجود، ولا عالم ولا جاهل، ولا قادر ولا عاجز، وكذلك في جميع الصفات، فإن الإثبات الحقيقي يقتضي شركة بينه وبين سائر الموجودات في الجهة التي أطلقناها عليه، وذلك تشبيه، فلم يمكن الحكم بالإثبات المطلق، والنفي المطلق، بل هو إله المتقابلين، وخالق الخصمين، والحاكم بين المتضادين[3]، ونقلوا في هذا نصًا عن محمد

---

(١) طائفة سياسية دينية اتخذت الدعوة إلى إسماعيل بن جعفر الصادق وسيلة إلى تحقيق أغراضها السياسية والدينية، هي قلب الدولة الإسلامية، وبعث المجوسية الفارسية، وقد عرفت بهذا نسبة إلى حمدان بن الأشعث المعروف بقرمط، وكان في أول أمره أكارًا من أكرة سواد الكوفة، وقد ظهر بدعوته الملعونة أيام المأمون، وقد نجحت هذه الفرقة في إقامة دولة لها في بلاد البحرين، وجعلت الأحساء عاصمة لدولة القرامطة.

(٢) فرقة من الشيعة الإمامية، تزعم أن الإمامية انتقلت من جعفر الصادق - وهو الإمام السادس للشيعة - إلى ولده إسماعيل. ومنهم الفاطميون. وهم الآن فريقان: البهرة السليمانية أتباع أغا خان وهم في الهند وزنجبار والشام، يرون في زعيمهم إلهًا مقدسًا يصير كل ما مسه مقدسًا. ومباذل هذا الإله وتهتكاته مشهورة معروفة لرواد مواخير فرنسا، وغيرها، وأندية القمار، وأتاوته المفروضة على أتباعه تجعل منه قارون العصر الحديث. والفريق الثاني: هم البهرة الداودية. وهم أتباع طاهر سيف الدين، وينتشرون في بومباي وكراتشي وجبل حراز باليمن، وبعض جهات زنجبار. ولطاهر عليهم الكلمة النافذة التي لا ترد ولا تناقش، وكيف، وهو الإمام المعصوم؟! هذا وقد نشط دعاة الإسماعيلية في السنين الأخيرة نشاطًا عجيبًا غريبًا في مصر، من مظاهره اتصال زعمائهم بشيوخ الأزهر، ونشر بعض أساتذة الجامعة بعض مخطوطاتهم التي كانوا أشد ما يكونون حرصًا على إخفائها، ولا يخالطنا شك في أن غاية الناشر هي خدمة الحقيقية، ونحن نرحب بهذا النشر حتى يكون المسلمون على بينة من أمر هذه الطوائف التي تعمل جاهدة في سبيل أن تكون المجوسية دينًا ودولة.

(٣) قال الحميري في الحور ص ١٤٨: «وقالت الإسماعيلية: إن الله لا شيء، ولا: لا شيء لأن من قال إنه شيء فقد شبهه، ومن قال إنه لا شيء فقد نفاه. فقالوا فيه بالنفي والإثبات جميعًا» اقرأ كتاب (راحة العقل) للكرماني ففيه تفصيل مذهبهم.

بن علي الباقر [٧] أنه قال: لما وهب العلم للعـالمين قيل: هو عالِم، ولما وهب القدرة للقادرين قيل: هو قادر؛ فهو عالم قادر؛ بمعنى أنه وهب العلم والقدرة، لا بمعنى أنه قائم به العلم والقدرة، أو وُصِفَ بالعلم والقدرة، فـقيل [فيهم][1] إنهم نفاة الصفات حقيقة، معطلة الذات عن جميع الصفات. قالوا: وكذلك نقول في القدم: إنه ليس بقديم، ولا محدَث، بل القديم أمره وكلمته، والمحدَث خلقه وفطرته»[2] انتهى.

وقـول ابن عربي في الجـمع بين التـشبـيـه والتنزيه أشنع من هذا وأبشع وأقـبح وأفظع.

من هو الزنديق؟

قال الشـيخ محـيي الدين النووي: «وسواء كـان ظاهر الكفر، أو زنديقـًا يظهر الإسلام ويبطن الكفـر» كذا فسـر الزنديق في باب الردة في كتـاب الفرائض وضعـفه الأئمة. قال ابن الملقِّن في العـمدة، وقال في كتاب اللِّعـان في الكلام على التغليظ: «إنه الذي لا ينتحل دينا - قال: وهذا أقرب؛ لأن الأول هو[3] المنافق، وقد غايروا بينه وبين الزنديق. قال: وقال الغـزَّالي في الأصول: الزنديق ضربان: زنديق مطلق، وهو الذي ينكر أصل المعاد حسـًا وعقلاً، وينكر الصانع. وزنديق مقـيد، وهو الذي يثبت المعاد بنوع عـقل، مع نفي الآلام واللذات الحسية الجـسمية، وإثبـات الصانع مع نفي علمه، فهذه زندقة مقيدة بنوع اعتراف بتصديق الأنبياء» انتهى.

---

(١) أثبتها نقلاً عن الملل والنحل.

(٢) ص٣٦٦ جـ ١ الملل والنحل ط توفيق.

(٣) أي من قال عنه النووي قبل أنه الذي يظهر الإسلام ويبطن الكفر.

وسيأتي في آخر هذا الكتاب عن العلامة علاء الدين البخاري[1] تحقيق معنى الزنديق، وغيره من أسماء الكفرة.

على أن قتل المعتقد لمثل هذا لابد منه، ولو توقفنا في تسميته. قال القاضي عياض: «وما رواه عن عمر بن عبد العزيز وجده وعمه من قولهم في القدرية: يستتابون، فإن تابوا، وإلا قتلوا»[2].

وقال عيسى عن أبي القسم في أهل الأهواء من الأباضية[3] والقدرية وشبههم ممن خالف الجماعة من أهل البدع والتحريف لتأويل كتاب الله تعالى: يستتابون أيضًا

---

(١) هو محمد بن محمد بن محمد علاء الدين البخاري العجمي الحنفي ولد سنة ٧٧٩هـ، ونشأ ببخارى، ثم استقر به النوى في مصر، وفيها علا قدره، وعظم عند أهلها جاهه، وقد مات بالشام سنة ٨٤١. والبخاري صوفي كبير كانت له الكلمة النافذة في عصره، وإن كان هو ممن كفر ابن الفارض وابن عربي، وتلك ظاهرة تقف بالنظر عندها ليستبطنها، ويستخرج من أعماقها العبر، فكبار الصوفية من المشرق والمغرب كانوا يفدون إلى مصر، فتكسوهم الأوهام طيالس الدهاقين، وتصنع لهم التهاويل صور القديسين، كالبخاري والشاذلي والبدوي وغيرهم فلم كانوا يفدون إلى مصر بالذات، ولم كانوا يجدون حتى يستذلوا القلوب بهواهم؟ والملحوظ أن أكثر هؤلاء الصوفية وفدوا إلى مصر بعد طرد الفاطميين منها. والمشاهد الذي يلمسه اليقين بالحقيقة أن عقائد كثير من المسلمين في مصر تأثرت بدعوة هؤلاء الصوفية، حتى صارت ذات رحم ماسة بالمجوسية الفاطمية. قد تستطيع الإجابة عن تلك الأسئلة إذا ربطت بين المقدمات والنتائج، وإذا كنت على بينة من أن التصوف العملي يدين بعبادة مشاهد آل البيت، سواء أكانت صحيحة النسبة إليهم أم زائفتها، وإذا كنت على بينة أيضًا من أن التصوف النظري يشابه عقيدة الفاطميين، ويشاكلها في التلبيس والتأويل، والمصدر والوسيلة والغاية. بل أقول: إنه هي في الظاهر والباطن والأهداف. تستطيع الإجابة عن تلك الأسئلة إذا تبينت كل هذا، بل ستدرك الجواب الصحيح، وبخاصة إذا قارنت بين ما ترتب من نتائج دينية وسياسية واجتماعية على الدعوة الفاطمية، وبين ما ترتب ـ وما زال ـ على الصوفية. قارن وتأمل وتجرد، تجد النتائج واحدة، تجد الجواب يدفعك دفعًا إلى إدراكه، وهو أن الصوفية دعاة الفاطمية وأشباهها.

(٢) ص ٢٦١ جـ٢ الشفاء.

(٣) إحدى فرق الخوارج أتباع عبد الله بن أباض، افترقوا فرقًا كثيرة يجمعها القول بإكفار مخالفيهم من هذه الأمة ولا يزال منهم بقايا في عصرنا بطرابلس وزنجبار انظر ص ٦١ من الفرق بين الفرق للبغدادي.

أظهروا ذلك أو أسروه، فإن تابوا وإلا قتلوا، وميراثهم لورثتهم. وقال مثله ابن القسم في كتاب محـمد في أهل القدر.. وقد انتهى بنا المقال الدال على كفر مـن اعتقد ما قاله من الضـلال، وهذا حين الشروع في سوق كـلامه الموضح لفساد طويتـه، وقبح مرامه.

إفك وبهتـان

وأعظم الأمر أنه نسب كـفره إلى إذن رسول الله ﷺ الماحي لجمـيع الإشراك، المخلص لمتبعيه من حبائل سائر الأشراك، فقال في الخطبة[١]:

«أما بعد فـإني رأيت رسول الله ﷺ في مُبَشِّـرة [أريتها في العـشر الآخر من محرم سنة سـبع وعشرين وستمائة بمحـروسة دمشق][٢] وبيده كتـاب، فقال لي: هذا كتـاب فصوص الحكم. خـذه، واخرج به إلى الناس [ينتـفعون به]، فـقلت: السمع والطاعة لله ولرسوله، وأولي الأمر بنا [كما أمـرنا] فحققت الأمنية، وأخلصت النية، وجردت القصـد والهمة إلى إبراز[٣] هذا الكتاب كمـا حده لي رسول الله ﷺ [٨] من غير زيادة ولا نقصان[٤].

فمن الله فاسمعوا... وإلى الله[٥] فارجعوا... انتهى.

---

(١) أي خطبة كتاب الفصوص لابن عربي.

(٢) ما بين هذين [ ] ساقط من الأصل أو مختصر وأثبته عن فصوص الحكم.

(٣) في الأصل: إيراد. وهي كما أثبتها في الفصوص.

(٤) اختصر المؤلف بعدها مقدار سبعة أسطر من مطبوعـة الحلبي، ولو كان فيها ما يدفع عن الصوفية شبهة لأثبتها، حتى لا يتهم المؤلف بغير الأمانة في النقل.

(٥) في الأصل: وإليه. والتصويب من الفصوص.

دفع ما افتراه على الرسول

ولاشك أن النوم والرؤيا في حد ذاتهما في حيز الممكن، لكن ما أصَّله من مذهبه الباطل ألزمه أن يكون ذلك محالاً، وذلك أن عنده أن وجود الكائنات هو الله، فإذن الكل هو الله، لا غير، فلا نبي ولا رسول، ولا مرسِل ولا مرسَل إليه، فلا خفاء في امتناع النوم على الواجب، وفي امتناع افتقار الواجب إلى أن يأمره النبي بشيء في المنام، فمن هنا يعلم أنه لا يتحاشى من التناقض لهدم الدين بنوع مما ألفه أهله. نبه على ذلك الإمام علاء الدين البخاري في كتابه «فاضحة الملحدين، وناصحة الموحدين».

إيمانه بأن الله إنسان كبير

ثم قال ابن عربي في فص حكمة إلهية في كلمة آدمية: «لما شاء الحق سبحانه من حيث أسماؤه الحسنى [التي لا يبلغها الإحصاء] أن يرى[(١)] أعيانها، وإن شئت قلت: أن يرى عينه في كون جامع يحصر الأمر [كله]، لكونه متصفًا بالوجود، ويظهر به سره إليه، فإن رؤية الشيء [نَفْسَه] بنفسه ما هي مثل رؤية نفسه في أمر آخر يكون له كالمرآة»[(٢)].

---

(١) في الأصل: ترى. وابن عربي يجعل العلة الغائية من الوجود هي تعين الله ـ سبحانه ـ في صورة آدم. والله يقول: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾. والصوفية يدينون برب كان وجودًا مطلقًا، بل وجودًا منزهًا حتى عن الإطلاق. لا يوصف بوصف، ولا يسمى باسم ولا يعرف بحد ولا برسم. ويطلقون عليه في هذه المرتبة «العماء» ويسمون هذه المرتبة: الأحدية، ويريدون بالعماء أنه سبحانه في مرتبته هذه كان لا يعرف نفسه، ولا يراها، ولا يدري هو من هو. ولا يعرفه أحد، إذ ما ثم غير حتى يعرف ويرى، ثم اشتاق أن يعرف نفسه وأن يرى ذاته، فتعين في صورة الحقيقة المحمدية، ثم راحت الذات تنتقل من مرتبة إلى مرتبة، حتى صار المطلق مقيدًا، أو معينًا، وصارت الوحدة كثرة. بيد أنها كثرة وهمية، فما من شيء إلا وهو عين الذات هوية وماهية وصفة، أو ما من شيء إلا وهو اسم إلهي تعين في مادة. والحق عند الصوفية لا يرى مجردًا عن المواد أبدًا ولهذا يقولون: الخلق معقول، والحق محسوس!!!

(٢) ص ٤٨ فصوص.

ثم قال: «فكان آدم عين جلاء تلك المرآة، وروح تلك الصورة، وكانت الملائكة من بعض قوى تلك الصورة التي هي صورة العالم المعبّر عنه في اصطلاح القوم: بالإنسان الكبير»[١].

ثم قال: «فسمى هذا المذكور: إنسانًا وخليفة فأما إنسانيته فلعموم نشأته، وحصره الحقائق كلها، وهو للحق بمنزلة إنسان العين من العين الذي به يكون النظر، وهو المعبَّر عنه بالبصر؛ فلهذا سمي إنسانًا، فإنه به ينظر[٢] الحق إلى خلقه، فيرحمهم[٣]، فهو الإنسان الحادث الأزلي، والنشء الدائم الأبدي»[٤].

ثم قال: «ولاشك أن المحدَث قد ثبت حدوثه، ولما كان استناده إلى من ظهر عنه لذاته اقتضى أن يكون على صورته فيما ينسب إليه من كل شيء من اسم وصفة، ماعدا الوجوب[٥] الذاتي، فإن ذلك لا يصح في الحادث، وإن كان واجب الوجود، ولكن وجوبه بغيره، لا بنفسه»[٦]. ثم قال: «فوصف نفسه لنا بنا، فإذا شهدناه شهدنا نفوسنا، وإذا شَهِدَنا شهد نفسه، ولا يشك أنا كثيرون بالشخص والنوع، وأنا وإن كنا على حقيقة واحدة تجمعنا ـ فنعلم قطعًا أن ثم فارقًا به تميزت الأشخاص بعضها عن بعض، ولولا ذلك ما كانت الكثرة في الواحد»[٧].

---

(١) ص ٤٩ فصوص.

(٢، ٣) في الأصل: نظر ـ رحمهم.

(٤) ص ٤٨ ـ ٤٩ فصوص. وفي هذا النص يذكر ابن عربي رأيه في الإنسان، فيقرر أنه لاهوت وناسوت، أو هو الله سبحانه تعين في مادة. ولذا يجمع الإنسان بين صفات الأضداد ـ تمامًا كالذات الإلهية عندهم ـ فهو حق أزلي أبدي، قديم سرمدي باعتبار لاهوتيته. وهو خلق حادث فان متجدد الصور، يتحول، ويجري في تيار الصيرورة باعتبار ناسوتيته أي باعتباره مادة، أو باعتبار صورته البدنية العنصرية. ولذا فالإنسان عندهم: حق خلق.

(٥) في الأصل: الوجود. والتصويب من الفصوص.

(٦) ص ٥٣ فصوص.

(٧) ص ٥٣ فصوص.

آدم عند الصوفية

ثم قال: فما جمع الله لآدم بين يديه إلا تشريفًا، ولهذا قال لإبليس: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ (سورة ص:٧٥)، وما هـو إلا عين جمـعه[١] بين {الصورتين} صورة العالَم وصورة الحق {وهما يدا الحق}[٢]».

ثم قال: فـما صحت الخـلافة إلا للإنسـان الكامل، فأنشأ صـورته الظاهرة من حقائق العـالم وصوره، وأنشأ صورته البـاطنة على صورته تعالى؛ ولذلك قـال فيه: كنت سمعه وبصره. ما قال: كنت عينه وأذنه[٣].

زعمه أن الحق مفتقر إلى الخلق

ثم قال: «ولولا[٤] سريان الحق في الموجودات بالصورة ما كان {٩} للعالم وجود، كما أنه لولا تلك الحقـائق المعقولة الكلية ما ظهر حكم في المـوجودات العينية، ومن هذه الحقيقة كان الافتقار من العالم إلى الحق في وجوده ـ شعر.

فالكل مفتقر، ما الكل مستغني ▪▪▪ هذا هو الحق قد قلناه، لا نَكْنِي[٥]

---

(١) في الأصل: جمعت. والتصويب في الفصوص.

(٢) ص ٥ فصوص، وكل ما بين هذين { } ساقط من الأصل، وأثبته عن الفصوص.

(٣) ص ٥٥ فصوص، وسيأتي الرد على ما افتراه ابن عربي مستدلاً في زعمه بهذا الحديث.

(٤) في الأصل: ولو. والتصويب من الفصوص.

(٥) ص ٥٨-٥٩ فصوص: وابـن عربي يعني «بالكل» الله والعالم، وكلاهمـا عنده مفتقـر إلى الآخر إذ يدين بأنهما وجهان لحقيقة واحدة، ويفسـر افتقار الخلق إلى الحق باحتياج الخلق إلى سريان الحق فيه، لينتقل من الثبوت ـ وكل شيء عند الزنديق ثابت قبل وجوده ـ إلى الوجود.

ثم إن الخلق عند ابن عربـي ليس إلا أسماء الحق تعـينت في صور بدنية عنصـرية، ولذا لا يضاف الوجود إلى الخلق حقيقة. بل مجازًا. فوجوده حقيقة عين وجود الحق. فإذا تحدث الصوفي عن عجل السامـري مثلاً قال عنه: إنه اسـم من أسماء الله سبـحانه تعين في صورة العـجل. أو هو الحق تبارك وتعالى سمي عجلاً!! =

التنزيه والتشبيه[١]

ثم قال في فص حكمة سُبُّوحيّة في كلمة نُوحيَّة: «اعلم أن التنزيه عند أهل الحقائق في الجناب الإلهي عين التحديد والتقييد، فالمُنزِّه إما جاهل، وإما صاحب سوء أدب، ولكن إذا أطلقاه[٢]، وقالا به. فالقائل بالشرائع المؤمن إذا نزه ووقف عند التنزيه، ولم ير غير ذلك، فقد أساء الأدب، وأكذب الحق والرسل وهو لا يشعر، ويتخيل أنه في الحاصل، وهو في الفائت، وهو كمن آمن ببعض وكفر ببعض، ولاسيما وقد علم أن ألْسِنة الشرائع الإلهية، إذا نطقت في الحق تعالى بما نطقت به، إنما جاءت به في العموم على المفهوم الأول، وعلى الخصوص على كل مفهوم يفهم من وجوه ذلك اللفظ بأي لسان كان في وضع ذلك اللسان.

= وهذا تفسير آخر لافتقار الخلق إلى الحق عند الصوفية. أما افتقار الحق إلى الخلق، فيفسره ابن عربي بأنه احتياجه إلى تعين أسمائه وصفاته، بل ماهيته في صور خلقية. فلولا المادة عند ابن عربي ما ظهرو للحق وجود، ولا تعينت له ذات، ولذا وضع الصوفية الحديث المفترى: «كنت كنزًا مخفيًا، فخلقت الخلق فبي عرفوني» ومازلت أذكر ذلك الشيخ الذي راح يشرح لنا هذا الحديث وأنا بمعهد طنطا، فكان مما قاله أن المراد بـ «فبي» محمد!! وكان دليله على خرافته أن العدد الناتج من حروف «فبي» يساوي العدد الناتج من حروف «محمد» فكلاهما على طريقة حساب الجمل: أبجد هوز الخ = ٩٢!!

وكم صفقنا وانتشينا. ويذهب الطالب الصغير إلى قريته ويحدث الناس بهذا، فيطربون للصبي الصغير إذ جاءهم بعلم لدني رباني!!

(١) يريد ابن عربي بالتنزيه الإطلاق، وبالتشبيه التقييد، فإله الصوفية مشبه إذا نظرت إليه من حيث تعيناتع في صور خلقية. وهو منزه إذا نظرت إليه من حيث كونه وجودًا مطلقًا، والعارف الحق عندهم من يؤمن برب كان مطلقًا، ثم تعين فصار مقيدًا، أي خلقًا. أما من يؤمن بأن الله غير خلقه، فهو ضال مشرك، إذ يؤمن بغير ما من الأغيار.

(٢) في الأصل: أطلقناه.

بم يعرَّف الله عند الصوفية؟

فإن للحق في كل خلق ظهورًا، فهو الظاهر في كل مفهوم، وهو الباطن عن كل فهم، إلا عن فهم من قال إن العالم صورته وهويته[١]، وهو الاسم الظاهر، كما أنه بالمعنى روح ما ظهر، فهو الباطن. فنسبته لما ظهر من صور العالم نسبة الروح المدبر للصورة، فيؤخذ في حد الإنسان مثلاً باطنه وظاهره، وكذلك كل محدود. فالحق محدود بكل حد[٢]، وصُوَرُ العالم لا تنضبط، ولا يحاط[٣] بها، ولا تعلم حدود[٤] كل صورة منها إلا على قدر ما حصل لكل عالم من صورته[٥]، فلذلك يُجهل حدُّ الحق، فإنه لا يعلم حَدُّه إلا بعلم حدِّ كل صورة. وهذا محال حصوله، فحد الحقِّ محال، وكذلك من شَبَّهه، وما نَزَّهه، فقد قيَّده وحدده، وما عرفه، ومن جمع في معرفته بين التنزيه والتشبيه، ووصفه بالوصفين على الإجمال ـ لأنه يستحيل ذلك على التفصيل، لعدم الإحاطة بما في العالم من الصور ـ فقد عرفه [مُجْمَلا][٦]، لا على التفصيل، كما عرف نفسه مجملاً، لا على التفصيل، ولذلك ربط النبي ﷺ

---

(١) الهوية عند الصوفية هي كما عرفها الجيلي في الإنسان الكامل ص٦٧ جـ١ «هوية الحق غيبه الذي لا يمكن ظهوره، لكن باعتبار جملة الأسماء والصفات». والجرجاني في التعريفات «هي الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة في الغيب المطلق». والعالم عند الصوفية ظاهر الله وباطنه، ، أو صورته وحقيقته.

(٢) الحد هو أكمل أنواع التعريف، ولما كان كل شيء هو الله عند الصوفية كان حد كل شيء هو في الحقيقة حدًا لله سبحانه، فإذا أراد الصوفي وضع تعريف لله سبحانه أخذ في حده حد كل موجود، إذ الكل تعينات الذات، ولما كانت هذه التعينات لا تتناهى، ولا يمكن أن يحاط بها، امتنع تبعًا لهذا تناهي الحدود التي يمكن حد الله سبحانه بها، وامتنعت الإحاطة بهذه الحدود. وسيأتي بعد زيادة بيان عما يريده الصوفية بهذه الزندقة.

(٣) في الأصل: يحاد. والتصويب من الفصوص.

(٤) في الأصل: يعلم حد.

(٥) في الأصل: صورة.

(٦) أثبتها عن الفصوص.

معرفة الحق بمعرفة النفس، فقال: «من عرف نفسه فقد عرف ربه»[١]. وقال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ﴾ (سورة فصلت:٥٣). وهو ما خرج عنك ﴿وَفِي أَنفُسِهِمْ﴾. وهو عينك ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ﴾، أي للناظر ﴿أَنَّهُ الْحَقُّ﴾[٢]. أي من حيث أنك صورته، وهو روحك، فأنت له كالصورة الجسمية لك، وهو لك كالروح المدبر لصورة جسدك، والحد يشمل الظاهر والباطن منك، فإن الصورة الباقية إذا زال عنها الروح المُدبِّر لها لم تبق إنسانًا، ولكن يقال فيها: إنها صورة تشبه صورة الإنسان، فلا فرق بينها وبين صورة من خشب أو حجارة، ولا ينطلق عليها اسم إنسان إلا بالمجاز، لا بالحقيقة، وصور العالم لا يمكن زوال [١٠] الحق عنها أصلاً فحد الألوهية له[٣] بالحقيقة، لا بالمجاز، كما هو حد الإنسان إذا كان حيًا، وكما أن ظاهر صورة الإنسان تثني بلسانها على روحها ونفسها، والمدبِّر لها، كذلك جعل الله تعالى صورة العالم تسبح بحمده، ولكن لا نفقه تسبيحهم، لأنا لا نحيط بما في العالم من الصور، فالكل ألسنة الحق، ناطقة بالثناء على الحق، ولذلك قال: الحمد لله رب العالمين أي إليه ترجع عواقب الثناء، فهو المُثْنِي والمُثْنَى عليه شعر.

---

(١) ليس بحديث. قال النووي: ليس بثابت، وقال ابن تيمية: موضوع. ويريد الصوفية به أن من عرف نفسه، عرف أنه هو الله.

(٢) تأمل كيف يفسر آي الله، ويضع للحق معنى الباطل، وللإيمان مدلول الكفر. وحق ما يقول جولدزيهر «إذا حملت العبارات الدينية المعاني التصوفية، وفسرت تلك بهذه، تكون دلالة تلك العبارات على هذه المعاني أشبه بدلالة الرموز على ما جعلت رمزًا له، وبعبارة أخرى تكون دلالتها عليها على غير العرف العام للغة، وعلى غير الجاري في إطلاق ألفاظها على معانيها، وفهم هذه من تلك، ولكنهم في سبيل غايتهم لا يحفلون برعاية هذا العرف العام للغة، وربما على العكس يتجاوزونه قصدًا» انظر جـ٢ من الجانب الإلهي لأستاذنا الدكتور محمد البهي.

(٣) الضمير في «له» يعود على العالم. والحد كما سبق أتم أنواع التعريف، ولما كان ابن عربي يدين بأن الحق عين كل شيء، فإنه يزعم هنا أنه يجب تعريف كل شيء بأنه إله، أو بما نعرف به الله سبحانه، فإذا سئل الصوفي عن خنزير أو صنم ما هو؟ عرفه بأنه هوية الله وظاهره، ونسب إليه اسمًا وصفة من أسماء الله سبحانه وصفاته.

فإن قلتَ بالتنزيه، كنتَ مُقَيِّداً ■■■ وإن قلتَ بالتشبيه، كنت مُحَدِّدَاً
وإن قلت بالأمرين كنت مُسدداً ■■■ وكنت إماماً في المعارف سيدا
فمن قال بالإشفاع، كان مُشَرِّكًا[١] ■■■ ومن قال بالإفراد كان مُوَحِّدا
فإياك والتشبيه إن كنتَ ثانيًا ■■■ وإياك والتنزيه إن كنت مُفْرِدا
فما أنت هو[٢]، بل أنت هو[٣]، وتراه في ■■■ عين[٤] الأمور مُسرحًا ومُقَيَّداً

قال الله تعالى: [﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ (سورة الشورى:١١)، فنزَّه ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾، فشبَّه][٥]، وقال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، فشبَّه وثَنَّى ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾، فنزَّه وأفرد[٦].

---

(١) أي من آمن بوجود الحق، وبوجود الخلق على أنهما وجودان متغايران أو حقيقتان منفصلتان متباينتان ـ فهو مشرك. لأنه جعل وجود الخلق غير وجود الحق، وجعل الحق غير الخلق أي جعل الواحد اثنين، وغاير بين الإله وبين نفسه وهذا شرك عند الصوفية. أما الموحد عندهم فهو من يؤمن بأن الحق عين الخلق، وجودًا وماهية.

(٢) باعتبار الإطلاق.

(٣) باعتبار التعين. ولاحظ التناقض المتوتر بين السلب والإيجاب اللذين يجعلهما ابن عربي شيئًا واحدًا.

(٤) في الأصل: عيون.

(٥) ما بين هذين [ ] ساقط من الأصل وأثبته عن الفصوص.

(٦) يريد ابن عربي بهذا التلبيس في فهم الآية أن يقول: إن اعتبرت الكاف زائدة في «كمثله» كان معنى الآية: ليس مثله شيء، وبذا تنتفي المثلية. وهذا تنزيه ولكن في قوله «وهو السميع البصير» تشبيه. لأنه أثبت لنفسه ـ هكذا يفهم الزنديق ـ عين ما للخلق من سمع وبصر. وهذا يستلزم كون ذات الحق عين الخلق..

وإن اعتبرت الكاف غير زائدة في «كمثله» كان معنى الآية: ليس مثل مثله شيء. يعني أنها تثبت المثلية. وهذا تشبيه. ولكن في قوله «وهو» نفي للمثلية لأن الضمير للمفرد. وهذا تنزيه يفيد أنه هو وحده الذي يسمع ويبصر في صورة كل من يتأتى منه أن يسمع وأن يبصر. أي هو عين كل سميع وبصير!!
=

تكفير الصوفية لنوح

لو أن نوحًا جمع لقومه بين الدعوتين لأجابوه: فدعاهم جهارًا، ثم دعاهم إسرارًا، ثم قال لهم: ﴿ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً ﴾ (سورة نوح: ١٠). وقال: ﴿ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَاراً ۝ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلاَّ فِرَاراً ﴾ (سورة ٥-٦). وذكر عن قومه أنهم تصامموا عن دعوته، لعلمهم بما يجب عليهم من إجابة دعوته، فعلم العلماء بالله ما

= هذا ما يفهمه الزنديق في الآية يهدف به إلى إثبات أن لله وجهين. وجه يسمى الحق، والآخر يسمى الخلق، وأنه لا يمكن تسميته حقًا فحسب، أو خلقًا فحسب، بل يسمى حقًا خلقًا في آن واحد.
وتعقيبه للآية أولاً بقوله: فنزه على اعتبار زيادة الكاف، وتعقيبها ثانيًا بقوله: فشبه وثنى على اعتبار عدم زيادة الكاف!! وإليك الحق يهتك باطله: قال صاحب المغني - وهو يعدد معاني الكاف «التوكيد وهي الزائدة نحو ليس كمثله شيء. قال الأكثرون: التقدير ليس شيء مثله، إذ لو لم تقدر زائدة صار المعنى ليس شيء مثل مثله، فيلزم المحال، وهو إثبات المثل، وإنما زيدت لتوكيد نفي المثل، لأن زيادة الحرف بمنزلة إعادة الجملة».

وابن عربي قرر هذا بيد أنه لبس في تفسير «وهو السميع البصير» إذ فسرها بأنه سبحانه يسمع كما يسمع العبد، وبنفس الأذن التي يسمع بها، ليزعم من وراء هذا الباطل أنه سبحانه عين من يسمعون، ومن يبصرون، لأن جوارحهم وحواسهم هي عين جوارح الإله الصوفي وحواسه، فتكون ذواتهم عين ذاته. والآية ناطقة بإبطال هذا الكفر الفاجر. فما فيها سميع كما تسمعون أو بما تسمعون وإنما هي لإثبات أن الله سبحانه له صفتا السمع والبصر، وإنه لإعجاز حكيم أن يجيء الإثبات بعد النفي، حتى يستقر اليقين في القلب بأنه سبحانه لا يماثله شيء، ولا يماثل هو شيئًا، فإذا أثبت الله بعد هذا النفي المؤكد لنفسه صفتي السمع والبصر، فهم فيهما المؤمن ما يليق بجلال الله وكبريائه وربوبيته، لا ما استقر في الوعي مما يشهده الحس في الخلق فسبق النفي تصفية للفهم والقلب والفكر، من زيغ المثلية، وإعداد لتلقي ما يرد بعده من إثبات تلقي إيمان ويقين لا يمسه وهم من التشبيه، أو طائف من المثلية.

أما إذا اعتبرت الكاف غير زائدة، فلا يفيد هذا مطلقًا إثبات المثلية، لأن سياق الآية ينفيها، والضمير «هو» ينفيها كذلك. ثم إن العرب - والقرآن عربي - كانوا إذا بالغوا في نفي المثلية قالوا: مثلك لا يفعل كذا، ومرادهم نفي الفعل عنه، لا عن مثله، ولكن إذا نفوه عمن هو على أخص أوصافه، فقد نفوه عنه بالأولى.

وعلى فرض المستحيل فإن تلبيس ابن عربي يهدم باطله، لأن المثلية تستلزم الاثنينية، تثبت وجود اثنين في أحدهما غير ما في الآخر. وهو يدين بالوحدة المطلقة.

أشار إليه نوح ـ عليه السلام ـ في حق قومه من الثناء عليهم بلسان الذم، وعلم أنهم إنما لم يجيبوا دعوته لما فيها من الفرقان، والأمر قرآن لا فرقان، ومن أقيم في القرآن لا يصغى إلى الفرقان، وإن كان فيه. فإن القرآن[١] يتضمن الفرقان، والفرقان لا يتضمن القرآن، ولهذا ما اختص بالقرآن إلا محمد ﷺ، وهذه الأمة التي هي خير أمة أخرجت للناس، فـ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾.

يجمع الأمرين في أمر واحد، فلو أن نوحاً أتى بمثل هذه الآية لفظا أجابوه، فإنه شبه ونزه في آية واحدة بل [في] نصف آية. ونوح دعا قومه «ليلاً» من حيث عقولهم، وروحانيتهم، فإنها غيب، و «نهاراً» دعاهم أيضاً من حيث ظاهر صورهم وحسهم[٢]، وما جمع في الدعوة مثل: ليس كمثله شئ، فنفرت بواطنهم لهذا الفرقان [فزادهم] فراراً، ثم قال عن نفسه: إنه دعاهم ليغفر لهم، لا ليكشف

---

(١) يريد ابن عربي بالقرآن: الجمع بين الحق والخلق، أي إدراك أنهما وجهان لحقيقة واحدة سميت حقًا باعتبار باطنها، وخلقًا باعتبار ظاهرها. هذه الحقيقة: هي ماهية الله سبحانه، ويريد بالفرقان: التفرقة بينهما. ولذا يبهت نوحًا عليه السلام بأنه جهل حقيقة الدعوة إلى الله سبحانه، أو بأنه مكر بقومه في دعوته، إذ دعاهم إلى الإيمان بالحق مجردًا عن الخلق، أي بأن الحق غير الخلق، ففصل نوح ـ هكذا يفتري الزنديق ـ بجهله بين وجهي الحقيقة الواحدة، أو جعل ـ بمكره ـ الحقيقة الواحدة شيئًا آخر غير نفسها، وفرق بين باطن الذات الإلهية ـ وهو الحق ـ وبين ظاهرها وهو الخلق، ولذا لم يستجب قومه لدعوته، إذ كانوا على بينة من الأمر، على علم صادق بالحقيقة، كانوا على يقين ـ ويقينهم هو الحق عند الصوفية ـ من أن الله سبحانه حق وخلق، مطلق ومقيد، رب وعبد. وأنه عين كل شيء، فعبدوه في بعض ما تعين فيه، وهي الأصنام. فدلوا بهذه العبادة على صدق الإيمان، وكمال التوحيد، لهذا يقول الزنديق: ما كان ينبغي لنوح، أن يمكر بقومه في دعوته، أو أن يضلهم عن السبيل السوي، فيدعوهم إلى الإيمان بأن الرب غير العبد وأن الحق غير الخلق، وأن المعبود غير العابد. وإنما كان واجبًا على نوح أن يؤيد الحق الذي آمن به قومه، والهدى الذي كشف لهم عن كنه الحقيقة، وهي أن هذه الأصنام ما هي إلا ذات الله سبحانه، وأن عبادتهم لها عبادة حقة لله سبحانه!! فتأمل!! كيف يبهت رسولاً من أولي العزم بالمكر أو بالجهل، وكيف يفضل عليه أوباش الوثنية، وعبد الشيطان!! ورغم هذا يظل الشيوخ يدينون لابن عربي بالعبودية.

(٢) في الأصل: جثتهم.

لهم[١]، وفهموا ذلك منه ﷺ لذلك: «جعلوا أصابعهم في آذانهم، واستغشوا ثيابهم» وهذه كلها صور الستر التي دعاهم إليها، فأجابوا دعوته بالفعل، لا بلَبَّيْكَ ففي ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ إثبات المثل ونفيه[٢]، وبهذا قال عن نفسه ﷺ: أنه أوتي جوامع الكَلِمْ. فما دعا محمد قومه ليلا ونهارا بل دعاهم ليلا في نهار، ونهاراً في ليل[٣]، فقال نوح في حكمته لقومه: ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾ (سورة نوح:١١). وهي المعارف العقلية في المعاني والنظر الاعتباري (ويمددكم بأموال) أي بما يميل بكم إليه، فإذا مال بكم إليه، رأيتم {١١} صورتكم فيه، فمن تخيل منكم أنه رآه فما عرف، ومن عرف منكم أنه رأى نفسه، فهو العارف، فلهذا انقسم الناس إلى غير

---

(١) يريد الزنديق أن نوحًا دعا قومه إلى مقام الستر المطلق، لا إلى مقام الكشف والظهور. والستر المطلق هو الحق المنزه عن التجلي في أية صورة خلقية. ومقام الكشف تجلي الحق في صورة كل موجود، ويبهت نوحًا بالخداع والمكر، إذ غفر - أي ستر - عن قومه الحق العلوي الذي هم به مؤمنون. وهو أن أصنامهم بعض مجالي الله وظهوراته، وتعالى الله عما يأفك الصوفية.

(٢) تقدم الرد على ما يفتريه هنا.

(٣) يقصد بالليل باطن الذات الإلهية، وبالنهار ظاهرها. والباطن هو وجه الذات وغيبها المسمى حقًا، والظاهر هو وجهها الآخر المسمى خلقًا، ويذم نوحًا بأنه دعا قومه ليلاً ونهارًا أي إلى الإيمان بالحق - وهو الليل -، وبالخلق - وهو النهار - وبأنهما غيران، ويمجد محمدًا الذي يزعمه - وحاشا محمدًا رسول الله ﷺ - لأنه جمع في دعوته بين الدعوتين، إذ دعا قومه إلى الإيمان بأن الحق عين الخلق. وعبر الفاجر الزنديق عن هذا بقوله: ليلاً في نهار، أي حقًا في خلق. وإلى الإيمان بأن الخلق عين الحق، وهذا ما يعبر عنه الشيطان بقوله: نهارًا في ليل. أي خلقًا في حق. أي قال لهم: الواحد عين الكثير، والكثير عين الواحد.

وبهذا البهتان الأثيم يفضل ابن عربي محمدًا المزعوم على نوح الذي جهل أو مكر، فغاير بين الحق والخلق!! فتأمل!! تأمل الشيخ الأكبر في عرف الزنادقة أي الصوفية إلى أي حد تبلغ القحة في جراءة كفره، فيصم نوحًا بالشرك والكفر، ويفتري على محمد ﷺ أنه كان مشركًا أصم الوثنية. ولكن كيف تعجب من رجل يجعل من الخنازير والجيف والقيح بما فيه من ميكروبات فتاكة، يجعل هذه آلهة له، وأربابًا يفزع إليهم بالرجاء والأمل والحب والخوف!!

عالم، وعالم «وولده»[١]، وهو ما أنتجه لهم نظرهم الفكري، والأمر موقوف عِلْمُه على المشاهدة، بعيد عن نتائج الفكر «إلا خسارا» «فما ربحت تجارتهم» فزال عنهم ما كان في أيديهم مما كانوا يتخيلون أنه ملك لهم، وهو في المحمديين ﴿ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ﴾ (سورة الحديد:٧)، وفي نوح ﴿ أَلاَّ تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلاً ﴾[٢] (سورة الإسراء:٢)، فأثبت الملك لهم، والوكالة لله فيهم، فهم مستخلفون فيه، فالملك لله، وهو وكيلهم، فالملك لهم، وذلك ملك الاستخلاف، وبهذا كان الحق تعالى مالك الملك، كما قال الترمذي رحمه الله.

الدعوة إلى الله مكر عند الصوفية

(ومكروا مكرًا كبارا) لأن الدعوة إلى الله تعالى مكر بالمدعُوّ[٣]، لأنه ما عدم من البداية، فيدعى إلى الغاية ﴿ أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ﴾ (سورة يوسف:١٠٨). فهذا عين المكر»[٤].

---

(١) فسر المدرار بالمعارف العقلية، والمال بما يميل بالإنسان إلى الله فيرى في الله سبحانه صورته، وفسر الولد بالنتاج الفكري. وهكذا يضع للغة القرآن ما شاءت زندقته من معان، وبمثل ما يفتري ابن عربي يعجب بعض من يوصفون بأنهم من ذوي الفكر. ولو اتخذنا أسلوب ابن عربي قاعدة لنا في البيان ما بقيت للغة، بل ما بقيت حقيقة واحدة يمكن أن تجتمع عليها العقول.

(٢) الآية في بني إسرائيل، لا في قوم نوح.

(٣) يشرح القاشاني هذا بقوله «معناه: أن الدعوة إلى الله دعوة منه إليه، لأن الله عين الداعي والمدعو، والبداية والغاية، لكونه عين كل شيء» ص٥٨ ط ١٣٠٩ شرح القاشاني للفصوص. وأقول: يدين ابن عربي وعبد الطاغوت الصوفية أن الله سبحانه عين كل شيء، فإذا ما جاء الرسل، وأمروا بعبادة الله وحده، ونهوا عن عبادة غيره، عن عبادة العجل مثلاً، والأصنام والكواكب وغيرها. فإن الصوفية يرون هذه الدعوة في مظهريها الإيجابي والسلبي مكرًا وخداعًا، إذ توحي إلى عباد الأصنام والأوثان وغيرها أنهم يعبدون غير الله، والرسل يعلمون ـ هكذا يفتري الصوفية ـ أنه ما ثم غير، أو سوى، فكل ما عبد، أو سيعبد إنما هو الله. إذ كل معبود شيء، والله سبحانه عند الصوفية عين كل شيء.

(٤) ص ٧٧٢ - ٦ (فصوص الحكم).

قلت: فهذا، وأشكال من قوله ـ كما يأتي في الفص اليوسفي ـ يُدنْدِن به على تصحيح قول الكفار: إن القرآن سحر. ولا يقدر على التصريح به، ولقد أخبرني من أثق به أن بعض أتباعهم قال له: القرآن أساطير الأولين[١]!!

ثم قال ابن عربي: [مفسرًا قول رب العالمين][٢]. ﴿عَلَى بَصِيرَةٍ﴾ (سورة يوسف:١٠٨). فنبه على أن الأمر له كله، فأجابوه مكرًا كما دعاهم، فجاء المحمدي، وعلم أن الدعوة إلى الله ما هي من حيث هويته، وإنما هي من حيث أسمائه[٣]، فقال: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ (سورة مريم:٨٥). فجاء بحرف الغاية، وقرنها بالاسم فعرَّفنا أن العالم كان تحت حيطة اسم إلهي، أوجب عليهم[٤] أن يكونوا متقين، فقالوا[٥] في مكرهم: ﴿لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ (سورة نوح:٢٣)، فإنهم إذا تركوهم جهلوا من الحق على قدر ما تركوا من هؤلاء فإن للحق في كل معبود وجهًا يعرفه من عرفه، ويجهله من جهله. في المحمديين ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ﴾ (سورة الإسراء:٢٣) أي حكم[٦]، فالعالم يعلم[٧] من عبد، وفي أي صورة ظهر حتى عبد، وأن التفريق والكثرة كالأعضاء في الصورة

---

(١) بل قال الفاجر التلمساني: «القرآن كله شرك ليس فيه توحيد، وإنما التوحيد في كلامنا نحن» ص٧٧جـ١ (مجموعة الرسائل والمسائل).

(٢) وضعت ما بين هذين [ ] هنا من عندي حتى لا يظن بآية من القرآن أنها من كلام ابن عربي.

(٣) أي ما يدعو الرسل إلى عبادة الله من حيث كونه حقًا، أو وجودًا مطلقًا، بل من حيث كونه خلقًا، أو وجودًا مقيدًا تعين في صورة بدنية عنصرية. فما من شيء إلا وهو ـ عند الصوفية ـ اسم من أسماء الله تعالى، تعين في صورة ذلك الشيء. لذا يدعو الرسل الصادقون ـ هكذا يكفر الصوفية ـ إلى عبادة الخنازير والقمل والضفادع، والبغايا الأواثم، والأجساد الفواجر؛ لأن هذه عند الصوفية أسماء الإله الذي يزعمونه.

(٤) في الأصل: فعلمنا أن النور كان تحت حيطة اسم إلهي أوجب عليه.

(٥) يعني قوم نوح الوثنيين.

(٦) بل أمر ووصى كما ستعرف.

(٧) في الأصل: يعلمه.

المحسـوسة[١]، وكالقـوى المعنوية في الصورة الروحـانية، فمـا عبد غـيرُ الله في كل معبود»[٢].

تكفير العراقي لابن عربي

وقال شيخ شيوخنا الإمام القدوة العـارف شيخ الإسلام حافظ عصره الشيخ زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي في كراسة أجاب فيها سؤال من سأله عن بعض كلام ابـن عربي هذا: «وقـوله في قوم نوح: لا تذرن آلهـتكم - إلى آخـره - كلامُ ضلال وشرك واتحاد وإلحاد، فجعل تركهم لعبادة الأوثان التي نهاهم نوح عن عبادتها جَهْلاً يفوِّت عليهم من الحق بقدر ما تركوا» انتهى.

---

(١) يشبه الحق والخلق بالجسد وأعضـائه في أن كليهما واحد في الحقيقة، كثيـر بالاعتبار. فأنت إذا أفردت بالنظر كل عضو من أعضاء الجسم، فهـو كثير، إذ ترى رأسًا، ووجهًا، ويدين، وقدمين، وإذا نظرت إليه جملة وجدته واحدًا. وهذه الوحدة حقيقية. أما الكثرة فاعتبارية فحسب. وكذلك - هكذا يفتري الزنديق - الله والعالم. فالعالم في حقيقته ليس شيئًا سوى الله، أو هو تعينات أسمائه برزت في صور مادية. كمـا أن أعضاء الجسم ليست شـيئًا آخر غير الجـسم، بل هي هو. ومدلول جميعـها مدلوله. ورغم ما في المثل من تلبـيس وزندقة فإنه لا يصـحح لابن عربي مذهبـه، فاليد مثـلاً ليست هي كل الجسد، وإنما هي عضو، أو جزء منه. وابن عربي لا يقول عن شيء ما: إنه عضو الإله أو جزؤه، بل هو عنده عينه وكله!!

والذي يستلفت نظر المؤمن أن الغزالي سبق ابن عربي إلى استعمال هذا المثل في نفس ما استعمله فيه ابن عربي؛ إذ يقول ـ وهو بصدد بيان المرتبة الرابعة من التوحيد: «ألا يرى في الوجود إلا واحدًا، وهي مشاهدة الصديقين. وتسمـيه الصوفية الغناء في التوحيد» ثم يشرح حال الموحـد في هذه المرتبة، فيقول: «والرابع موحد بمعنى أنه لـم يحضر في شهوده غيـر الواحد فلا يرى الكل من حيث أنه كـثير، بل من حيث أنه واحـد، فإن قلت: كيف يتـصور ألا يشاهد إلا واحـدًا وهو يشاهد السمـاء والأرض، وسائر الأجسـام المحسوسـة وهي كثيـرة؟!» يجيب الغزالي عن هذا بمـثال يقرب في زعـمه ذلك إلى الذهن، فيقول: «إن الإنسان كثير إن التفت إلى روحه وجسده وعروقه، وهو باعتبار آخر ومشاهدة أخرى واحد، وكذلك كل ما في الوجود من الخالق والمخلوق له اعتبارات ومشاهدات كثيرة مختلفة، فهو باعتبار واحد من الاعتبارات واحد، وباعتبارات أخر سواه كثير» انظر باب التوحيد من كتاب الإحياء.

(٢) ص٧٢ فصوص.

قلت: يا ليت شعري من قال هذا القول في هذا العــدد اليسير من الأصنام، ماذا يقول فيــما روي في الصحيح عن عبد الله بن مــسعود رضي الله عنه: «أن النبي ﷺ دخل مكة، وحول الكعبة ثلاثمائة وستون صنمًا[١]، فجعل يطعنها بعود في يده[٢]، وجعل يقول: ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ﴾[٣] (سورة الإسراء:١٨). وفي السير: أنــها كانت [١٢] مثبتة في الأرض بالرصاص، فما أشار بذلك العود إلى صنم منها إلا انقلب. إن أشار إلى قفاه انكب على وجهه، وإن أشار إلى وجهه انقلب على قفاه[٤]، وكان في جزيرة العرب من الأصنام ما يتعسر حصره، فما أبقى لشيء منها باقية، وما استباح قتالهم، ونهب أمــوالهــم، وقــتل رجــالهم، ومــزق أبطالهــم، وركب من دون ذلك الأهوال العظام، وقاطع الأخوال والأعمام إلا على ذلك، فتــبًا لمن أنكره، أو رأى شيئًا أكمل منه، وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين انتهى.

كل شيء عندهم رب وإله

قال ابن عربي: «فالأدنى من تخيل فيــه - أي في كل معبود - الألوهية، فلولا[٥] هذا التخيل ما عُبِد الحــجر ولا غيره، ولهذا قال: ﴿[قُلْ] سَمُّوهُمْ﴾ (سورة الرعد:٣٣)، فلو سموهم لسموهم حجارة[٦] وشجرًا وكوكبًــا، ولو قيل لهم: من عبدتم؟ لقالوا:

---

(١) في البخاري «نصب». واحدة الأنصاب، وهو ما ينــصب للعبادة من دون الله، ويراد به أيضًا الحجارة التي كانوا يذبحون عليها للأصنام. غير أنها ليست مرادة هنا.

(٢) في مــسلم عن أبي هريرة: «يطعن في عــينيه بسـية القــوس» وفي حــديث ابن عمــر عند الفاكــهي - وصححــه ابن حبان - فيسقط الصنــم ولا يمسه، وللفاكهي والطبراني من حــديث ابن عباس «فلم يبق وثن استقبله إلا سقط على قفاه مع أنها كانت ثابتة بالأرض».

(٣) ورد في البخاري أن الرسول ﷺ قال بعد هذا: «جاء الحق وما يبدئ الباطل، وما يعيد».

(٤) انظر سيرة ابن هشام ص ٢٧٦ جـ٢ على هامش الروض الأنف.

(٥) في الأصل: ولولا.

(٦) في الأصل: حجرًا.

إلهًا. ما كانوا يقولون: الله. ولا الإله. والأعلى ما تخيل، بل قال: هذا مجلى إلهي ينبغي تعظيمه، فلا يقتصر[1]، فالأدنى صاحب التخيل يقول: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ (سورة الزمر: ٣). والأعلى العالم يقول: ﴿فَإِلَهُكُمْ[2] إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾ (سورة الحج: ٣٤). الذين خبت نار طبيعتهم، فقالوا: إلهًا، ولم يقولوا طبيعة»[3].

قلت: وعلى هذا يُحوِّم ابن الفارض[4] بقوله، فالعلماء شهدوا فيه[5] أنه من أهل الاتحاد.

---

(١) أي لا يقصر عبادته على شيء ما بعينه، بل يعبد كل شيء، حتى ما يعصف بنفسه من هوى، وما يترنح في فكره من أوهام، وسيأتيك من كلام ابن عربي ما يدلك على أنه يؤمن بأن الهوى أعظم مجالي الإله.

(٢) في الأصل: إنما إلهكم. ويفسرها الزنديق بأن العارف المكمل هو من يقول لعباد الأوثان، ولعباد الكواكب: إن ما تعبدونه هو الإله الواحد، فالإله المتعين في أوثانكم عين المتعين في كواكبهم، فلا يقصر أحد منكم عبادته على شيء ما بعينه، أو يختص بها بعضًا دون بعض، فإن إلهكم هو عين كل شيء.

(٣) ص ٧٢ فصوص.

(٤) ورد بهامش الأصل ما نصه «ابن الفارض هو حجة أهل الوحدة، وحامل لواء الشعراء، توفي سنة اثنتين وثلاثين وستمائة عن ست وخمسين إلا أشهرًا. ذكره الذهبي في تاريخه» وقد ولد ابن الفارض سنة ٥٧٦هـ ودفن بمصر.

(٥) ليس الحكم بهذا على ابن الفارض بحاجة إلى شهادة أحد، فإنه صرح في التائية بأنه يدين بهذه الأسطورة الملحدة، إذ يقول: وجل في فنون الاتحاد، وجاء حديث في اتحادي ثابت، وهأنا أبدي في اتحادي مبدئي. وسيأتيك ما يجعلك تؤمن بأنه كان من المؤمنين بالوحدة، لا بالاتحاد فحسب.

الرأي في ابن الفارض وتائيته

وقال الحافظ عماد الدين إسماعيل بن كثير[1] «إنه نظم التائية على طريقة المتصوفة المنسوبين إلى الاتحاد ـ وقال: وقد تكلم فيه غير واحد من مشايخنا بسبب قصيدته المشار إليها»[2]. وقال في سنة ستة وسبعين وستمائة في ترجمة محمد بن إسرائيل[3]: «وكان أديبًا، ولكن في كلامه ما يشير إلى الحلول والاتحاد على طريقة ابن الفارض، وابن عربي»[4].

وقال الشيخ مدين ـ وهو كان رأس الصوفية زماننا ـ «إن التائية هي الفصوص، لا فرق بينهما» ومن قال إن السراج عمر بن إسحاق الهندي[5] عزَّر الشهاب أحمد ابن يحيى بن أبي حجلة[6] لأجل كلامه في ابن الفارض، وجعل ذلك دليلاً على ولايته

---

(١) الإمام المحدث البارع كما ينعته الذهبي. ولد سنة ٧٠٠ وتوفي سنة ٧٧٤، من مصنفاته البداية والنهاية في التاريخ، والتفسير، وجمع المسانيد العشرة، صحب ابن تيمية وأخذ عنه، ولازم المزي، وتزوج بابنته، وسمع عليه أكثر تصانيفه.

(٢) ذكر ابن كثير هذا في البداية والنهاية.

(٣) ولد نجم الدين ابن إسرائيل سنة ٥٦٣ وتوفى سنة ٦٧٧، ومن قوله:

وما أنت غير الكون بل أنت عينه ... ويفهم هذا السر من هو ذائق

وأيضًا «إن الله ظهر في الأشياء حقيقة. واحتجب بها مجازًا، فمن كان من أهل الحق والجمع شهدها مظاهر ومجالي، ومن كان من أهل المجاز شهدها ستورًا وحجبًا» انظر لسان الميزان، ومجموعة الرسائل والمسائل جـ١ ص٦١.

(٤) لا يدين ابن الفارض بالحلول، ولا ابن عربي به أو بالاتحاد، وإنما يدينان بالوحدة، إذ الحلول يستلزم الاثنينية، والاتحاد يشعر بأنه كان ثم غيران في وقت ما، وهما يدينان بأنه ما ثم غير ولا سوى. ومما قرأته لابن إسرائيل تحكم بأنه على دين أهل الوحدة، لا الحلول أو الاتحاد.

(٥) ولد سنة ٧٠٤، ومات سنة ٧٧٣هـ. تولى قضاء الحنفية، وكان يتعصب تعصبًا مقيتًا للصوفية من أهل الوحدة، ولذا شرح تائية ابن الفارض.

(٦) ولد سنة ٨٢٥ ثم قدم القاهرة، فولى بها مشيخة الصوفية، وكان يكثر من الحط على أهل الوحدة، وبخاصة ابن الفارض، ولهذا عارض جميع قصائده، توفي سنة ٧٧٦ .

- أجيب بأن شيخنا حافظ العصر أحمد بن حجر ذكر في ترجمته في أول تاريخه في سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة أن السراج الهندي كان يتعصب للصوفية الاتحادية، وأنه شرح التائية، فسقط كلامه، والاعتبار به[١]، وعلى كل تقدير فتعزيره له غير واقع في محله بوجه، فإنه لا شيء على من كفّر مسلمًا بتأويل بلا خلاف نعلمه بين العلماء، والحجة فيه قصة عمر وحاطب[٢] ﵄، وغير ذلك مما وقع بحضرة النبي ﷺ في وقائع عدة، على أن التعزير [٣] يحتمل أمورًا عدة، لا يتعين شيء منها إلا بدليل، فسقط الاستدلال به.

وقال العلامة علاء الدين البخاري، وكان عين العلماء والصوفية قبل الشيخ مدين[٤]. لشخص حنفي «لا فرق بين التائية والفصوص إلا بكونه نثرًا، وكونها نظمًا، كما أنه لا فرق بين منظومة {١٣} النسفي والقدوري إلا بذلك. وقال الشافعي مثل ذلك، ومثل بالبهجة نظم الحاوي، وبالحاوي».

---

(١) ولهذا يجب دائمًا ألا نجعل آراء البشر أدلة على الحق، أو سبيلاً إليه، بل نرد كل ما يعرض لنا من أقضية الدين إلى الكتاب والسنة، وفيما يحكمان به فصل الخطاب، والعدل والحق والصواب، ولو أن السراج الهندي أسلم وجهه لله، وجرد قلبه من إثم هواه، لوالى الله سبحانه ولم يوال ابن الفارض. وثمت يدين بالحق، وهو أن ابن الفارض عدو للحق.

(٢) هو حاطب بن أبي بلتعة، اتفقوا على شهوده بدرًا وثبت ذلك في الصحيحين من حديث علي في قصة كتابة حاطب إلى أهل مكة يخبرهم بتجهيز رسول الله ﷺ إليهم، فنزلت فيه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ﴾ (الممتحنة: ١) الآية، فقال عمر: دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال رسول الله ﷺ: «إنه قد شهد بدرًا، وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم». وقد روى حديث حاطب الجماعة كلهم إلا ابن ماجة. ومكان الحجة هنا: تأول عمر فعل حاطب بالنفاق، وعدم مؤاخذة الرسول لعمر في تأوله هذا. ولكن حاطبًا رجل أخطأ فندم وتاب فأين من هذا إصرار ابن الفارض، وتصريحه الجلي بأنه هو الله؟!

(٣) يعني: تعزير السراج الهندي لابن أبي حجلة. وقد حفل البقاعي بهذا التعزير، كأنما السراج إله يعزر عاصيًا. وماذا ينتظر الناس من السراج؟! ألا إنما الحق غني عن تأييد الملايين من أمثال السراج هذا.

(٤) ولد بأشمون جريس سنة ٧٨١ تقريبًا. وتوفي سنة ٨٩٢ يقول عنه السخاوي في الضوء: «وأما في تحقيق مذهب القوم فهو حامل رايته. والمخصوص بصريحه وإشارته».

وقال العلامة بدر الدين حسين بن الأهدل ـ وهو من أعيان صوفية اليمن وفقهائهم ـ: «واعلم أن ابن الفارض من رؤوس أهل الاتحاد» واستشهد على[١] بشراح التائية من أتباعه مثل سعيد الفرغاني وداود القيصري، ومحمود الأبزاوي.

شواهد من تائية ابن الفارض

وإياك والإعراضَ عن كل صورة ▪▪▪ مُمَوهَةٍ، أو حالة مستحيلة
فَطَيْفُ خيال الظل يبدي[٢] إليك في ▪▪▪ كَرَى اللهو، ما عنه الستائرُ شُقَّت
ترى صور الأشياء تُجْلى عليك مِنْ ▪▪▪ وراء حجاب اللبس[٣] في كل خلعة
تجمعت الأضداد فيها لحكمه[٤] ▪▪▪ وأشكالها تبدو على كل هيئة
صوامِتُ تبدي النطق وهي سواكن ▪▪▪ تَحرك تهدي النور غير ضَوِيَّة

ثم ذكر أنواعًا من الأضداد في نيف وعشرين بيتًا، ثم قال:

وكل الذي شاهدتَه فعل واحد ▪▪▪ بمفرده، لكن بِحَجْبِ الأكِنَّةِ
إذا ما أزال الستر لم تر غيره ▪▪▪ ولم يبق بالأشكال إشْكالُ ريبة
ويجمعنا في المظهرين تشابه ▪▪▪ وليست لحالي حالُه[٥] بشبيهة
فأشكاله كانت مظاهر فعله ▪▪▪ بستر تلاشت إذ[٦] تجلى وولَّت
وكانت له بالفعل نفسي شبيهة ▪▪▪ وحسي كالأشكال، واللَّبْسُ سترتي

---

(١) لعله سقط من الناسخ بعد على، كلمة: قوله، أو هذا.
(٢) في الأصل: يهدي.
(٣) في الأصل: النفس. والتصويب من الديوان.
(٤) في الأصل: بحكمة.
(٥) في الأصل: حالة.
(٦) في الأصل: إذا

تمجيد الصوفية لعبادة الأصنام

وقال في الفص النوحي أيضًا: ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا﴾ (سورة نوح: ٢٤) أي جيَّروهم في تعداد الواحد بالوجوه والنِّسب ﴿وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ﴾[١]. لأنفسهم «المصطفين» الذين أورثوا الكتاب، فهم أول الثلاثة[٢]، فقدمه على المقتصد والسابق ﴿إِلاَّ ضَلالاً﴾ إلا حيرة المحمدي «زدني فيك تحيرًا»[٣]، ﴿كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾ (سورة البقرة: ٢٠). فالحائر له الدور، والحركة الدورية[٤] حول القطب[٥]، فلا يبرح منه. وصاحب الطريق المستطيل مائل خارج عن المقصود، طالب ما هو فيه. صاحب خيال

---

(١) يعني: من ذكروا في قوله تعالى: ﴿وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلاَّ ضَلالاً﴾ (نوح: ٢٤) وقد عرفهم الزنديق بأنهم: هم المصطفون الأخيار.

(٢) يشير إلى الثلاثة الذين ذكروا في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ (فاطر: ٣٢) وقد سوى الزنديق بين مفهوم الظلم هنا، وبين مفهوم الظلم في قوله تعالى: ﴿وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلاَّ ضَلالاً﴾ يهدف بهذه التسوية إلى تقرير أن عباد الأصنام من قوم نوح هم من الذين اصطفاهم الله سبحانه!! ناسيًا عن عمد كفور أن الظلم في قوله سبحانه ﴿ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ﴾ مقيد، وأنه هناك مطلق. وأن الظالم لنفسه في الآية مذكور في مقام ثناء، وأن الظالمين من قوم نوح ذكروا في مقام الذم.

ولا عجب، فالمصطفى عند الصوفية هو الظالم، والظالم عندهم من شاهد الواحد كثيرًا، فعدد الواحد، وسار منه إلى الكثير، والمقتصد من يشهد الكثرة في الواحد والواحد في الكثرة. جامعًا في شهوده بين الحق والخلق. والسابق هو من يشهد الكثير واحدًا، ويسير من الكثير إلى الواحد. ويرى الصوفية في الظالم أفضل الثلاثة إذ لا يرى الواحد إلا كثيرًا بالاعتبار فقط. ويلزمهم من هذا أن يكون ربهم ناقصًا كاملاً، وأن يكون مغايرًا لنفسه، إذ الثلاثة عندهم عين الحق. فيكون الحق المتعين في الظالم غير المتعين في المقتصد. في حين هم يدينون بأن هوية كل شيء عين هوية الحق!!

(٣) يستشهد ابن عربي بهذا على أنه حديث نبوي كما يأفك الصوفية. ولكن اسمع لابن تيمية يقول عنه: «لم يرو هذا الحديث أحد من أهل العلم بالحديث، ولا هو في شيء من كتب الحديث، ولا في شيء من كتب من يعلم الحديث، بل ولا من يعرف الله ورسوله» ص٤٥ جـ٤ مجموعة الرسائل والمسائل.

(٤) في الأصل: الدور، والتصويب من الفصوص.

(٥) يريد به هنا: الله سبحانه: وهو متعين في الحقيقة المحمدية!! سبحانه عما يأفك الزنادقة.

إليه غـايته، فله «من، وإلى»[١] وما بينهـما، وصاحب الحـركة الدورية، لا بدء له، فيلزمه «من» ولا غاية له[٢] فتحكم عليـه «إلى» فله الوجود الأتم، وهو المُؤتي جوامع الكلم والحكم ﴿ مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ ﴾[٣] فهي التي حطت بهم، فغرقوا في بحار العلم بالله، وهو الحيرة فأدخلوا ناراً» في عين الماء[٤]، في المحمديين ﴿ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴾ (سورة التكوير: ٦) سجرت التنور إذا أوقدته. ﴿ فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَارًا ﴾ فكان الله عين أنصارهم[٥] فهلكوا فيه إلى الأبد، فلو أخرجهم إلى الـسيف، سيف الطبيعة لنزل بهم عن هذه الدرجة الرفيعة، وإن كان الكل لله، وبالله، بل هو الله.

---

(١) يقول بالي أفندي في شرحه للفصوص «أي له ابتداء ومسافـة، فابتداؤه من نفسه، وانتهاؤه إلى خياله، ومسافته ما بينهما. فلا يصل إلى مطلوبه بهذا الطريق، وهو طريق العابدين من أهل الظاهر» انظر ص ٨٤ من الشرح المذكور.
واهًا للصـوفـية!! حتـى بالي أفنـدي يؤمـن بأن من يعـبد الله بما شرعـه الله، لا ينعم بالإيمان ولا بمحبة الله!!

(٢) يقـول بالي ص ٨٤ من شـرحه لـلفصـوص «ولا غـاية له لمشـاهدة مطلوبة في كل مظهـر، ولا نهـاية للمظاهر، فلا غـاية لصاحب هذه الحـركة» يعني: أن الصوفي الحق، والموحـد الحق، هو من يدين بأن الحق عين الخلق، وهذا الموحـد بدؤه عين غايته، وأولـه نفس آخره، فهـو أشبه بمـن يديم الطواف حول دائرة. إنه ينتهي إلى حيث بدأ، ويبدأ من حيث انتهى. والصوفي يبدأ من عبادة الظاهر أو الحق، وينتهي إلى عبـادة المظاهر أو الخلق، ولكن: مـا تلك المظاهر؟ إنها عين الـظاهر؟ ومن أولئك الخلق؟ إنهم عين الحق، فلا يقال عنه إنه بدأ أو انتهى، فالبداية عين النهاية!! هذا مراد الزنديق من قوله: ولا غاية له.

(٣) يقصـد قوله تعـالى عن قوم نوح: ﴿مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَارًا﴾ (نوح: ٢٥)، ويمجـد الفاجـر خطايا الوثنيين من قـوم نوح، ويزعم أنهـا خطت بهـم إلى قدس أقـداس الحقيقة، فعرفوا أنهم أرباب تعبد آلهة هي الأصنام، ويفسر الإغراق بأنه إغراق في بحار العلم بالله!

(٤) يفسر النار بأنها هي الماء، فأي عمه بصري، وغباء حسي، وخيال فكري أخبث من هذا؟

(٥) في الأصل: ناصرهم. وتأمل رعـونة الزندقة، وجرأة باطلها على الحق المبين مـن كتاب الله. إذ يزعم أن الله سبحانه ما نفى وجود الأنصـار للوثنيين، إلا لأن الله نفسه كان هو عين أنصار أولئك الوثنيين. فمـا ثم غيـره حتى يمكن نفي وجـوده. ولم لا يفجـر الزنديق كل هذا الفجـور، وهو يدين بأن هذه الأوثان هي الله ... سبحانه عما يأفك الزنادقة.

«قال نوح: رب» ما قال: إلهي. فإن الرب له الثبوت، والإله يتنوع[1] بالأسماء، فهو كل يوم هو في شأن. فأراد بالرب ثبوت التكوين؛ إذ لا يصح إلا هو، ﴿لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ﴾ يدعو عليهم أن يصيروا في بطنها المحمدي«ولو دليتم بحبل لهبط على الله»[2]، (له ما في السماوات، وما في الأرض)[3]، وإذا دفنت فيها [فأنت فيها]، وهي ظرفك ﴿وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ (سورة طه: ٥٥). [١٤] لاختلاف الوجوه ﴿مِنَ الْكَافِرِينَ﴾[4] الذين «استغشوا ثيابهم، وجعلوا أصابعهم في آذانهم» طلبًا للستر، لأنه دعاهم ليغفر لهم.

والغفر الستر ﴿دَيَّارًا﴾ أحدًا، حتى تعم المنفعة كما عمت الدعوة «إنك إن تذرهم» أي تدعهم وتتركهم ﴿يُضِلُّوا عِبَادَكَ﴾ إلى الخير، فيخرجوهم من العبودية إلى ما فيهم من أسرار الربوبية فينظرون أنفسهم أربابًا بعد ما كانوا عند أنفسهم عبيدًا،

---

(١) في الأصل: تنوع. وابن عربي يدين بأن كل شيء هو اسم إلهي تعين في صورة ذلك الشيء. ولذا فكل شيء إله يجب أن يعبد، ولما كان لكل شيء اسمه الخاص به فإن الحق تعددت وتنوعت أسماؤه تبعًا لتنوع الأشياء وتعدد أسمائها، فالأشياء كلها تعينات أسمائه. فيسمى الإله الصوفي إذن صنمًا باعتبار تعينه في شيء سمي: الصنم. ويسمى: عجلاً، وخنزيرًا، وميكروبًا، وقاتلاً، وبغيًا، بنفس ذلك الاعتبار.

فلا تعجب: إذا رأيت الصوفي يعبد درويشة، أو عاهرة، فإنهما اسمان لإلههما تعينًا في صورتي درويشة وعاهرة!! هذا ما يريده ابن عربي، الشيخ الأكبر والكبريت الأحمر من قوله: والإله يتنوع بالأسماء.

(٢) هذا حديث منقطع، لأنه من رواية الحسن عن أبي هريرة، والحسن لم ير أبا هريرة وبالتالي لم يسمع منه. وقد رواه الترمذي، وقال عنه: إنه غريب. وأوقن أن هذا الحديث قد دسه إما صوفي، وإما جهمي تأييدًا لأسطورة الحلول، أو أسطورة أن الله في كل مكان بذاته. فهو مصادم للقواطع من كتاب الله، فمن قول الله سبحانه: ﴿أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ﴾ فكيف يتوعدهم بخسف الأرض وهو فيها؟؟

(٣) عقب ما ظنه حديثًا بالآية، استشهادًا بها على صدق أسطورة الوحدة. والآية ما فيها إلا حق يهدم كفر الباطل. إذ تفيد أن السماء والأرض ملك لله وحده، يفيد الأول اللام، والثاني تقدم الجار والمجرور. يفهم هذا من له أدنى إلمام بالعربية، ولكن ابن عربي يلبس حتى في البدهيات.

(٤) يعني: الذين دعا عليهم نوح عليه السلام.

فهـم العبيـد الأرباب، ﴿وَلَا يَلِدُوا﴾ أي ما ينـتجون ولا يظـهرون ﴿إِلَّا فَاجِرًا﴾ أي مظهرًا ما ستر ﴿كَفَّارًا﴾ أي ستارًا ما ظهر بعد ظهوره، فينظرون ما سُتر، ثم يسترونه بعد ظهوره، فيحار الناظر، ولا يعرف قصد الفاجر في فجوره، ولا الكافر في كفره، والشخص واحد ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي﴾ (سورة نوح:٢٨)[١] استرني، واستر من أجلي، فيجهل مـقامي وقـدري، كمـا جـهل قدرك في قـولك: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ (سورة الزمر:٦٧)، ﴿وَلِوَالِدَيَّ﴾ من كنت نتيـجة عنهمـا، وهما العقل والطبيـعة ﴿وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ﴾ أي قلبي ﴿مُؤْمِنًا﴾ أي مصدقًا لما يكـون فيه من الإخبارات الإلهـية، وهو ما حدثت به أنفسها[٢]، ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ من العقول ﴿وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ من النفوس[٣]، ﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ﴾ من الظلمات أهل الغيب المكتنفين خلف الحـجب الظلمانية ﴿إِلَّا تَبَارًا﴾» أي هلاكًا، فلا يعـرفون نفوسهم، لشهودهم وجـه الحق دونهم في المحمديين: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ (سورة القصص:٨٨). والتبار الهلاك»[٤].

الحق عين الخلق عند الصوفية

ثم قـال في فص حكمة قـدوسيـة في كلمة إدريسـية: «ومن أسـمائه الحـسنى: العلي. على[٥] من؟

---

(١) سيبدأ في تفسـير قوله تعالى: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾ (نوح:٢٨)، وسترى في تفـسيره كيف يضع للفظ الكفر مـعنى الإيمان الحق، وللفظ الباطل معنى الحق.

(٢) في الأصل: أنفسهم، وصوبتها من الفصوص.

(٣) فسر الإضلال بأنه الإخـراج من الباطل والشر إلى الحق والخير، أي من الظن بأنهم عـبيد، إلى اليقين بأنهم في حقـيقتهـم أرباب!! وفسر الوالدين بالعقـل والطبيعة، والبـيت بالقلب، والمؤمنين والمؤمنات بالعقول والنفوس، والهـلاك بشهود الحق في الخلق. وهكذا يعبث الصوفية عـبث الجرأة الكافرة باللغة التي نزل بها القرآن. فيضعون للشيء معنى نقيضه، ويزعمون بهذا أنهم أهل الباطل، أي الباطن!!

(٤) ص ٧٢ - ٧٤ فصوص.

(٥) في الأصل: علا عن من. وهي - كما أثبت - في الفصوص.

وما ثم إلا هو!! فهو العلي لذاته، أو عن مـاذا؟ وما هو إلا هو!! فعلوه لنفسه، وهو من حيث الوجود عين الموجودات، فالمسمى محدثات هي العليـة لذاتها، وليست إلا هو[١]. فهــو العلي، لا علو إضافة، لأن الأعـيان التي لها العـدم الثابتة فيـه، ما شمت رائحـة من الوجود، فهي على حـالها مع تعداد الصـور في الموجودات والعين واحدة من المجـموع في المجموع، فـوجود الكثرة في الأسـماء، وهي النسب، وهي أمور عدمية، وليس إلا العين الذي هو الذات، فهـو العلي لنفسه، لا بالإضافة، فما في العالم من هذه الحيثية علو إضافة، لكن الوجوه الوجودية متفاضلة، فعلو الإضافة موجود في العين الواحـدة من حيث الوجوه الكثيرة، لذلك نقـول فيه: هو، لا هو. أنت، لا أنت[٢].

قال الخراز[٣]: وهو وجه من وجوه الحق، ولسان من ألسنته ينطق عن نفسه: بأن الله لا يعـرف إلا بجمـعه بين الأضـداد في الحكم عليـه بها، فـهو الأول والآخـر،

---

(١) هذا صريح جـدًا في الدلالة على أن ابن عربي يؤمن بوحدة الوجـود المادية والروحية. وقد عـبر عن إيمانه هذا بقوله: «فالمسمى محدثات هي العلية لذاتها» ثم زاد الكفر غلوًا وتوكيدًا، فقال: «وليست إلا هو» هكذا باقـوى وأوكد أسلوب من أسـاليب القـصر. ولعل في هذا مـا يكشف لك عن علة مـقت الصوفية لكلمة التقوى والتوحيد «لا إله إلا الله» وقولهم بدلاً عنها: «ليس إلا الله» أو «لا هو إلا هو» وبهذا دان الغـزالي، وقرره في مشكاة الأنوار، أو «هو الله» أو «هو هو» مما يهـولون به على المخابيل، ويهدفون به إلى تأييد مذهبهم في الوحدة: شهودية، أو وجودية.

(٢) هو، وأنت: إيجاب، ولا هو، ولا أنت: سلب، فهما إذن نقيضان، لا يجتمعان، ولا يرتفعان. وإذا حكمت بثبوت أحدهما أو نفيه استلزم هذا لزومًا قطعيًا الحكم بنفي الآخر أو ثبوته. بيد أن الصوفية لا يحفلون في سبيل إثبـات وجود العدم بقانون من قوانين اللغة أو الفكر، بل لديـهم الجرأة البالغة على تكذيب ما يشهد به الحس، وما يقطع ببداهته العقل، والبين الجلي من كتاب الله.

ومعنى قول ابن عربي: إنك تستطيع أن تقول عن كل شيء إنه هو الله باعـتبار هويته وماهيته، وتقول ليس هو الله بالنظر إلى اسمه الخـاص به، وإلى أنه أحد تعينات الذات لا كل تعيناتهـا، وكذلك افهم قوله: أنت لا أنت.

(٣) هو أحمد بـن عيسى أبو سعيـد الخراز من صوفيـة بغداد توفي سنة ٢٧٧هـ. وسيذكـر ابن عربي صريحًا أن الخراز هو الله سبحانه!!

والظاهر والباطن، فهو عين ما ظهر، وهو عين ما بطن في حال ظهوره، وما ثم من يراه غيره[١]، وما ثم من يبطن عنه فهو ظاهر لنفسه، باطن عنه، وهو المسمى أبا سعيد الخراز، وغير ذلك من [أسماء] المحدثات»[٢].

قلت: وقال ابن الفارض:

أممت إمامي في الحقيقة، فالورى	ورائي وكانت حيث وجهت وجهتي
يراها أمامي في صلاتي ناظري	ويشهدني قلبي إمام أئمتي
ولا غَروْ أن صلى الأنام إليّ، أن	ثوت بفؤادي وهي قبلة قبلتي
لها صلواتي بالمقام أقيمها	وأشهد فيها أنها لي صلت
كلانا مصل ساجد إلى	حقيقته بالجمع في كل سجدة
وما كان لي صلى سواي، ولم تكن	صلاتي لغيري في أدا كل ركعة
إلى كم أواخي[٣] الستر، ها قد هتكته	وحلُّ أواخي[٤] الحجب في عقد بيعتي
أفاد اتخاذي[٥] حبها لاتحادنا	نوادر عن عادِ المحبين شذت

---

(١) إذ كل شيء عنده هو الله، فإذا رأى الصوفي إنسانًا قال: الله رأى الله، وإذا عبد المشرك صنمًا قال الصوفي: الله عبد الله، وهكذا استطرد في كل اثنين. حتى العاهر مع العاهرة!! وتعالى الله عما يأفك الزنادقة.

(٢) ص ٧٦ - ٧٧ فصوص. وهذا صريح جدًا في أن ابن عربي يؤمن بأن الله سبحانه عين كل شيء: مادي، أو روحي!!

(٣) من المواخاة بمعنى الملازمة.

(٤) جمع آخية، وهي ما يبرز - كالحلقة - من الحبل المدفون طرفاه في الأرض وتشد إليها الدابة، ويراد بها الحرمة والذمة.

(٥) في الأصل: اتحادي، والتصويب من الديوان.

وفي الصحو بعد المحو[1] لم أك غيرها ■■■ وذاتي بذاتي إذ تحلت تجـــعلت[3]

فوصفي إذ لم تدع باثنين وصفها ■■■ وهيئتها - إذ واحد نحن - هيئتي[3]

فإن دعيت كنت المجيب، وإن أكن ■■■ منادى أجابت من دعاني ولبت

وإن نطقت كنت المناجي[4] كذاك[5] إن ■■■ قصصت حديثًا إنما هي قصت

فقد رفعت تاء المخاطب بيننا ■■■ وفي رفعها عن فرقة الفرق رفعتي

فجاهد تشاهد فيك منك وراء ما ■■■ وصفت سكونًا عن وجود سكينة

فمن بعد ما جاهدت، شاهدت مشهدي[6] ■■■ وهادي[7] لي إياي، بل بي قدوتي

فبي موقفي، لا، بل إليَّ توجهي ■■■ كذاك صلاتي لي، ومني كعبتي

---

(١) الصحو عند الصوفية: هو رجوع العارف إلى الإحساس بعد غيبته وزوال إحساسه. والمحو: إسقاط إضافة الوجود إلى الأعيان، ولا موجود عندهم إلا الحق سبحانه وحده، فهو العابد باعتبار تعينه وتقيده بصور العبد التي هي شأن من شئونه الذاتية، وهو المعبود باعتبار إطلاقه. انظر (التعريفات للجرجاني، وجامع الأصول في الأولياء للكمشخانلي تحت مادتي الصحو والمحو). وابن الفارض هنا يغلو في إثبات الوحدة، فيزعم أنه هو الله، لا في حال المحو فحسب، بل في حال الصحو أيضًا. وهذا يؤكد لك أنه يعني ما يقول، ويؤمن بالوحدة صحوًا ومحوًا، فما هي شطحات، ولكنها عقيدة ينبت عليها قلبه ودينه، وما هو بهذيان سكران كما يهرف الصوفية، ليقولوا: وكلام السكران معفو عنه، فيطوى، ولا يروى!!

(٢) يشرح القاشاني هذا البيت بقوله: «أي ارتفع غيريتي في حال الصحو بعد المحو، وحينئذ زينت ذاتي بذاتي إذا تجلت، ولا ينتج تجليها السكر، لأنها لا تصادف غيرها «يعني أنها صارت هي الله» وهذا هو نهاية الاتحاد» انظر شرح القاشاني - وهو من عباد ابن الفارض - للتائية.

(٣) هذا البيت ليس في الأصل، وقد أثبته عن ديوان ابن الفارض، وسيأتي شرحه.

(٤) في الأصل: المجيب. والتصويب من الديوان.

(٥) في الأصل: كذلك.

(٦) في الأصل: مشهدتي.

(٧) في الأصل: وهادي.

الوحدة المطلقة دين ابن عربي

قال الإمام زين الدين العراقي في جواب السؤال المذكور: «وأما قوله[١]: فهو عين ما ظهر، وعين ما بطن، فهو كلام مسموم، ظاهره: القول بالوحدة المطلقة، وأن جميع مخلوقاته هي عينه، ويدل على إرادته لذلك صريحًا قوله بعد ذلك: «وهو المسمى أبا سعيد الخراز، وغير ذلك من أسماء المحدثات» وكذا قوله بعد ذلك: «والمتكلم واحد، وهو عين السامع» وقائل ذلك والمعتقد له كافر بإجماع العلماء».

لا يُعتذر عن الصوفية بالتأويل

ثم قال: «ولا يقبل ممن اجترأ على مثل هذه المقالات القبيحة أن يقول: أردت بكلامي هذا خلاف ظاهره، ولا نؤول له كلامه، ولا كرامة.

ولقد أحسن بعض من عاصرناه من العلماء العارفين، وهو الشيخ الإمام العلامة علاء الدين علي بن إسماعيل القونوي حيث سئل عن شيء من هذا. فقال: «إنما نؤول كلام من ثبتت عصمته حتى نجمع بين كلاميه[٢]، لعدم جواز الخطأ عليه، وأما من لم تثبت عصمته، فجائز عليه الخطأ والمعصية والكفر، فنؤاخذه بظاهر كلامه، ولا يقبل منه ما أول كلامه عليه مما لا يحتمله، أو مما يخالف الظاهر، وهذا هو الحق» انتهى.

---

(١) يعني: ابن عربي.

(٢) هذا على دين من يقول بوجوب التأويل لآي القرآن، أو الأحاديث التي يرون ـ وهو ـ أي ضلالة ـ أن في حملها على ظاهرها إثباتًا لوجود التعارض بين العقل والنقل. وما أتى هؤلاء إلا من إيمانهم بأسطورة الفلسفة الملحدة، وهي أن العقل حاكم على النقل، وأنه القاعدة، والمقياس، فإذا رأى العقل في كلام الله ما لا يوافق مقاييسه وقيمه، وجب تأويله حتى لا يتعارض معه!! يجعلون المخلوق حاكمًا على الخالق، والعبد محددًا للقيم التي يجب أن يؤمن بها الرب، ويوجبون على الله ألا يتكلم سبحانه إلا بما يتواءم وهوى عبيده!! هكذا يفعل المؤولة، اقتداء بآلهتهم الفلاسفة، فما صاروا فلاسفة، وما قدروا على أن يعودوا مسلمين، والقونوي هو أبو الحسن نور الدين المصري الشافعي، ولد سنة ٦٧٣، وتوفي سنة ٧٢٤ هـ وهو من خصوم ابن تيمية، حتى لقد وثب مرة عليه، ونال منه.

خطر صرف الكلام عن ظاهره

وكذا قال في عدم التأويل لغير المعصوم الإمام نور الدين علي بن يعقوب البكري الشافعي، وقد حقق هذه المسألة حجة الإسلام[(١)] أبو حامد الغزالي في أول الإحياء في كتاب العلم بما حاصله: أن الكلام إن كان ظاهرًا في الكفر بالاتحاد فقتل واحد ممن يقول به أفضل من إحياء عشرة أنفس، وإن كان فهمه مشكلاً فلا يحل ذكره.

وقال: إن الألفاظ إذا صرفت عن مقتضى ظواهرها بغير اعتصام بنقل عن صاحب الشرع، وبغير ضرورة تدعو إلى ذلك من دليل العقل[(٢)] اقتضى ذلك بطلان الثقة بالألفاظ.

ثم قال: والباطن لا ضبط له، بل تتعارض فيه الخواطر[(٣)]، ثم قال: وبهذا الطريق توصل الباطنية إلى هدم جميع الشريعة.

---

(١) إنما حجة الإسلام كتاب الله وسنة رسوله، وكيف يعتبر حجة للإسلام رجل يشهد على نفسه أنه رديء البضاعة في الحديث، وأنه لم يجد الحق إلا في التصوف؟!

(٢) لو تركنا للعقل الحرية في صرف اللفظ عن ظاهره، أي عن معناه الذي هو له لصارت الحقائق كلها نسبية أو اعتبارية، بل لما بقي حق واحد يؤمن به الفكر العام، ولعدنا إلى السفسطائية، إذ سيصبح جائزًا لكل إنسان ادعاء أن هذا اللفظ، أو ذاك يجب صرفه عن ظاهره، لأن عقله يحكم بذلك، ولا يمكن لامرئ ما معارضته، ما دمنا قد وضعنا له من قبل قاعدة وجوب صرف اللفظ عن ظاهره إذا تعارض مع العقل!! والفلاسفة أنفسهم لم يجمعوا على حقيقة واحدة بل آمن كل بإله ليس هو إله الآخر في ماهيته وصفاته بل كان الفيلسوف يؤمن أو يكفر بما كفر أو آمن به من قبل، ونظرة واحدة إلى نتاج الفكر الفلسفي تبين لك عما فيه من تناقض حاد، وتضاد متوتر، فأي عقل من هذه العقول نجعله قيمًا على الحق، وحكمًا بين الخطأ والصواب؟!

(٣) هذا حق لا حرية فيه، بيد أن من قرره لا يؤمن به إلا حين يخاطب عوام الناس في زعمه، أما في كتبه المضنون به على غير أهلها فهو باطني يجرد اللفظ من معناه في جرأة بالغة، وحسبك أن من أساتذة الغزالي إخوان الصفا، وأن في كتبه المضنون بها آثارًا ظاهرة من باطنيتهم الخبيثة، وعجيب أن يحمل الغزالي على الباطنيين، وهم أساتذته، وهو من رواد مشاعرهم؟!

وسيأتي تـأييد ذلك عن الشيخ زين الدين العراقي وولده الحـافظ أبي زرعة [١٦] وحكاية ابن خليل السكوني الإجماع على ذلك.

صلة الخلق بالحق عند الصوفية

ثم قال ابن عربي في الفص الإدريسي أيضًا: «وما ظهر حكم العدد إلا بالمعدود: والمعدود منه عدم، ومنه وجود، فقـد يعدم الشيء من حيث الحس، وهو موجود من حيـث العقل، فـلابد من عدد، ومن مـعدود، ولابد من واحـد ينشئ ذلك، فينـشأ بسببه، فإن كل مرتبة[١] من العدد حقيقة واحدة كالتـسعة مثلاً، والعشرة [إلى أدنى، وإلى أكثر، إلى غير نهاية] ما هي مجموع، ولا ينفك عنها اسم جمع الآحاد»[٢].

ثم قال: «ومن عرف ما قررناه في الأعداد، وأن نفيها عين إثباتها[٣] علم أن الحق المنزه هو الخلق المشبه[٤] وإن كان قـد تميز الخلق من الخالق، فالأمـر الخالق المخلوق،

---

(١) في الأصل: وإن كان كل. وهو موافق لبعض نسخ الفصوص.

(٢) ص٧٧ جـ١ فصوص.

(٣) في الأصل: ثبوتها، والتصويب من الفصوص.

(٤) يمثل الزنديق علاقـة الحق بالخلق، بعلاقة الواحـد الحسابي بالأعداد، فـيزعم أن جميع الأعـداد صور للواحد، وكذلك الوجـودات المتعددة ما هي إلا صور للـوجود الواحد، هو الوجود المطلق. فالتـسعة مثلاً هي الواحد مكررًا، فلك القـول بأن الواحد عين التسعة، ولك القول بأنه غيرها، بـيد أنها غيرية مجازية، أو اسمية فقط. وكذلك الحق سبحانه ـ هكذا يأفك الزنديق ـ والخلق، فهذا عين الحق باعتبار الهوية والماهية، وهو غيره باعتبار خصوصيته، أي كونه مظاهرًا للذات الواحدة، ولكنها غيرية ذهنية لا تحقق لها في الخارج. ألا تراه يزعم: «إن الحق المنزه عين الخلق المشبه»؟!

وما أظن الكفر تجرأ على الله من أحد بمثل هذه الجرأة من ابن عربي، وما أظنه صرح عن خبيئته بما هو أبين من هذه الصراحة. والرد على تلبـيس ابن عربي هين. فالأعداد في ذاتها حقـائق معقولة، لا توجد في الذهن، ولا توصف بالوجود الخـارجي إلا بالنسبة للمعدودات، ثم إن معـدود الأربعة مثلاً ليس بلازم أن يكون عين معدود الخمسة، بل ولا عين معدود أربعـة أخرى، فقد يكون معدود الخمسة أقلامًا، فيكون الواحـد فيها قلمًا. وقد يكون معـدود الأربعة كتبًا، فيكون الواحد منهـا كتابًا. فيكون الواحد في الأربعة غير الواحد في الخمسة.

=

والأمـر المخلوق الخالق كل ذلك من عـين واحدة [لا]، بل هو العين الواحـدة، وهو العيون الكثيرة»[١].

الطبيعة هي الله عند الصوفية

ثم قال: «وخلق منهـا زوجها [فـما نكح سوى نفسـه، فمنه الصاحـبة والولد، والأمر واحد في العدد][٢]، فمن الطبـيعة؟ ومن الظاهر منها؟ ومـا رأيناها نقصت بما ظهر منها، ولا زادت بعـدم ما ظهر!! وما الذي ظهر غيرها؟ ومـا هي عين ما ظهر، لاختلاف الصور بـالحكم عليها. فهذا بارد يابس، وهذا حار يابس، فـجمع باليبس، وأبان بغير ذلك، والجـامع الطبيعة [لا]، بل العين الطبيـعة، فعالم الطبيـعة صور في

= بل غيره في أربعة أخرى، وهكذا في كل معدود. وهي غيرية حقيقية في الذاتيات والعرضيات. ولكن ابن عـربي يوقن بأن الحق المتـلبس بصـورة الصنم عين الحق المتلبس بـصورة الخنـزير، يؤمن بأن الحق المعبود في عجل السامري عين الحق المعبود في البار، وهبل.

أما الأعداد فـقد رأيت أن الواحد في الأربعة يغاير الواحـد في الخمسة مثـلاً، أو في أي عدد آخر مغايرة حقيقية، نعم معنى الواحد في عـدد ما عين معناه في عدد آخر، لكنها عينية ذهنية، أو تجريدية فحسب.

أما ابن عربي فـيؤمن بتحقيق العـينية في الوجود الخارجي، إذ يدين بأن مـا في الخارج عين ما في الذهن. وهذا واضح البطلان، فـالمستـحيل يـوجد في الذهن، ولكنه لا يوجـد في الخارج، وكـذلك المطلق والبكلي بشرط الإطلاق والكلية يوجدان في الذهن، ولا يوجدان ألبتة في الخارج.

(١) ص ٧٨ جـ١ فصوص.

(٢) كل ما بين هذيـن [ ] ساقط من الأصل، وأثبتـه عن الفصـوص. وأظنك قد لاحظت عـرام الغريزة الدنيئة كيف وضع لابن عربي دينه في قوله: «فما نكح سوى نفسه»!! ولاحظت التثليث الذي يصوره ابن عربي بصورة أدنأ من تثليث المسـيحية المفلسفة. إذ يزعم أن الذات الإلهـية ثلاثة أقانيم: أقنوم هو الزوج، وثان هو الزوجة، والأخـير هو الولد؛ هذه الأقانيم الثلاثة هي الإله الواحـد عند ابن عربي!! أفيستطيع الصوفية افتراء أنهم مسلمون؟!

مرآة واحدة، لا. بل صورة واحدة في [مرايا] مختلفة[١]، فما ثم إلا حيرة، لتفرق النظر، ومن عرف ما قلناه لم يحر، وإن كان في مزيد علم، فليس إلا من حكم المحل، والمحل عين العين الثابتة، فيها يتنوع الحق في المجلى، فتتنوع الأحكام عليه، فيقبل كل حكم، وما يحكم عليه إلا عين ما تجلى فيه، وما ثم[٢] إلا هذا ـ شعر:

فالحق خلق بهذا الوجه، فاعتبروا ■■■ وليس خلقًا بذاك الوجه فادّكروا
من يدر ما قال، لم تخذل بصيرته ■■■ وليس يدريه إلا من له نصر
جمع[٣]، وفرق، فإن العين واحدة ■■■ وهي الكثيرة، لا تبقي ولا تذر[٤]

دين ابن الفارض

قلت: وهذا مراد ابن الفارض بقوله:

وجل في فنون الاتحاد، ولا تحد[٥] ■■■ إلى فئة في غيره العمر أفنت
فواحده الجم الغفير ومن عداه ■■■ شرذمة في غيره العمر أفنت
فمت بمعناه، وعش فيه، أو فمت ■■■ معناه، واتبع أمة فيه أمت
فأنت بهذا المجد أجدر من أخي ■■■ اجتهاد مجد عن رجاء وخيفة

---

(١) يزعم ابن عربي أن مظاهر الطبيعة هي عين الذات الإلهية، والمظاهر الطبيعية مختلفة الأحكام، فمنها ما نحكم عليه بأنه حيوان أو جماد: رطب أو يابس، حار أو بارد. لذا وجب أن يحكم على الذات الإلهية بكل ما يحكم به على مظاهرها وهي العالم الطبيعي. فيقال عن الذات الإلهية: إنها حيوان جماد رطب يابس حار بارد، وغير هذا. ويزعم ابن عربي أن الله نفسه هو الذي يحكم على نفسه بهذه الأحكام، أي يحكم على نفسه سبحانه بكل ما يحكم به على كل مظاهر الطبيعة!! وحسب الصوفية إيغالاً في الزندقة إيمانهم برب هو جماد بارد!!

(٢) في الأصل: ما.

(٣) في الأصل: وجمع.

(٤) ص ٧٨ - ٧٩ جـ ١ فصوص.

(٥) في الأصل: تجد.

فألغ الكنى عني[١]، ولا تلغ الكنا ■■■ بها، فهي من آثار صيغة صنعتي
وأي بلاد الله حلت بها، فما ■■■ أراها، وفي عيني حلت غير مكة
وأي مكان ضمها حرم، كذا ■■■ أرى كل دار أوطنت[٢] دار هجرة
وما سكنته، فهو بيت مقدس ■■■ بقرة عيني، فيه أحشاي قرت
ومسجدي الأقصى مساحب بردها ■■■ وطيبي ثرى أرض عليها تمشت
وشكري لي، والبر مني واصل ■■■ إليّ، ونفسي باتحادي استبدت
وثم أمور تم لي كشف سترها ■■■ بصحو مفيق عن سواي تغطت
بها لم يبح من لم يبح دمه، وفي ■■■ الإشارة معنى ما العبارة حدت
وقلبي بيت فيه أسكن. دونه ■■■ ظهور صفاتي عنه من حجيتي
ومنها يميني فيَّ ركن مقبَّلٌ ■■■ ومن قبلتي للحكم في فيَّ قبلتي
وحولي بالمعنى طوافي حقيقة ■■■ [١٧] وسعيي لوجهي من صفائي لمروتي[٣]

---

(١) لما كانت الكنى اصطلاحات وضعها الإنسان الذي هو من صنع الإله الذي تجسد في هيكل ابن الفارض فإن هذا الإله الفارضي يأمر خلقه بإلغاء الكنى عنه، إذ لا يصح للمصنوع تعريف صانعه بكنية ما، وهدف ابن الفارض من هذا أن يؤمن الناس بما آمن به هو من الكفر الفاجر، وهو اعتقاد الوحدة التامة بين الحق والخلق، وأن يدينوا بأن ابن الفارض هو المجلي الأعظم، والمظهر الكامل للذات الإلهية، فليضيفوا إليه صفات الربوبية والإلهية!! ولما كان ابن الفارض يعلم أن كفرة هذا ينابذ الشرع. فإنه ألح في البيت الذي قبل هذا في تحذير أتباعه من الإصغاء إلى الشرع، أو من الميل إلى الأئمة المجددين المجتهدين الذين يعبدون الله وحده، وتمتلئ قلوبهم خوفًا من الله وحده، ورجاء فيه وحده.. وهكذا كل شيطان صوفي يحذر أتباعه من الشرع وأتباعه، ويأمرهم أن يكونوا بين يديه هو كجثة الميت بين يدي الغاسل، ويظل يقتل فيهم الشعور، ويميت منهم الكرامة، ويستعبد منهم الفكر، ويبيد فيهم كل إحساس بالذاتية، حتى يصبحوا لهواه عبيدًا صاغرين، فينتهك حرمات الله ظانين أنه ثم مع الله، ويلعق دم الجريمة، وهم يحسبون أنه بذلك يقضي دين حب الله، ويترع حميم الخمر، ويقسمون أنها شراب من يد الله!!

(٢) في الأصل: وطنت.

(٣) يقصد الصفا والمروة. يريد أن يقول: إنه إذا طاف فإنما يطوف حول نفسه، وإذا سعى بين الصفا والمروة فإنما يسعى لوجهه، ذلك لإيمانه بأن العابد والمعبود عين واحدة. ولقد أقسم لي صوفي: أنه ليس ممن يطوفون حول الكعبة بل هو ممن تطوف حولهم الكعبة!!

وفي حـــرم من بـاطـني أمن ظـاهـري ■■■ ومن حوله يخشى تخطف جيرتي[١]

وشـفـع وجـودي في شـهـودي ظـل في ■■■ اتحـادي وترا في تيـقظ غـفـوتي[٢]

ولم أله باللاهوت عن حكم مظهري ■■■ ولم أنس بالناسـوت مظهـر حكمـتي

وقـد جـاءني مني رسـول. عليـه مـا ■■■ عنتُّ، عـزيـز بي، حـريص لرأفـة[٣]

ومن عهد عهدي قبل عصر عناصري ■■■ إلى دار بعث قـبـل إنذار بعـثـة

إليَّ رسـولاً كنت مني مـرسـلا[٤] ■■■ وذاتي بآياتي عليَّ اسـتـدلت

---

(١) يريد أن يقول: إنه هو الحـرم. ويشير إلى قـوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾ (العنكبوت: ٦٧)، يا لزنديق يزعم أن باطنه الخبيث هو هذا القدس الطهور.

(٢) الشفع عند الصـوفية وجود الرب شـفع بوجود العبد، والـوتر عندهم وجود الرب فردًا باقيًـا بعد فناء وجود العبد. ولما يستلزمه الشفع من الاثنينية راح ابن الفارض ينفيه هنا نفيًا باتًا، ثم يؤكد أنه تجلى له عن شهود جلى، ويقظة شاعرة تمام الشعور أن الوجود ـ وجود الرب، ووجود العبد ـ واحد في أزليته وأبديته وأنه ما ثم إلا عين واحدة سميت باعتبار البـاطن حقًا، أو ربًا، وباعتبار الظاهر خلقًا أو عبدًا. تلك هي الذات الإلهية، ويؤكد الزنديق كـذلك أن ما كان يضيفه من سمات الوجـود وصفاته لنفسه، ويحسبه غير الوجود الإلـهي، كان أن ما كان يضيفه من سمات الوجود وصفاته لنفـسه. ويحسبه غير الوجود الإلهي، كان وهما من الأوهام استبـد بخياله الغافل المغرور. هذا لأنه أدرك تمام الإدراك أنه ما ثم غـير، ولا سـوى بل وحدة مطلقـة تشمل كل مظاهـر الوجود. هذا وغـيره يجـعلنا نوقن أن ابن الفارض ممن يؤمنون بالوحـدة، لا بالاتحاد. لأن الاتحاد افـتعال يستلـزم ثبوت وجودين اتحد أحـدهما بالآخر. في حين أنه هنا وفي مواضع كثيرة يقرر وحدة الوجود في أزل وأبد وسرمد وآن، وأنه ما كان في حال ما ولا آن ما ثنائيًا أبدًا، بل كان دائمًا هو الوجود الواحد.

(٣) في الأصل: برأفة.

(٤) قال القاشاني في شرحه: «فالذات الإلهية باعتبار التجرد والابتداء تكون مرسلاً، وباعتبار تلبسها بلباس النفس تكون مرسلاً إليها»، وهكذا يشد كل صوفي وتر الثالوث، فابن الفارض يزعم هنا أنه منذ القدم كان الله، ثم تلبس بصورة النفس، فأرسل بصفته وجودًا متجردًا، رسولاً إلى نفسه بصفته وجودًا مقيدًا بالتعين. فهو المرسل، والرسول، والمرسل إليه!! كان كذلك حتى وهو في غيابة الأزل.

العبد عين الرب عند الصوفية

ثم قال في فص حكمة علية في كلمة إسماعيلية: «والعبد[١] من كان عند ربه مرضيا، وما ثم إلا من هو مرضي عند ربه، لأنه الذي يبقي عليه ربوبيته فهو عنده مرضي، فهو سعيد» ثم قال ـ شعر:

فأنت عبد، وأنت رَبٌّ ■■■ لمن له فيه أنت عبد
وأنت رب، وأنت عبد ■■■ لمن له في الخطاب عهد
فكل عقد عليه شخص ■■■ يحله من سواه عقد[٢]

فرضي الله عبيده، فهم مرضيون، ورضوا عنه، فهو مرضي، فتقابلت الحضرتان[٣] تقابل الأمثال، والأمثال أضداد، لأن المثلين حقيقة لا يجتمعان، إذ لا يتميزان، وما ثم إلا متميز، فما ثم مثل[٤]، فما في الوجود مثل، فما في الوجود ضد، فإن الوجود حقيقة واحدة، والشيء لا يضاد نفسه.

---

(١) في الأصل: والسعيد

(٢) البيتان الأخيران ساقطان من الأصل، وأثبتهما عن الفصوص. يقرر ابن عربي: أن الإنسان رب من حيث هويته التي هي عين هوية الحق، وهو عبد باعتبار ما أطلقه عليه الشرع. ويعني بالعهد: المفهوم من قوله سبحانه: (ألست بربكم؟) مبتغيا من وراء ذلك إثبات أن ما سمى في عرف الشرع عبدا ما هو في الحقيقة إلا رب حق يدين بربوبيته العارفون، ويشهد بحقها السالكون على بصيرة.

(٣) هما حضرة الربوبية، وحضرة العبودية، ويقرر ابن عربي: أن من يغاير بينهما محجوب أعمى البصيرة، جاهل بحقيقة الله سبحانه.

(٤) في الأصل: إلا مثل. وابن عربي ينفي المثلية لأنه يدين بأن الوجود حقيقة واحدة، أما المثلية فتستلزم الاثنينية والغيرية بوجه ما. وما ثم عنده إلا حقيقة واحدة، أو وجود واحد لا كثرة فيه، ولا تعدد، ولا تباين، فالشيء الواحد لا يقال أنه يغاير نفسه، أو يضادها، أو يماثلها. هذا ما يريده بنفي المثلية، وقد بناه على ما يدين به من وحدة الوجود. ويغلو ابن عربي في جرأة الزندقة، فيزعم أن معتقده هذا دل عليه برهان العيان، أي شهود الحق متعددا في مظاهر خلقية .

فلم يبق إلا الحق، لم يبق كائن ■■■ فما ثَمَّ موصول، وما ثم بائن
بذا جاء برهان العيان، فما أرى ■■■ بعيني إلا عينه إذ أعاين [(١)]

النار عين الجنة عند الصوفية

ثم قال: «الثناء بصدق الوعد، لا بصدق الوعيد [والحضرة الإلهية تطلب الثناء المحمود بالذات، فيثني عليها بصدق الوعد، لا بصدق الوعيد، بل بالتجاوز] ﴿فَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ﴾ (سورة إبراهيم: ٤٧) لم يقل: ووعيده [(٢)]، بل قال: [ونتجاوز عن سيئاتهم] [(٣)] مع أنه تَوعَّد على ذلك، فأثنى على إسماعيل عليه الصلاة والسلام بأنه كان صادق الوعد.

فلم يَبْقَ إلا صادق الوعد وحده ■■■ وما لوعيد الحقِّ عين تُعَاينُ
وإن دخلوا دار الشقاء، فإنهم ■■■ على لذة فيها نعيمٌ مبَاينُ
نعيم جنان الخلد [(٤)] فالأمر واحد ■■■ وبينها [(٥)] عند التَّجَلِّي تَبَاينُ
يُسَمَّى عذاباً من عذوبة لفظه ■■■ وذاك لكالقشر، والقشر صائن [(٦)]

---

(١) ص٩٢-٩٣ فصوص.

(٢) في الأصل: وعيده بدون واو العطف.

(٣) يعني قوله تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ (الأحقاف: ١٦)، ويحملها على الكفرة والمشركين، ليخلص من ذلك إلى إثبات ما يقرره وهو أن لا عذاب يوم القيامة، لأن الله وعد في هذه الآية بالتجاوز عن السيئات. فتأمل!!.

(٤) الجنة عند الصوفية: هي عرفان المرء بنفسه، ليدرك بهذه المعرفة أنه هو الله وهذا ما يفسرون به الحديث الموضوع: «من عرف نفسه فقد عرف ربه» والجحيم عندهم: هو ما يغيم على النفس من أوهام الكثرة، فتخدعها عن الحقيقة فتظن المغايرة بين الخلق والحق. وهذا الظن هو الجحيم!!.

(٥) في الأصل: وما بينهما.

(٦) ص٩٣-٩٤ فصوص.

(مثل من تفسير ابن عربي للقرآن)

ثم قال في فص حكمة نورية في كلمة يوسفية - بعد أن قرر أن الشيء قد يرى على خلاف ما هو عليه لبعدٍ، أو ظلام ونحوه -: «فما يعلم من العالم إلا قدر ما يعلم من الظلال، ويجهل من الحق على قدر ما يجهل من الشخص الذي كان عنه ذلك الظل، فما حيث هو ظل له يُعْلَم، ومن حيث ما يُجْهَل ما في ذات ذلك الظل من صورة شخص من امتد عنه يجهل من الحق، فلذلك نقول: إن [الحق] معلوم لنا من وجه، مجهول لنا من وجه ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا﴾ (سورة الفرقان: ٤٥) أي يكون فيه بالقوة. يقول: ما كان الحق ليتجلى للممكنات التي ما ظهر لها عين في الوجود ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾ (سورة الفرقان: ٤٥) وهو اسمه النور [الذي قلنا، ويشهد له الحس، فإن الظلال لا يكون لها عين بعدم النور] ﴿ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا﴾ (سورة الفرقان: ٤٦). وإنما قبضه إليه لأنه ظله، فمنه ظهر، وإليه يرجع الأمر كله، فهو هو لا غيره»[1].

---

(١) يشبه الله سبحانه والعالم بالشيء وظله، غير أن هذا التشبيه -على ما فيه- لا يصحح للزنديق دينه، بل يدمغه بالتلبيس والتضليل. فما من شك فى أن الشئ وظله شيئان متمايزان، والزعم بأيهما حقيقة واحدة مكابرة وجحود بشهود الحس اليقيني. نعم يحتاج الظل فى وجوده إلى من أو ما هو ظل له. بيد أن هذا الاحتياج شيء، والزعم بأنهما حقيقة واحدة شيء آخر مباين كل المباينة. وابن عربي يدين بأن العالم هو الله فى الهوية والماهية، أما ظل الشئ فليس عين الشيء لا فى ذاتي، ولا فى عرضي، قد يقال: إن الظل أثر من آثار الشيء، غير أن الزنديق يؤمن بأن العالم ليس أثرا لله، بل هو هو فى الحقيقة والوجود. فلا يثبت مثال ما لبس به بهذا المثال.

- (حتى يظهر الظل فيكون كما بقي من الممكنات)

(وجود الحق عين وجود الخلق عند الصوفية)

فكل ما تدركه فهو وجود الحق في أعيان الممكنات، فمن حيث هوية الحق هو[١] وجوده، ومن حيث اختلاف الصور فيه هو[٢] أعيان الممكنات، فكما لا يزول عنه باختلاف الصور إسم الظل، كذلك لا يزول عنه [١٨] باختلاف الصور اسم العالم، أو اسم سوى الحق، فمن حيث أحدية كونه ظلا هو الحق، لأنه الواحد الأحد، ومن حيث كثرة الصور هو العالم، فتفطن، وتحقق ما أوضحته لك، فإذا كان الأمر علي ما ذكرته لك، فالعالم مُتَوَهَّم[٣] ما له وجود حقيقي، وهذا معنى الخيال، أي خيل إليك أنه أمر زائد قائم بنفسه، خارج عن الحق، وليس كذلك في نفس الأمر. ألا تراه في الحس متصلا بالشخص الذي إمتد عنه يستحيل [عليه] الانفكاك عن ذلك الاتصال، لأنه يستحيل على[٤] الشيء الانفكاك عن ذاته»[٥] . . . وهذا وما شاكله من قوله ـ كما تقدم في الفص النوحي ـ مشيرًا إلى تصحيح قول الكفار في القرآن: إنه سحر لا حقيقة له، إشارة تكاد أن تكون صريحة، وإلى مثل هذا المحال لوح ابن الفارض، والأمر فيه أوضح مما في الفصوص:

وها دحية وافى الأمين نبينا	بصورته في بدء وحي النبوة
أجبريل قل لي كان دحية إذ بدا	لمُهْدي الهدى في هيئة[٦] بشرية؟!
وفي علمه عن حاضريه مزية	بماهيّة المَرْئِيّ من غير مِرْيَة
يري ملَكا يوحي إليه، وغيره	يرى رجلا يرعى لديه بصحبة

---

(١)، (٢) فى الأصل: فهو فى الموضعين.

(٣) هذا يستلزم وجود وهم ومتوهم، فإن قال: إن المتوهم عين الوهم والمتوهم لزمه كون إلهه وهما ومتوهما، أى باطلا ينتج باطلا. فكيف يسمونه: حقا؟! وإن قال: إنه غيرهما لزمه القول بالغيرية والتعدد، وهو يدين بأن لا غير، ولا سوى. وهكذا فى كل دليل له حجة تدمغه بالإفك، وتدينه بالبهتان.

(٤) فى الأصل: عن.

(٥) ص١٠٢ فصوص.

(٦) فى الأصل: فى صورة.

ولي من أتم الرؤيتين إشارة ■■■ تُنزه عن دعوى الحلول[١] عقيدتي
وفي الذكر ذكر اللَّبْسِ ليس بمنكر ■■■ ولم أَعْدُ عن حُكْمَي كتاب وسنة

يعني قوله تعالي: ﴿ لَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلاً وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴾ (سورة الأنعام: ٩).

هذا ما كان ظهر لي، ثم تبين أن المراد أقبح من هذا بقول شراح التائية، الفرغاني وغيره[٢]، وسيأتي نقله عنه آنفاً.

رد علاء الدين البخاري

قال الإمام علاء الدين البخاري: «ما ذكرتم في نفي ثبوت الأشياء معارَضٌ بالمِثْل؛ إذ لا خفاء أنه من أعيان الأكوان، غير أنه من الأعراض، فيكون ما ذكرتم أيضًا خيالاً وسرابا، لا حقيقة له، فلا يمكن به إثبات مذهبكم الباطل وإذا لم يبق في قوس المكابرة مَنزَع، ولا لما لزمهم من شنيع المحالات والضلالات مدفع، التجأوا إلى دعوى الكشف على ما هو دأب قدماء الفلاسفة حين عجزوا عن إقامة البرهان، وأنت خبير بأن الكشف إنما يظهر الحقائق، لا أنه يهدم الشرائع وينفي الحقائق[٣] فإن ذلك زندقة، وقد غلط

---

(١) لم يرض بكفر الحلاج دينا، وهو الحلول، لأنه يستلزم الاثنينية والمغايرة بوجه ما بين الحال، وبين المحل. وابن الفارض يدين بالوحدة.

(٢) قال القاشاني فى شرح ذلك البيت: «ظهور الحق فى بعض صور المخلوقات هو تلبسه بها، كتلبس جبريل بصورة رجل»!!

(٣) لا يستطيع البخارى هدم باطل الصوفية ما دام مؤمناً معهم بأسطورة الكشف -ولكن لا تنس أنه هو الآخر صوفى- فالصوفية لم يهولوا بهذه الأسطورة إلا لينقضوا بتهاويل باطلها حقائق الدين والعقل، ولإثبات ما يدينون به من زندقة، بعد تشكيك الناس فى كل حقيقة عقلية أو نقلية. على أن الصوفية الذين دانوا بالكشف لم يدينوا بدين واحد، ولم يروا فى الإلهية والربوبية رأيا واحدا، ولم ينظروا إلى حقيقة الوجود نظرة واحدة. فالحلاج حلولى، والسهروردى إشراقي، وابن عربي وابن الفارض وابن سبعين من زعماء وحدة الوجود على اختلاف فى التصور والتصوير، والقونوي والتلمساني والجيلي =

هؤلاء كغلط النصارى لما رأوا إشراق نور الله تعالى، وقد تلألأ في عيسى عليه السلام[1]، فقالوا: هو الإله، وهؤلاء لما رأوا الوجود فائضًا من الحضرة الإلهية على الموجودات فلم يفرقوا بين الفيض[2] والمفيض، فقالوا: الوجود هو الله سبحانه وتعالى» اهـ.

رأي العضد والجرجاني

وقال الشريف الجرجاني[3] في شرح المواقف للعضد[4]: «واعلم أن المخالف في هذين الأصلين - يعني عدم الاتحاد وعدم الحلول - طوائف ثلاث:

الأولى: «النصارى» ثم ذكر مذاهبهم، ثم قال: «الثانية: النصيرية[5] والإسحاقية[6] من غلاة الشيعة، قالوا: ظهور الروحاني بالجسماني لا يُنْكَر، ففي

= كل له مذهبه، وكل له وسيلته، وكل له تصويره، وكل يدعي أنه آمن بما آمن به عن كشف وشهود. فبأي كشف نأخذ، وبأي شهود نصدق؟ لا يمكن أن نأخذ أو نصدق بالجميع لأنه نفاية تناقض وتباين، والحق واحد لا يتعدد، ولا يناقض نفسه، ولا يمكن أن نأخذ ببعض دون بعض، وإلا احتجنا إلى دليل نثبت به أن ما أخذنا به هو الحق وأن ما عداه باطل، فبماذا نستدل؟ أبكشف أم بغيره؟ إن كان الأول لزم التسلسل وإن كان الثاني ثبت أن الكشف محتاج إلى دليل آخر غير الكشف يثبت به، ثم إنا لو أخذنا ببعض دون بعض، كان هذا معناه أن بعض أنواع الكشف الصوفي باطل، فى حين يدين الصوفية بأن كل كشف صوفي هو حق فى ذاته، وبما ذكرت أو ببعضه يتجلى لك بطلان أسطورة الكشف، وتؤمن أن ملاذ الحق ومشرقه وقدسه كتاب الله سبحانه، وسنة رسوله ﷺ.

(١) فى كلامه هذا رائحة الحلول المسيحي، أو الإشراق السهروردي. ولكن لعله يقصد بالنور الذى تلألأ هدى النبوة والإيمان.

(٢) يقصد ما أفاضه الله من الوجود، والواجب أن يعبر عن هذا: بالخلق والخالق، إذ الفيض أسطورة ابتدعتها الفلسفة والصوفية، ابتغاء نفي خلق الله سبحانه للعالم، ونفي القادر المريد، وابتغاء إثبات قدم العالم، وأن الأشياء ثابتة فى العدم.

(٣) هو علي بن محمد بن علي. ولد سنة ٧٤٠هـ وتوفي سنة ٨١٤ .

(٤) هو عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار عضد الدين الإيجى ولد سنة ٧٠٩ تقريباً، ومات سنة ٧٥٣هـ

(٥) محدثها محمد بن نصير النميري، وتزعم هذه الفرقة أن الله سبحانه ظهر بصورة علي وأولاده المخصوصين.

(٦) أحدثها إسحاق بن زيد بن الحراث. من القائلين بالإباحة وإسقاط التكاليف، وأن لعليٍّ شركة مع الرسول. ثم تطورت فقالت بالحلول كالنصيرية.

طرف الشرِّ كالشياطين، فإنه {١٩} كثيرًا ما يتصور الشيطان بصورة الإنسان، ليعلمه الشر ويكلمه بلسانه، وفي طرف الخير ـ كالملائكة ـ فإن جبريل عليه السلام كان يظهر بصورة دحية الكلبي {والأعرابي}[١]، فلا يمتنع {حينئذ}[٢] أن يظهر الله تعالى في صورة بعض الكاملين {وأولى الخلق بذلك أشرفهم وأكملهم، وهو العترة الطاهرة، وهو من يظهر فيه العلم التام، والقدرة التامة من الأئمة من تلك العترة، ولم يتحاشوا عن إطلاق الآلهة على أئمتهم، وهذه ضلالة بينة[٣] الطائفة} الثالثة {بعض} المتصوفة، وكل منهم مختبط[٤] بين الحلول والاتحاد»، ثم قال العضد[٥]: «ورأيت من الصوفية الوجودية من ينكره، ويقول: لا حلول، ولا اتحاد، إذ ذاك يشعر بالغيرية، ونحن لا نقول بها، بل نقول: ليس في ذات الوجود غيره[٦]، وهذا العذر أشد قبحًا وبطلانًا من ذلك الجرم؛ إذ يلزم ذلك المخالطة التي لا يجترئ على القول بها عاقل، ولا مميز أدنى تمييز»[٧].

رأي السعد التفتازاني[٨]

وهذا المعنى الأخير هو الذي أراده الشيخ سعد الدين التفتازاني، بالمذهب الثاني، من قوله في شرح المقاصد: «وههنا مذهبان آخران يوهمان الحلول والاتحاد وليسا منه في شيء.

الأول ـ أن السالك إذا انتهى سلوكه إلى الله تعالى في الله يستغرق في بحر التوحيد والعرفان بحيث تطمحل ذاته في ذاته، وصفاته في صفاته ويغيب عن كل ما

---

(١)، (٢)، (٣) كل ما بين هذين { } ساقط من الأصل، وأثبته عن المصدر الذى نقل عنه المؤلف، وهو شرح المواقف.

(٤) فى شرح المواقف : وكلامهم مخبط.

(٥) ليس قول العضد وحده، وإنما مع شرح الجرجاني له.

(٦) فى المواقف (ليس فى دار الوجود غيره ديار) وهو أدق.

(٧) ص٢٩ وما بعدها جـ٨ شرح المواقف.

(٨) مسعود بن عمر بن عبد الله، ولد سنة ٧١٢، وتوفي سنة ٧٩٢هـ.

سواه، ولا يرى في الوجود إلا الله، وهو الذي يسمونه: الفناء في التوحيد، وإليه يشير الإلهي[١]: {**إن العبد لا يزال يتقرب إليَّ حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به**}[٢]، وحينئذ ربما تصدر عنه عبارات تشعر بالحلول[٣]، أو بالاتحاد لقصور العبارة عن بيان تلك الحال، وبُعد الكشف عنها بالمثال، ونحن على ساحل التمني نعترف[٤] من بحر التوحيد بقدر الإمكان، ونعترف بأن طريق الفناء فيه العيان[٥] دون البرهان، والله الموفق.

الثاني - أن الواجب هو الوجود المطلق[٦]، وهو واحد لا كثرة فيه أصلاً وإنما الكثرة بالإضافات، والتعينات التي هي بمنزلة الخيال والسراب، إذ الكل في الحقيقة

---

(١) يقصد: الحديث القدسي، وقد روى هذا مختصراً جدا.

(٢) سيرد الحديث بتمامه والتعليق عليه.

(٣) ما تقرب إنسان فى الوجود إلى الله بمثل ما تقرب إليه به عبده ورسوله وخليله محمد صلى الله عليه وسلم، فلم تصدر عنه مثل تلك العبارات الطافحة بإثم الإلحاد، والتى يأفك الصوفية أنها روحانية الأنس تفيض من حظائر القدس. بل كل ما صدر عنه توحيد لله سبحانه خالص فى ربوبيته وإلهيته، وتسابيح عبودية تستشعر الخوف والرجاء. وتبتهل إلى الله أن يغمرها برضاه، وأن يغفر لها كل ما تشعرها به -روحانية الإيمان أنه ذنب.

(٤) لعلها: نغترف.

(٥) يقصدون معاينة الذات تصدر عنها أفعالها، وتصرف فى الكون أقدارها وإبراهيم خليل الله أراه الله ملكوت السموات والأرض، وموسى كلمه الله من وراء حجاب، ومحمد ﷺ عرج به إلى السماء، وشهد النور الأعظم، فما تكلم رسول منهم بمثل هذا، ولا حدثنا عن الفناء أو العيان الصوفي، ولا قال واحد منهم أنه رأى الله، ولا سمعنا عن أحد منهم أنه عبد الله بغير ما أمر الله، أو غفل مرة عن أداء حق من حقوق الله، أو ادعى أن الله سبحانه أسقط عنه التكاليف، بل ما زادهم ذلك إلا إيمانًا وخشيةً، وجدًا في العمل، وكدحًا في العبادة، وحبًا لله وخوفًا منه، ورجاءً فيه سبحانه، ولم يعد المؤمنون تغرهم بالله تلك التهاويل السحرية الصوفية، ولا تلك الزمزمات المجوسية.

(٦) يرد الإمام ابن تيمية على هؤلاء بقوله: (المطلق بشرط الإطلاق لا يتصور إذ لكل موجود حقيقة يتميز بها، وما لا حقيقة له يتميز بها فليس بشيء، فمن قال: إن وجود الحق هو الوجود المطلق دون المعين، فحقيقة قوله: إنه ليس للحق وجود أصلاً، ولا ثبوت إلا نفس الأشياء المعينة المتميزة، والأشياء المعينة ليست إياه، فليس شيئاً أصلاً. وتلخيص النكتة أنه لو عنى به المطلق بشرط الإطلاق فلا وجود له =

واحـد يتـكرر على مظاهر، لا بـطريق المخـالطـة، ويتكرر في النواظـر، لا بطريق الانقسام، فلا حلول منا، ولا إتحاد؛ لعدم الاثنينية والغيرية، وكلامهم في ذلك طويل خارج عن طريق العقل والشـرع أشرنا في بحث الوجود إلى بطلانه، لكن من يضلل الله فما له من هاد» انتهى كلام الشيخ سعد الدين ـ رحمه الله ـ.

زعم أن الحق يتلبس بصور الخلق

وقال سعيد الفرغاني ـ وهو من أكابر أتباعهم ـ في شرحه للتائية: «وتنزه[1] تلك الإشارة عـقيـدتي عن رأي الحلول، فإنه لما جـاز ووقع أن يكون لِمَلَك مخـلوق قدرةُ التَّلَبُّسِ بأي صورة شـاء بلا معني الحلول فـيه، يصح أن يتلبس الحق تعـالى بصورتي بفناء أنانيتي[2] بالكلية، وإن تعلَّلت بعدم جواز تلبسه[3] بالصورة، وعللت بتنزيهه عن ذلك التلبس منعناك، ورددنا تعليلك بالكتاب والسنة».

= فى الخارج، فلا يكون للحق وجـود أصلاً، وإن عنى به المطلق بلا شرط. فإن قـيل بعدم وجوده فى الخارج فلا كـلام، وإن قيل بوجوده فلا يوجد إلا مـعينا، فلا يكون للحق وجود إلا وجـود الأعيان، فيلزم محـذوران: أحدهما ـ أنه ليس للحق وجود سوى وجـود المخلوقات، والثاني ـ التناقض» وهو قوله: إنه الوجود المطلق دون المعين) باختصار عن (مجموعة الرسائل والمسائل ـ جـ٤، ص ٢١)، وهذا حق، فإن الوجود المطلق تجريد صـرف، أو سلب خالص، فليس ثم حقيقة تتمـيز، ولا ذات تتحقق، وكذلك العـدم أو اللاوجود، فكأنهم يجعلون الواجب عـدمًا، أو يقولون هو وجود ولا وجـود. أما المطلق لا بشرط فلا يوجد إلا معينًا مخصوصًا فى هذا أو ذاك، إذ ليس فى الخارج شيء إلا وهو معين يتميز عما سواه بحده وماهيته وهم ينكرون تعين الوجود، إذ يسمونه مطلقًا.

(١) يعني بيت ابن الفارض:

ولي من اتـم الرؤيتين إشـارة ... تنـزه عن دعـوى الحلول عقيـدتي

(٢) أى ذاتـه.

(٣) أى الله سبحانه.

ثم قال في شرح البيت[١] الذي فيه استشهاده بالكتاب والسنة: «وفي الذكر، آي القرآن [٢٠] ذكر اللبس، أي تلبس الحق بالصورة ليس بمردود بل هو ثابت مذكور معروف موضعه من القرآن، ولم أتجاوز في تقريري حكمَيْ الكتاب والسنة. أما الكتاب، فقوله تعالى: ﴿نُودِيَ أَن بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (سورة النمل:٨) يعني مِنْ أن يكون منحصرًا ظهوره حالتَئذٍ وقبله وبعده في ذلك التلبس، وفي غيره من الصور، وغير ما، وقوله تعالى: ﴿نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِ الأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ﴾ (سورة القصص: ٣٠) الآية، وإذا جاز تلبسه بصورة الجماد[٢]، فبصورة الإنسان أجمع وأولى عند فنائه عن تعينه وتشخصه. وأما السنة، فقوله صلى الله عليه وسلم حكاية عنه تعالى: «كنت سمعه وبصره ولسانه ويده ورجله»[٣]، وقوله

---

(١) يقصد بيت ابن الفارض:

وفي الذكر ذكر اللبس ليس بمنكر ... ولم أعد عن حكمي كتاب وسنة

(٢) تأمل رعونة الزندقة في التعبير، حيث يصف الله سبحانه وتعالى بأنه تلبس بالشجرة، أو كان هو الشجرة وهو يكلم موسى، ويفجر في زعمه فيقرر أن القرآن يثبت هذا!

(٣) يعني ما رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**يقول الله تعالى: من عادى لي وليًا، فقد بارزني بالمحاربة، وما تقرب إليَّ عبدي بمثل اداء ما افترضته، ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى احبه، فإذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، فبي يسمع، وبي يبصر، وبي يبطش، وبي يسعى...**» الحديث، ويستدل الصوفية بهذا الحديث على أن الله سبحانه عين خلقه، وعلى أن العبد يحور ربًا. وإليك رد الشيخ ابن تيمية عليهم: «والحديث حجة عليهم من وجوه كثيرة: منها قوله: «من عادى لي وليًا، فقد بارزني بالمحاربة»، فأثبت معاديًا محاربًا، ووليًا غير المعادي، وأثبت لنفسه سبحانه هذا وهذا. ومنها قوله: «وما تقرب إليَّ عبدي بمثل أداء ما افترضته عليه» فأثبت عبدًا متقربًا إلى ربه، وربًا افترض عليه فرائضه، ومنها قوله: «ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه» فأثبت متقربًا، ومتقربًا إليه، ومحبًا ومحبوبًا غيره، وهذا كله ينقض قولهم: الوجود واحد .... والحديث حق، فإن وليَّ الله لكمال طاعته لله ومحبته لله يبقى إدراكه لله، وباطنه وعمله لله وبالله، فما يسمعه مما يحبه الحق أحبه، وما يسمعه مما يبغضه الحق أبغضه، وما يراه مما يحبه الحق أحبه، وما يراه مما يبغضه الحق أبغضه ويبقى =

أيضًا: فإن الله تعالى قال على لسان عبده: سمع الله لمن حمده، ثم حديث القيامة في الإتيان في الصورة[١]، ثم قال: فالحديث أولا وآخرًا معلم أنه يتلبس بأي لباس

= في سمعه وبصره من النور ما يميز به بين الحق والباطل، فولي الله فيه من الموافقة لله ما يتحد به المحبوب والمكروه، والمأمور والمنهي عنه ونحو ذلك، فيبقى محبوب الحق محبوبه، ومكروه الحق مكروهه، ومأمور الحق مأموره، وولي الحق وليه، وعدو الحق عدوه» (ص٤٨، رسالة الرد الأقوم، ط السنة المحمدية).

ـ هذا والحديث رواية البخارى عن خالد بن مخلد القطوانى الكوفي أبي الهيثم. وقد تكلم فيه. قال العجلي عنه: ثقة فيه تشيع، وقال ابن سعد: منكر الحديث متشيع مفرط، وقال أحمد بن حنبل: له مناكير، وقال أبو داود: صدوق إلا أنه يتشيع، وقال أبو حاتم: يكتب حديثه ولا يحتج به، وقد عد هذا الحديث من مناكير خالد، يقول الذهبي: (هذا حديث غريب جدًا، ولولا هيبة الجامع الصحيح لعددته فى منكرات خالد، وذلك لغرابة لفظه، ولأنه مما ينفرد به شريك، وليس بالحافظ) والحديث ـ على افتراض صحته ـ حجة على الصوفية كما رأيت.

(١) يعنى ما ورد فى الحديث (من أن الله سبحانه يتجلى لعباده يوم القيامة، ثم يأتيهم فى صورة غير صورته التى رأوه فيها أول مرة، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا جاء ربنا عرفناه، ثم يأتيهم فى الصورة التى رأوه فيها أول مرة، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا) والحديث فى الصحيحين والترمذى، وتوحيد ابن خزيمة، وسنن الدارمى وغيرها. والحديث حجة تدمغ الصوفية بالبهتان:

أولاً ـ يثبت الحديث أن هذا التجلى لن يكون إلا فى الآخرة، أما الصوفية فيدينون بتلبسه بالصور فى الدنيا.

ثانيًا ـ يدين الصوفية بأن الرب يتجلى لكل أحد بحسب اعتقاده، فالقاصر المقيد لا يعرفه إلا إذا تجلى له فى صورة معتقده، فإذا اعتقد أن الرب صنم، أو كوكب، أو عجل، تجلى له فى صورة ما اعتقده، أما إذا تجلى له فى صورة أخرى أنكره، أما العارف المطلق فإنه يعرف الله ـ فى زعم الصوفية ـ فى كل صورة يظهر بها، لأنه يعتقد أن الرب عين كل شيء. هذا فى حين يثبت الحديث أن المؤمنين أنكروه فى صورته الأولى، وعرفوه فى صورته الثانية، ومن أنكروه ثم عرفوه هم الرسل والأنبياء والأولياء، وهؤلاء ـ باعتراف الصوفية ـ أكمل العارفين، وهم لم يعرفوه إلا فى صورة واحدة، وهذا ينقض أصل دعواهم، وهو أن العارف المكمل هو من يعرف الله فى كل صورة.

ثالثا ـ يثبت الحديث وجود قوم يعرفون بعد إنكار، ووجود رب تجلى ثم تجلى، وهذا يستلزم وجود أغيار كثيرين هم غير الرب، فى حين يدين الصوفية بأنه ما ثم غير ما.

رابعًا ـ يزعم الصوفية أنه سبحانه عين كل شيء، والحديث يثبت وجود قوم مؤمنين، وكافرين، ومنافقين، فإذا أخذنا بزعم الصوفية كان ربهم هو الكافر والمنافق، والمنكر والمنكر، وثبت لربهم الجهل، وحسب الصوفية شرًا أن يكونوا عبيد رب هذا شأنه. =

صورة شاء مما يعرف، ومما ينكر من غير حلول، فكان ظهوره بصورتي أيضًا جائزًا من غير حلول، فصح بهذا دعوى اتحادي مع الحلول».

أمر ابن الفارض باتباع شريعته

ثم قال في شرح قوله:

مَنَحْتُك علما إن ترد كشفه، فَرِد ▪▪▪ سبيليَ واشرع في اتباع شريعتي

قال: «يحتمل أن يكون إضافة الشريعة من الناظم إلى نفسه بلسان الجمع والترجمانية، ويريد بقوله: فرد سبيلي ما أريد به في قوله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ (سورة يوسف:١٠٨). وبقوله: شريعتي، شريعة النبي ﷺ»، ثم قال:

فمنبع صدا[1] من شراب نقيعه ▪▪▪ لديَّ، فدعني من سراب بقيعة

= خامسًا ـ يثبت الحديث أنه سبحانه لن يتجلى إلا فى صورة واحدة فى كل مرة، أما هم فيدينون بتجلي ربهم فيما لا يتناهى من الصور المتباينة فى آن واحد.

سادسًا ـ لم يبين الحديث كنه الصورة الأولى، أما صورته الثانية فعرفها بأنها هى التى رأوه فيها أول مرة. أما هم فقالوا بتجليه فى صورة يغوث ويعوق. وفى صورة عجل السامرى، وفى صورة نار المجوس، بل فى صورة كل مخلوق.

سابعاً ـ يثبت الحديث ربا، ويثبت عباداً يبتليهم ربهم بتجليه، ويثبت أنهم غير الرب، وهم يقولون: العبد عين الرب. ويثبت الحديث مكانًا. فما هذا المكان؟ أهو الرب أم غيره؟ إن قالوا بالأول فما في الحديث هذا، وكفاهم خزيًا أن يكون ربهم مواطى أقدام. وإن قالوا بالثانى ثبت وجود غير، وهم ينفون الغيرية. ثم ما للصوفية يستشهدون بما لا يؤمنون به؟ إنهم يزعمون أخذهم عن الله مباشرة، ويستنكفون العمل بشريعة الله التى جاء بها رسله! وفى الحديث براهين أخرى، وحسبنا هذا.

(١) فى الأصل: صدى، وصوابها: صداء، قال ضرار:

كأني من وجدي بزينب هاشم ▪ يخالس من احواض صداء مشربًا

وصداء: بئر ماؤها أعذب مياه العرب، ومن الأمثال: ماء ولا كصداء، يُضرب لما يحمد بعض الحمد، ويفضل عليه غيره. انظر: مجمع الأمثال، والمضاف والمنسوب.

صدا ماء للعرب يضرب المثل به لعذوبته، والنقيع: البئر الكثيرة الماء، يقول معللاً البيت السابق الذي حـاصله: أمره باتباع شريعته، والورود في سبـيل هداه وطريقته، ونهى عن متابعـة غيره مِمَّن يدعي التـحقيق في العلم والمعرفـة الحقيقيـة نحو علماء الظاهر من الأصـوليين والفلاسفـة: أن المورد العذبَ الهنيء النافع عـندي، ويختص بمشربي، وهو المفهوم المطابِق من الكتاب والسنة، وإشاراتهما الغامضة بلا تأويل عقلي وتقليد، بل على ما هو الأمر عليه، فإن استطعت أن تخوض فيه، وتشرب منه، وإلا فدعني من سراب علوم علماء الظاهر[1]، وتأويلاتهم ومفهوماتهم التي ظاهرها لأجل الفصاحة، وتركيب الدلائل، تظهر وتغر السامع الْغِرّ[2]، فيحسبها شيئًا نافعًا له، فإذا فتش عن حقـيقتهـا لم يجد شيئـاً، ولا تحقيق، ولا معرفـة فيها، ولا طائل تحـتها، وكذلك دلائل الفلسفـة في المسائل الإلهية، تغر، ولا تقر، ولا تذكـر عندي مذاهبهم ومقالاتهم ودلائلهم، ولا تلتفت إلى ذلك تفـز فوزًا عظيمًا».

هذا كلام الفرغاني الذي يثني ابن بنت ابن الفـارض في مقدمة {٢١} الديوان عليه، وشهد له أنه على نفس جده[3]، وهكذا يفعل في كل الأبيات مـهما وجد شيـئًا من المتـشابه في الكتاب أو السنة أجـراه على ظاهره[4] وجعله حجـتهم في الاتحاد، واستحسـان الأفعال القبيحة من المكلفين، فـإن عجز ـ بكون الشرع نصٍّ

---

(١) يعنى الآخذين بأحكام الشريعة، والمتفقهين فيها.

(٢) الجاهل بالأمور الغافل عنها.

(٣) لعله سقط من الكلام، كلمة: مذهب أو طريقة قبل كلمة جده.

(٤) لو أجرى الكلام على ظاهره لنعم فكراً بالحـقيقة، وقلبـاً باليقين، ونفساً بالهـدى، ولكنه أجراه على هوى شيطانه. وألمح من قول البقـاعي أنه يعني بالمتشابه آيات الصفات وأحاديثهـا، فإن يك فقد زل به فهمـه، وقلد فى هذا الزلل غيره، فآيات الصـفات محكمات هن من أم الكتـاب يجب اجراؤها على ظاهرها، أى على ما لها من معان فى العربية دون تمثيـل أو تشبيه أو تلويث للفهم بما يشهد الحس لها من كيـفيـات بالنسبـة إلى الخلق. هذا وإلا جعلـنا للعقل ـ وهو من خلق الله ـ سلطانًا عـلى الخلاَّق العظيم يقوم صفاته بما شاء، وكيف شاء، ويرضى له بعضًا وينكر بعضًا، ويبتدع له بالهوى العصوف صفات وأسماء ما أنزل الله بها من سلطان وجلَّ جلال الله سبحانه.

على قباحتها ـ يقول: إن فيـها حسنًا وقبحًا من بعض الوجوه، ولعل ذلك الوجه يقود أصحـاب تلك المقالة إلى الخير، ويسعى كل السـعي في إسقاط الإنكار على أحد فـي فعل من الأفـعال. وكـذا نقل البدر بن الأهدَل عن شـرحهـا للأبزاري وغيره، والله المستعان.

تكذيب صريح للقرآن

وقال في فص حكمة أحدية في كلمة هودية: ﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (سورة هود: ٥٦): فكل ماش [فعلى] صراط الرب المستقيم، فهم غير مغضوب عليهم من هذا الوجه، ولا ضالون، فكما كان الضلال عارضًا، فكذلك الغضب الإلهي عارض، والمآل إلى الرحمة التي وسعت كل شيء[١].

---

(١) ص ١٠٦ فصوص، وابن عربي يكذب بهذا البهـتان قوله سبحانه: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ ﴾ وغيـرها من الآيات. فالقـرآن يقرر أن الناس بالنسبة إلى الحق ثلاثة أقـسام: قوم عرفوا الحق وآمنوا به، وهم الـذين وصفهم الله بأنهم على صراط مستقيم. وقوم عرفوا الحق، وأعرضوا عنه كفرًا وجحودًا، وهـم المغضوب عليهم. وقوم لم يحـاولوا معـرفة الحق فلم يهـتـدوا، وهم الضالون. وقـد خص الله الفريق الأول برضـاه ورحمته، والآخرين بغضبه ولعنتـه. ولكن ابن عربي يجعل الجميع سواء، هادفًا من وراء ذلك إلى تقرير أسطـورة وحدة الأديان التى تزعم أن الأديان سمـاويها ووضـعيهـا واحد، وأن الحق والهدى فيـها جميعًـا، لا يختص بها دين عن دين، فالشرك عـين التوحيد، والمجوسـية عين الإسلام، فعابـد العجل عندهم كعابد الله. يقول لك الصوفـية: كن مشركاً كن مجـوسيًا كن بوذيًا كن يهوديًا. فأنت على صراط مستقيم.

إفك على الله

ثم قال: «اعلم أن العلوم[١] الإلهية الذوقية الحاصلة لأهل الله مختلفة باختلاف القوى الحاصلة منها مع كونها ترجع إلى عين واحدة؛ فإن الله تعالى يقول: كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يسعى بها» فذكر أن هُويتَّه[٢] [هي] عين الجوارح التي هي عين العبد، فالهوية واحدة، والجوارح مختلفة، ولكل جارحة علم من علوم الأذواق يخصها من عين واحدة، تختلف باختلاف الجوارح كالماء. حقيقة[٣] واحدة مختلف[٤] في الطعم باختلاف البقاع»[٥].

قلت: وعلى هذا الضلال عوَّل ابن الفارض، فقال:

وجاء حديث في اتحادي[٦] ثابت	روايته في النقل غير ضعيفة
مشيراً بحب الحق بعد تقرب	إليه بنقل أو أداء فريضة
وموضع تنبيه الإشارة ظاهر	بكنت له سمعا كنور الظهيرة
فَكلِّى لِكلِّى طالب متوجه	وبعضي لبعضي جاذب بالأعنة
ومني بدا لي ما عَلْيَّ لبسته	وعني البوادي بي إليَّ أعيدت

---

(١) فى الأصل: الأمور

(٢) أى حقيقته، وهدفه من هذا: إثبات أن الإحساسات، أو المشاعر، أو الأوهام، أو الخيالات التى يشعر بها كل إنسان هى فى الحقيقة من مكونات علم الله سبحانه، فعلم الله عند الصوفية متوقف على علم عبيده، وتعالى الله عما يأفك الزنادقة.

(٣) فى الأصل: حقيقته.

(٤) فى الأصل: تختلف.

(٥) ص ١٠٧ فصوص.

(٦) فى الأصل: باتحادي.

وفيَّ شهدت الساجدين لمظهري ... فحققت أني كنت آدم سجدتي[1]
تعانقت الأطراف[2] عندي وانطوى ... بساط السَّوي عدلا بحكم السَّويَّة

(١) قال القاشاني فى شرح هذا البيت: «أي عاينت فى نفسي الملائكة الساجدين لمظهري، فعلمت حقيقة أني كنت فى سجدتي آدم تلك السجدة، وأن الملائكة يسجدون لي، والملائكة صفة من صفاتي، فالساجد صفة مني يسجد لذاتي، فالجمع واقع لا يدفع».

وأقول فى قصة آدم، وأمر الملائكة بالسجود له، وطاعتهم لهذا الأمر، وتمرد إبليس عليه: فى كل هذا ما ينقض دعاوى الصوفية فى الحلول والوحدة والاتحاد، لأنها ـ أى القصة ـ تثبت ربًا آمرًا بالسجود، وتثبت أغيارًا كثيرين هم: آدم، والملائكة، وإبليس؛ لهذا يحاول ابن الفارض تصوير القصة بما يتواءم وهوى زندقته، أى بما يرفع فى زعمه هذا التعدد فى الوجود والذوات، ويرفع المغايرة بين الماهيات، فيقول: لا تحسبن الآمر بالسجود غير من أمروا به، أو غير من وقع الملائكة له ساجدين، أو غير من تمرد على هذا السجود، فإنهم جميعاً عين واحدة، هى الذات الإلهية، فالآمر هو الله باعتبار الهوية المجردة عن التعين، وآدم هو مظهر تعين الذات أو الهوية، والملائكة هم تعينات الصفات، وكذلك إبليس، فلا تعدد فى الوجود، ولا غيرية فى الماهيات، فآدم هو الذات، والملائكة وإبليس هم الصفات، وما كان السجود الذي وقع سجود ذات لغيرها، بل كان من صفات لموصوفها.

ثم ينتقل ابن الفارض من هذا التصوير الصوفي إلى تقرير أنه كان عين آدم، وكان عين الملائكة، أى عين الذات الإلهية، وعين صفاتها. هذا هو دين سلطان العاشقين، أو قل: هذه زندقة رب الصوفيين!!.

(٢) يزعم أنه ليس فى الوجود متناقضات، ولا أضداد، ولا أغيار، بل ولا أمثال، إذ الوجود كله حقيقة واحدة. والحقيقة الواحدة لا يقال عنها: إنها تناقض أو تضاد، أو تغاير، أو تماثل نفسها، ولهذا يؤمن الزنديق أن القدم عين الحدوث والفوق عين التحت، والنور عين الظلمة، والأول عين الآخر، والأزل عين الأبد، والآن عين الماضى وعين المستقبل، وهذه هى الأطراف الوجودية والمكانية والزمانية التى يزعم ابن الفارض أنها تعانقت عنه، والتى يقول بعدها أنه حين رأى النقيض عين نقيضه، والضد والغير نفس ضده وغيره، انجلت عن بصيرته أوهام السوية، والغيرية، فبدت له الحقيقة التى غلفتها بالستر أوهامه. تلك هى أن الوجود حقيقة واحدة، وأن الخالق عين الخلق، وأنه هو الله!! هذا هو دين إله الصوفية العاشق.

وليس ألست[١] الأمس غيراً لمن غدا	وجنحي غدا صبحي ويومي[٢] ليلتي
وسر بلى لله مرآة كشفها	وإثبات معني الجمع نفي المعيَّة[٣]
ظهور صفاتي عن أسامي جوارحي	مجازا بها للحكم نفسي تسمت
رقوم علوم في ستور هياكل	على ما وراء الحس في النفس ورت
وأسماء ذاتي عن صفات جوانحي	جوازاً الأسرار بها الروح سرت
مظاهر لي بدوت فيها، ولم أكن عَلَيَّ	بخاف قبل موطن برْزَني (٢٢)
ولما شَعَبْتُ الصَّدْعَ، والتامت فطو	رُ شملٍ بفرق الوصف غير مشتَّتِ[٤]
تحققت أنَّا في الحقيقة واحد	وأثبت صحوُ الجمع محوَ التَّشتتِ[٥]
وإني، وإنْ كُنتُ ابن آدم صورة	فلي فيه معنى شاهدٌ بأبوتَّي

---

(١) يعني قوله سبحانه: ﴿ألست بربكم؟ قالوا: بلى﴾ مشيرًا إلى ما فسرت به الإسرائيليات هذه الآية. وهو أنه سبحانه أخذ العهد على ذرية آدم جميعهم وهم فى ظهره مودعاً فى إشارته تلك كفره الصوفى، ويريد بالغد فى هذا البيت: يوم القيامة فى عرف الشرع. وبيته هذا توكيد لكفره فى البيت السابق. إذ يقرر هنا أن الحضرة الأزلية، أو الذات الأحدية - رغم تكثر مظاهرها، وتعدد مجاليها - تنزهت عن عوارض الزمان، واختلاف الجهات، وترتب الآنات، فوقتها أحد سرمدي أبدي يندرج فيه الأزل والأبد، والمبدأ والأمد، والأمس والغد، ولذا فما ثم صباح ولا مساء، ولا نهار ولا ليل، ويقرر ابن الفارض أن هذا كله له ليستدل به على أنه هو الذات الأحدية عينها، فهو فيما يسميه الصوفية بالآن الدائم، وهو عندهم امتداد الحضرة الإلهية الذى يندرج فيه الأزل فى الأبد، وكلاهما فى الوقت الحاضر لظهورها فى الأزل على أحايين الأبد، وكون كل حين منها مجمع الأزل والأبد، فيتحد به الأزل والأبد والوقت الحاضر.

(٢) فى الأصل: على. والتصويب من الديوان.

(٣) يشير بـ (بلى) فى قوله: وسر بلى .. إلخ، إلى قوله سبحانه: ﴿ألست بربكم؟ قالوا: بلى﴾، والجواب بـ (بلى) يستلزم وجود سائل ومجيب، أعني يستلزم الاثنينية، بيد أن ابن الفارض يدعي هنا أن السائل عين المجيب، وهذا فى قوله: وإثبات معنى الجمع نفي المعية.

(٤)، (٥) يقول: لما جمعت ما تفرق فى الوجود، من صفات وأسماء وأفعال، تيقنت أن كل شئ هو عين الذات الإلهية، وأن وجود عين وجوده، ثم ينتقل إلى نفسه، فيقرر أنه آمن عن بينة، ويقظة، ويقظة بصيرة: أنه هو الله ذاتًا وصفةً واسمًا وفعلاً، ومشاعر وجوارح!.

وهكذا يؤكد ما قررته من قبل، وهو أن ابن الفارض ممن يدينون بالوحدة لا بالاتحاد. ألا تراه يكرر دائمًا أنه آمن عن يقين أنه ما كان فى حال ما، ولا زمان ما غير ولا سوى، وإنما كان ثم حقيقة واحدة هى الذات الإلهية تجلت فى صور خلقية، أما الاتحاد فيستلزم أنه كان قبل وجودان، ثم اتحد =

تمجيد الصوفية للمجرمين

ثم قال في الفص الهودي أيضـًا: «فنسوق المجرمين» وهم الذين استحـقوا المقام الذي ساقهم إليـه بريح الدبور التي أهلكهم عن نفوسهم [بها] فهو يأخـذ بنواصيهم، والريح تسوقهم ـ وهي عين الأهواء التي كانوا عليها ـ إلى جهنم، وهي البعد[١] الذي كانوا يتوهمـونه، فلما ساقهم إلى ذلك الموطن حصلوا في عين القـرب، فزال البعد، فزال مـسمى جهنم في حـقهم، ففازوا بنـعيم القرب من جهـة الاستحـقاق، لأنهم مـجرمـون، فمـا أعطاهم هذا المقـام الذوقي اللذيذ من جـهة المنَّة، وإنما أخـذوه بما استحقته حقائقهم من أعمـالهم التي كانوا عليها، وكانوا في السعي في أعمالهم على صراط الـرب المستقـيم[٢] لأن نواصـيهم كانـت بيد من له هذه الصـفة، فـما مـشوا بنفوسـهم، وإنما مشوا بحكم الجبـر إلى أن وصلوا إلى عين القرب[٣] ﴿ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَكِن لاَّ تُبْصِرُونَ ﴾ (سورة الواقعة: ٨٥)[٤].

= أحدهما بالآخـر، وهذا ما ينكره ابن الفارض وينفيه نفـيًا باتًا. قد يقال: وما لابن الفـارض إذن يعبر عن معتـقده: بالاتحاد؟ أقول : مما يفصل به ابن الفارض فـى التائية الكبرى نجزم بأنه يستـعمل الاتحاد بمعنى الوحدة، والـعبرة بمعـانيه، لا بألفاظه، أو لعـل لحظات العجب النفسى، كـانت تجمع بخـياله الزنديقى إلى محاولة إثبـات أنه هو وحده الذى تعينت فيه الذات الإلهيـة، ثم يفيق من هذا العجب، فيقررها شاملة عامة، هى أن مظاهر الوجود مقومات للذات الإلهية.

(١) فسر الريح بهوى النفس، وجهنم بالبعد، وهكـذا يصنع فى كل ما يفسر به آي القرآن، يفسرها بما لا يقره شرع ولا لغة ولا عقل.

(٢) أرأيت كيف يصف المجرميـن المشركين: بأنهم سالكون سبيل الهداية الحق، وصـراط الله المستقيم، لا لشيء إلا لأنهم آمنوا بأن الله عـين ما عـبدوه من كوكب أو صنم!؟ تسـتطيع من خلال هذا تـبين نار الحقد التى تلتهم قلوب الصوفية على الإسلام وكتابه ورسوله.

(٣) القرب عندهم هو الفناء عن وصف العبودية، والتحقق بمقام الربوبية وترى الزنديق يزعم أن المجرمين من قوم هود كانوا من أعلم الناس بحـقيقة الربوبية إذ تجلت لهم غيوب هويـاتهم، فأدركوا وآمنوا أنها عين هوية الله. وأن وصف العـبودية لهم مـجازي فحسـب وهكذا يدين الصوفيـة برب تجسد حـيوانًا ضاريًا يفسق ويجترح الإثم والفاحشة، ويلعق دم الجريمة.

(٤) ص ١٠٨ فصوص.

زعمهم أن هوية الحق عين أعضاء العبد وقواه

ثم قال: «فلا قـرب أقرب من أن تكون هويته عين أعضاء العـبد وقواه[١] وليس العبد سوى هذه الأعضاء والقوى، فهو حق مشهود في خلق متوهم، فالخلق معقول، والحق مـحسـوس مشـهود عند المؤمنين، وأهل الكشف والـوجود[٢] وما عـدا هذين الصنفين فالحق عندهم معـقول، والخلق مشهود، فـهم بمنزلة الملح الأجاج، والطائفة الأولى بمنزلة الماء العذب الفرات السائغ لشـاربه، فالناس على قسمين: من الناس من يمشي على طريق يعرفها، ويعـرف غايتها، فهي في حقه على صراط مـستقيم، ومن الناس من يمشي على طريق يجهلها، ولا يعرف غايتها، وهي عين الطريق التي عرفها الصنف الآخر، فالعارف يدعو إلى الله على بصيرة، وغير العارف يدعو إلى الله على التقليد والجهالة»[٣].

---

(١) زاد الآثم فجوراً فى الزندقة، فـافترى على الله أنه ليس عين الخلق جميعـاً فحسب، بل هو عين كل عضـو فيهم وجارحـة، وأن قوى الله سبحـانه عين قوى الخلق المادية والروحـية، حتى ما يعـتمل فى الدم، ويختلج فى الخواطر من شـهوات الغرائز، وصور الأوهام!! ولذا يصف العبد بأنـه حق مشهود وأن وصفه بالخلقية وهم يغلف الحقيقة الكبرى بحجابه، تلك الحقيقة هى أن العبيد جميعًا أرباب وآلهة أوهم الرب تعينت أسمـاؤه آلهة تنجلي فى صور الخلق، هؤلاء القتلة السفـاحون السفاكون مغـتصبوا الأعراض، الوالغون فى الدم، هؤلاء المرتشون المفسدون فى الأرض، هؤلاء الذين يروعون أمن الحياة، وسلام الوجود، هؤلاء الظلمـة الفاتكون بالأيامى واليتامى والأرامل، كل هؤلاء عند الصـوفية أرباب خلقوا السموات والأرض، ولهم ملكوت السموات والأرض!!.

(٢) غالى الزنديق فزعم أن الخلق مـا هو إلا صورة ذهنية وهمية لا تحقق لهـا فى الخارج، أما الحق ـ أى الله سبحـانه ـ فهو محـسوس مشهـود، إذ لا ينفك عن التعين فى مادة. ويبـهت الزنديق بالجهل من يؤمن بأن الله تعالى يتجرد عن المادة، أو أنه شيء آخر غير المادة.

(٣) ص ١٠٨ فصوص، وغـير العارف هذا هو إله الصوفية مـتعينا فى صورة بدنية عنصـرية، فإلههم إذًا مقلد جاهل يدعو إلى نفسه عن تقليد وجهالة!.

تفسيرهم لما عذب الله به قوم هود

ثم قال: «ألا ترى عادا قوم هود كيف قالوا: ﴿هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا﴾ (سورة الأحقاف:٢٤) فظنوا خيرًا بالله تعالى ـ وهو عند ظن عبده به ـ فأضرب لهم الحق عن هذا القول، فأخبرهم بما هو أتم وأعلى في القرب، فإنه إذا أمطرهم فذلك حظ الأرض، وسقي الحبِّ، فما يصلون إلى نتيجة ذلك المطر[1] إلا عن بعد[2]، فقال لهم ﴿بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (سورة الأحقاف:٢٤)، فجعل الريح إشارة إلى ما فيها من الراحة، فإن بهذه الريح أراحهم من هذه الهياكل المظلمة، والمسالك الوعرة، والسدف المدلهمة، وفي هذه الريح عذاب، أي أمر يستعذبونه[3]، إذا ذاقوه، إلا أنه يوجعهم لغرقة المألوف»[4]، انتهى ما قاله مكذبا لصريح الذكر الحكيم في قوم قال فيهم أصدق القائلين ـ سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون والجاحدون {٢٣} علواً كبيرًا ـ: ﴿قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ﴾ (سورة الأعراف:٧١)، ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (سورة الأعراف:٧٢)، ﴿وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ (٥٩) وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ﴾ (سورة هود:٥٩-٦٠)،

ابن عربي يزعم أنه اجتمع بالأنبياء

ثم ادعى فى هذا الفص أنه رأى الأنبياء عليهم السلام فى مشهد واحد سنة ست وثمانين وخمسمائة، وأنه ما كلمه منهم إلا هود، وقال: «رأيته[5] لطيف المحاورة

---

(١) فى الأصل: الظن. (٢) فى الأصل: «فقد أي بعد».

(٣) فسر الريح التي أهلك الله بها عاداً بالرحمة والراحة، وفسر العذاب الذى حاق بهم بأنه أمر تستعذبه النفس. فتأمل!.

(٤) ص١٠٩ فصوص.

(٥) ذكر المؤلف قبل قول ابن عربى ملخصًا وإليك نصه: «واعلم أنه لما أطلعني الحق، وأشهدني أعيان رسله عليهم السلام، وأنبيائه كلهم البشريين من آدم إلى محمد ﷺ أجمعين فى مشهد أقمت فيه بقرطبة سنة ست وثمانين وخمسمائة ما كلمني أحد من تلك الطائفة إلا هود عليه السلام، فإنه أخبرني بسبب جمعيتهم، ورأيته رجلاً ضخمًا في الرجال حسن الصورة . . .إلخ» انظر (الفص الهودي من فصوص الحكم).

عارفًا بالأمور، كأشغالها، ودليلي على كشفه لها قوله: ﴿مَّا مِن دَابَّةٍ إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾(سورة هود:٥٦)، وأي بشارة للخلق أعظم من هذه؟ ثم من امتنان الله علينا أن أوصل إلينا هذه المقالة عنه في القرآن؟

ظن الصوفية بالله سبحانه

ثم تممها الجامع للكل محمد ﷺ، بما أخبر به عن الحق أنه عين السمع والبصر واليد والرجل واللسان، أي: هو عين الحواس والقوى الروحانية أقرب من الحواس، فاكتفى بالأبعد المحدود عن الأقرب المجهول الحد[1] فترجم الحق لنا عن نبيه هود مقالته لقومه بشري لنا، وترجم رسول الله ﷺ [عن الله] مقالته بشرى، فكمل العلم في صدور الذين أوتوا العلم ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلاَّ الْكَافِرُونَ﴾ (سورة العنكبوت:٤٧) فإنهم يسترونها ـ وإن عرفوها ـ حسدًا منهم ونفاسة وظلمًا، وما رأينا قط من عند الله في حقه تعالى في آية أنزلها، أو إخبار عنه أوصله إلينا فيما يرجع إليه إلا بالتحديد، تنزيهًا كان أو غير تنزيه، أولها العماء الذي ما فوقه هواء، وما تحته هواء، فكان الحق فيه قبل أن يخلق الخلق، ثم ذكر أنه استوى على العرش، فهذا أيضًا تحديد، ثم ذكر أنه ينزل إلى السماء الدنيا، فهذا تحديد، ثم ذكر أنه في السماء، وأنه في الأرض[2]،

---

(١) يقول الزنديق: إذا كان الله سبحانه عين حواس العبد وجوارحه، فأولى أن يكون عين قواه الروحية!... ويريد بالأبعد المحدود: الحواس وبالأقرب المجهول: القوى الروحية، الألسنة الآثمة الوالغة في الأعراض، والأيدي الملوثة بالجريمة السارقة، والأقدام التي تدب تحت الليل لتنتهك كل حرمة، وتستلب كل كنين. والشفاه الملوثة بأصباغ الشهوات. إنها ألسنة وأقدام وأيدي وشفاه الإله الذي يعبده الصوفية!!.

(٢) يومئ إلى قوله سبحانه: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ﴾ (سورة الزخرف:٨٤)، ويزعم أنها ذات دلالة على أن الله في السماء وفي الأرض، بل عين السماء وعين الأرض، في حين أن دلالة الآية جلية بينة على أنه سبحانه وحده إله من في السماء ومن في الأرض، وأنه المعبود من أهلهما ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ﴾ (سورة مريم:٩٣)، فالآيات مسوقة لبيان أن الله سبحانه له وحده الربوبية والإلهية، وأنه بيده ملكوت السماء والأرض، إذ جاء قبل تلك الآية: ﴿سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ =

وأنه معنا[١] أينما كنا - إلى أن أخبرنا أنه عيننا، ونحن محدودون، فما وصف نفسه إلا بالحد، وقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ (سورة الشورى:١١) حد أيضًا، إن أخذنا الكاف زائدة لغير الصفة، ومن تميز عن الحدود فهو محدود بكونه ليس عين هذا المحدود، فالإطلاق عن التقييد تقييد، والمطلق مقيد بالإطلاق لمن فهم، وإن جعلنا الكاف للصفة فقد حددناه، وإن أخذنا ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[٢] على نفي المثل تحققنا[٣] بالمفهوم

= رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾، وجاء بعدها: ﴿وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾، ورغم الإشراق العلوي من البيان وجلائه ووضحه يأبى ابن عربي إلا أن يفسر الآية بهذا البهتان الخبيث.

(١) يفسر ابن عربي المعية هنا بأنها معية الذات، وليت هذا فحسب، بل يريد من وراء هذا الفهم إثبات أننا عين الله ذاتاً ووجوداً وصفة، وإليك ما جلى به الشيخ ابن تيمية مسألة المعية: كلمة «مع» في اللغة إذا أطلقت فليس ظاهرها في اللغة إلا المقارنة المطلقة من غير وجوب مماسة أو محاذاة عن يمين أو شمال، فإذا قيدت بمعني من المعاني دلت على المقارنة في ذلك المعني. ثم هذه المعية تختلف أحكامها بحسب الموارد، فلما قال: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (سورة الحديد:٤)، دلَّ ظاهر الخطاب على أن حكم هذه المعية ومقتضاها: أنه مطلع شهيد عليكم، مهيمن عالم بكم، وهذا معنى قول السلف: معهم بعلمه. ولفظ المعية استعمل في الكتاب والسنة في مواضع تقتضي في كل موضع أمورًا لا تقتضيها في الموضع الآخر، فإما أن تختلف دلالتها بحسب المواضع، أو تدل على قدر مشترك بين جميع مواردها، وإن امتاز كل موضوع بخاصيته، وعلى التقديرين ليس مقتضاها أن تكون ذات الرب مختلطة بالخلق» انتهى باختصار عن (مجموعة الرسائل الكبرى، جـ١، ص٤٥١ وما بعدها).

وأقول: لا يخلو تصوير الزنديق للمعية من أحد أمرين، فإما أن تكون الذات مختلطة بكل ذوات الخلق، وإما أن تكون مختلطة ببعض دون بعض. فإن قال بالأول لزمه القول بانقسام الذات، وانفصال بعض أجزائها عن بعض، بل لزمه القول بتعدد الماهيات، وبالغيرية والتكثر الحقيقيين، وبأن كل شئ ليس عين الذات، بل بعضها، أو جزءها. وهذا غير ما يدين به الزنديق، فهو يفتري أن هوية الحق وماهيته عين هوية كل موجود وماهيته، وإن قال بالثاني لزمه ذلك أيضاً في البعض الذي يقول باختلاط الذات به، ولزمه في البعض الآخر القول بأن من الخلق من ليس عين الذات، بل غيرها. وهذا نقيض ما يدعيه! ولكن ماذا نقول في مخبول يزعم أن العدم عين الوجود، وأن الشيء نفس نقيضه؟!.

(٢) سبق الرد على ما يلبس به الزنديق ويفتريه هنا.

(٣) في الأصل: تحققا.

وبالإخبار الصحيح أنه عين الأشياء، والأشياء محدودة، وإن اختلفت حدودها فهو محدود بحد كل محدود، فما يُحَدُّ شيء إلا وهو حَدَّ الحق، فهو الساري في مسمى المخلوقات والمبدعات، ولو لم يكن الأمر كذلك ما صح الوجود، فهو عين الوجود، فهو على كل [شيء] حفيظ، ولا يؤوده حفظ شيء، فحفظه تعالى للأشياء كلها حفظه[1] لصورته، أن يكون الشيء غير صورته [٢٤] ولا يصح إلا هذا، فهو الشاهد من الشاهد، والمشهود من المشهود، فالعالَم صورته، وهو روح العالم المدبر له، فهو الإنسان الكبير»[2] هذا لفظه هنا، وتقدم في الفص الآدمي: أن العالَم يُعَبَّر عنه في اصطلاحهم بالإنسان الكبير، فراجعه تعرف صراحة كفر الخبيث.

الكون هو رب الصوفية

ثم قال: «فقل في الكون ما شئت، إن شئت قلت: هو الخلق، وإن شئت [قلت] هو الحق، وإن شئت قلت: هو الحق الخلق، وإن شئت قلت: لا حق من كل وجه، ولا خلق من كل وجه[3]، وإن شئت قلت بالحيرة في ذلك، فقد بانت المطالب بتعيينك المراتب، ولولا التحديد ما أخبرت الرسل بتحول الحق في الصور، ولا وَصَفَتْهُ بخلع الصور عن نفسه:

فلا تنظر العين إلاَّ إليه ••• ولا يقع الحكم إلا عليه[4]

---

(١) في الأصل: حفظ. (٢) ص١١١ فصوص الحكم.

(٣) لا حق من كل وجه باعتبار تعينه في صور بدنية عنصرية، أو باعتبار ظاهره. ولا خلق من كل وجه باعتبار هويته، أو باعتبار باطنه. هذا هو مراد الزنديق.

(٤) يقول: كل ما تقع العين عليه في الحياة، فهو الله، سل الصوفي في المواخير من ترى ثم؟ وسل الصوفي يرعى الخنازير ماذا تسوق؟ وسل الصوفي يرى الجيف المنتنة، والرمم البالية ماذا ترى؟ إنك ستسمعه مجيبًا - وهو يحدجك بالنظرة الساخرة - إنه الله!!! هذا معنى الشطر الأول من البيت، أما الشطر الثاني فيزعم فيه الزنديق: إن كل ما نحكم به على الأشياء فهو في الحقيقة محكوم به على الله سبحانه، إذ هو في إفك الزنادقة عين كل شيء فإذا حكمت على شيء بأنه جماد، أو عجل، أو صنم، أو رجس، أو جيفة - كانت تلك الأحكام كلها واقعة على رب الصوفية كما يدينون، لأنها ليست شيئًا آخر غير هذا الرب الصوفي.

ثم قال: «وبالجملة، فلابد لكل شخص من عقيدة في ربه يرجع بها إليه، ويطلبه فيها [فإذا تجلى له الحق فيها عرفه، وأقرَّ به، وإن تجلّى له فى غيرها أنكره وتعوذ منه، وأساء الأدب عليه في نفس الأمر، وهو عند نفسه أنه قد تأدب معه] فلا يعتقد معتقد إلهًا إلا بما جعل في نفسه، فالإله في الاعتقادات بالجُعْل فما رأوا إلا نفوسهم، وما جعلوا فيها.

لِمَ يقول الصوفية بوحدة الأديان؟

فإياك أن تتقيد بعقد مخصوص، وتكفر بما سواه، فيفوتك خير كثير، بل يفوتك العلم بالأمر على ما هو عليه. فكن في نفسك هيولي[1] لصور المعتقدات كلها، فإن الله تعالى أوسع وأعظم [من] أن يحصره عقد دون عقد، فإنه يقول: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ (سورة البقرة: ١١٥)»[2].

ثم قال: «فقد بان لك عن الله تعالى أنه فى أَيْنِيَّةِ[3] كل وجهة[4]، وما ثم إلا الاعتقادات، فالكلُّ مصيبٌ، وكل مصيبٍ مأجورٌ، وكل مأجورٍ سعيد، وكل سعيدٍ مَرْضِيٌّ عنه[5]، وإن شقي زمانًا ما في الدار الآخرة فقد مرض، وتألم أهل العناية - مع علمنا بأنهم سعداء وأهل حق - في الحياة الدنيا».

---

(١) يريد بها هنا ما يقبل التأثير، يقول الزنديق: اجعل نفسك بحيث تتقبل كل معتقد، وترضى به وتعتقد أنه حق، واحذر أن تنكر على المشرك شركه، أو على المجوسي مجوسيته، واحذر أن تقيد نفسك بدين خاص، وتحارب سواه، فالآلهة المعبودة في كل دين هي في حقيقتها الإله الواحد، وإن تك كواكب أو أحجارا، أو موتى .. وكل عابد لأي منها عابد لله فما ذلك المعبود إلا عين ذات الله!! وتعالى الله عن إفك الزنادقة.

(٢) ص ١١٣ فصوص.

(٣) نسبة إلى الأين، وهو حال تعرض للشيء بسبب حصوله في المكان.

(٤) في الأصل: وجه.

(٥) إيمان الزنديق بوحدة الأديان نتيجة إيمانه بوحدة الوجود، وتراه هنا يقرر الأولى، فيزعم أن من تدين بأي دين - سواء كان وضعيًا أم سماويًا - فهو سعيد مرضي عنه من الله.

الوحدة عند ابن الفارض

وإلى هذه الجهالة والضلالة رمز ابن الفارض في هذه المقالة:

فلا تك مفتوناً بِحسنك مُعجباً ■■■ بنفسك موقوفاً على لبس غرة

وفارق ضلال الفرق فالجمع[١] مُنْتِجٌ ■■■ هُدَى فُرْقَةٍ بالاتحاد تَحَدَّت

وصَرِّح بإطلاق الجمال، ولا تقل ■■■ بتقييده مَيْلاً لزخرف زينة

فكل مليح حُسْنُه من جمالها ■■■ مُعَارٌ له، أو حسن كل مليحةِ

بها قيسُ لُبْنى هام، بل كل عاشق ■■■ كمجنون ليلى، أو كُثَيِّر عزة

فَكُلٌّ صَبَا منهم إلى وصف لَبْسها ■■■ لصورة حُسْنٍ لاح في حُسْنِ صورةِ

وما ذاك إلا أن بدت بمظاهر ■■■ فظنوا سواها، وهْي فيها[٢] تجلت

بدت باحتجاب، واختفت بمظاهر ■■■ على صِبَغ التلوين في كل بَرْزَةِ[٣]

ففي النشأة الأولى تراءت لآدم ■■■ بمظهر حَوًا قبل حكم الأمومة

فهام بها كيما يصير بها أبا ■■■ ويظهَرَ بالزوجين حكمُ[٤] البُنُوَّةِ

وما برحت تبدو وتخفى لِعلّةٍ ■■■ على حسب الأوقات في كل حقبة

وتظهر للعشاق في كل مظهر ■■■ من اللَّبْسِ في أشكال حسنٍ بديعة

ففي مرة لُبْنَى، وأخرى بثينة ■■■ (٢٥) وآونة تُدْعى بِعَزَّةَ عَزَّت

---

(١) في الأصل: والجمع.

(٢) في الأصل: فيهم، والتصويب من الديوان.

(٣) البرزة: المرة من البروز، أو المرأة العفيفة تبرز للرجال، وتتحدث معهم وأخاله يريد بها هذا، إذ هو بصدد ذكر تجلي الحقيقة الإلهية في صور النساء.

(٤) في الأصل: سر.

وَلَسْنَ سواها، لا. ولا كُنَّ غيرها ▪▪▪ وما إن لها في حسنها من شريكة[(١)]

كذاك بحكم الاتحاد بحسنها ▪▪▪ كما لي بدت في غيرها، وتَزَيَّت

بَدَوْتُ لها في كل صَبٍ متيم ▪▪▪ بأيِّ بديع حسنُه، وبأيَّت[(٢)]

وليسوا بغيري[(٣)] في الهوى لتَقَدُّم ▪▪▪ عَلَيَّ لِسبْقٍ في الليالي القديمة

وما القوم غيري في هواها[(٤)] وإنما ▪▪▪ ظهرتُ (لهم) للَّبْسِ في كل هيئة

ففي مرةٍ قيساً وأخرى كُثيِّراً ▪▪▪ وآونة أبدو جميل بثينة

تجليت فيهم ظاهراً واحتجبت با ▪▪▪ طناً بهمُ فاعجب لكَشْفٍ بِسُتْرَة

أسام بها كنتُ المسمى حقيقة ▪▪▪ وكنتُ ليَ البادي بِنَفْسٍ تخفَّت

ومــا زِلتُ إياها، وإيَّايَ لم تزل ▪▪▪ ولا فرقَ، بل ذاتي لذاتي أَحَبَّتِ[(٥)]

---

(١)،(٢) يفتري سلطان الزنادقة أن الذات الإلهية تتجلى - أتم وأجمل ما تتجلى - في صور النساء الجميلات، ويفتري أنها تجلت في صور ليلى وبثينة وعزة، وقد رمز بهن عن كل امرأة جميلة عاشقة معشوقة، ولما كان من طبيعة هذا الرب الصوفي العشق، كان لابد له من التجلي في صور عشاق ليعشق، ويعشق، فتجلى في صور قيس وجميل وكثير عشاق أولئك الغانيات. وقد رمز بهم عن كل فتى اختبله الحب وتيمته الصبابة، ثم يفتري أيضًا الزعم بأن العاشق ليس غير العشيقة بل هو هي، فالرب الصوفي عشق وعاشق وعشيقة. فليلى وقيس مثلاً عند ابن الفارض هما الرب تعينت ذاته في صورة امرأة تعشق وتعشق هي ليلي، وفي صورة رجل يعشق ويعشق. هو قيس. وليتأمل القارئ معي. فابن الفارض حين يتحدث عن الذات الإلهية باعتبارها حقًا يحكم بأنها تظهر في صور نساء، وإذا تحدث عنها باعتبار تعينها فيه يحكم بأنها تظهر في صور رجال، يريد بهذا أن يفضل الرب المتعين فيه عن الرب المتعين في غيره، أو بتعبير أبين صراحة، يفضل نفسه على الرب الذي يظهر في صورة امرأة، ويجعل من نفسه قيمًا عليه، فالرجال - كما لا يخفى - قوامون على النساء!.

(٣) في الأصل: سواي.

(٤) في الأصل: هواي.

(٥) هذا وما قبله بين الدلالة على إيمان ابن الفارض بالوحدة، لا بالاتحاد، فإنه حين عبر بقوله: وما زلت إياها خشي أن يقال عنه أنه ما زال يستشعر اثنينية ما، لوجود محمول وموضع في تعبيره - وإن كان الحمل صوريًا، إذا المحمول عين الموضوع - أقول: خشي أن يقال عنه هذا فعقبه بقوله: ولا فرق، حتى لا تفهم أن الذات المعبر عنها بضمير المتكلم، وهو التاء في «ما زلت» غير المعبر عنها بضمير الغائب في إياها، وإنما هي هي. =

وليس معي في الكون شيء سواي ... المَعِيَّةُ لم تخطر على أَلْمَعِيَّتي [١]

الكثرة عين الوحدة

ثم قال ابن عربي في فص حكمة قلبية في كلمة شعبية: «وصاحب التحقيق يرى الكثرة في الواحد، كما يعلم أن مدلول الأسماء الإلهية، وإن اختلفت حقائق وكثرت أنها عين واحدة، فهذه كثرة معقولة في واحد العين، فيكون في التجلي كثرة مشهودة في عين واحدة، كما أن الهيولى[٢] تؤخذ[٣] في حد كل صورة [وهي] مع كثرة الصور [واختلافها] ترجع[٤] في الحقيقة إلي جوهر واحد، هو[٥] هَيُولاها، فمن عرف نفسه بهذه المعرفة فقد عرف ربه، فإنه على صورة خلقه بل هو عين هويته وحقيقته[٦]».

= وزاد ابن الفارض إيغالاً في كفره، فقال: بل ذاتي لذاتي، ليجرد الذات الإلهية من وجودها الخاص، وليؤكد أن ليس لها من وجود إلا هذا الوجود المقيد المتعين فى هذا أو ذاك من أفراد الخلق، ولإثبات الوحدة التامة بين الحق والخلق ـ لا فى الباطن فحسب ـ بل فى الظاهر، ثم لغرض آخر، وهو أن الذات الإلهية نالت كمالها بتعينها فى صورة ابن الفارض. هذا هو دين من لا يزال كبار الشيوخ ـ بله الزنادقة الصوفية ـ يلقبونه: سلطان العاشقين.

(١) هذا توكيد لما يدين به من الوحدة، ولذا يلح في نفي المعية، نفي أن يكون ثم فى الكون غير أو سوى إذ ما ثم إلا حقيقة واحدة، هي هوية الحق، تكثرت بمظاهرها الخلقية -والألمعية: الذكاء والفطنة.

(٢) يراد بها: المادة، أو ما به الشئ بالقوة، أو ما يقبل التأثير.

(٣)،(٤)،(٥) فى الأصل: يؤخذ. ويرجع. وهو، والتصويب من الفصوص.

(٦) ص١٢٤ فصوص، وقد خاف ابن عربي أن يظن به أنه يدين بمشاركة الإنسان لله فى أمر عرضي وهو الصورة، وذلك من قوله: فإنه على صورة خلقه ـ وإن كان يعني بالصورة هنا: وما شابه الشيء بالفعل ـ أقول: خاف هذا، فأضرب عن قوله هذا، وأتبعه بقوله: بل هو عين هويته وحقيقته. يا للزنديق!! فرعون حقيقة اللهعنده، وقارون، وهامان، وأبو جهل، وأبو لهب، بل كل آثم غوي الضلالة والفجور. كل هذا، والشيوخ يسبحون بحمد ابن عربي، ويرونه الروح الرفاف في ملكوت الجمال الأعظم، والنور الذي هدى إلى قدس الحقيقة.

أما قولنا ذيادًا عن جلال الله: إن ابن عربي كافر. فهو قول عند الشيوخ يستعصي على المغفرة!!.

قلت: وإلى هذا المحال أشار ابن الفارض، فقال:

رجعت لأعمال العبادة عادة ■■■ وأعددت أحوال الإرادة عُدَّتي

وعد جملة من أفعال البر في أبيات، ثم قال:

ودققت فكري في الحلال تورعا ■■■ وراعيت في إصلاح قُوتي وقوَّتي

متى حلت عن قولي: أنا هي أو أقل ■■■ وحاشا لمثلي[1] أنها فِيَّ حَلَّت

وهذا مثل ما يقال: خاب فلان وخسر، وكان مثل إبليس إن كان منه كذا.

فعل العبد عين فعل الرب عند الصوفية

وقال ابن عربي في فص حكمة نبوية في [كلمة] عيسوية:

فإنا أَعْبُدُ حقا ■■■ وإن الله مولانا

وإنَّا عينه، فاعلم ■■■ إذا ما قلت: إنساناً

فلا تُحْجَبْ بإنسان ■■■ فقد أعطاك برهانا

فكن حقاً، وكن خلقاً ■■■ تكن بالله رحمانا[2]

وقال في فص حكمة رحمانية في كلمة سليمانية: «والعمل مُقَسَّمٌ على ثمانية أعضاء من الإنسان، وقد أخبر الحق تعالى أنه هُوِيَّةُ كل عضو منها[3]، فلم يكن

---

(١) في الأصل: هداها.

(٢) ص١٤٣ فصوص، والرحمن عند الصوفية «اسم الحق باعتبار الجمعية الأسمائية التي في الحضرة الإلهية الفائض منها الوجود، وبقية الكمالات على جميع الممكنات» الكمشخانلي في جامعه تحت المادة. فهو مرادف للوجود المطلق. ويفتري الزنديق، فيزعم أن العارف يكون رحماناً -أي وجوداً مطلقاً، أي نفس الله سبحانه- إذا آمن أنه الحق، وأنه الخلق، إذا نظر إلى باطنه، فأيقن أنه حقيقة الحق، وإلى ظاهره، فأيقن أنه مظهر خلقي لحقيقة الحق. بهذه النظرة الشاملة من العارف إلى غيبه، وشهوده، يكون هو الذات الإلهية الجامعة للأسماء الإلهية كلها.. هذا مراد من يجعل الصوفية اسمه تميمة، والتسبيح بحمده روحانية ابتهال، وصلاة ضراعة، ونسك قرابين!!!.

(٣) يزعم الزنديق أن الحق سبحانه عين كل عضو وجارحة من كل إنسان، فإذا سرقت يد فالسارق رب الصوفية، وإذا اجترح الفاحشة أثيم فهو رب الصوفية، وإذا ولغ لسان في الأعراض الشريفة فالوالغ =

العامل غيـر الحق، والصورة للعبد، والهـوية مدرجة[١] فيه، أي في اسـمه، لا غير؛ لأنه تعالى عين ما ظهر»[٢].

ما الخلق؟

ثم قال: «فنحن نتـيجة رحمة الامـتنان بالأسماء الإلهيـة، والنسب الربانية، ثم أوجبهـا على نفسه بظهورنا لنا، وأعلمنا أنـه هويتنا، لنعلم أنه ما أوجبهـا على نفسه إلا[٣] لنفسه، فما خـرجت الرحمة عنه، فعلى من {٢٦} امتن، وما ثم إلا هو؟ إلا أنه لابُدَّ من حكم لسان التفصيل، لما ظهـر من تفاضل الخلق في العلوم، حتى يقال: إن هذا أعلم من هذا مع أحدية العين»[٤].

زعمه أن التفاضل لا يستلزم التغاير

ثم قال: «فكل جزء من العـالَم، أي هو قابل لحقائق متفرقـات العالَم كله، فلا يقـدح قولنا: إن زيدًا دون عـمرو في العـلم أن تكون هوية الحق عين زيد وعمـرو،

= رب الصوفية، وهكذا كل من يقترف جريمة، أو يروع الحق بباطله، والفـضيلة برذائله، فهو في الحقيقة رب خلاق عند الصـوفية!! ولست أدري أي إله هـذا الذي تقطع يده، ويرجم، ويجلد، وتقطع أيديه وأرجله من خلاف. وينفى من الأرض؟! أي إله هذا الذي يتدلى من مشافره ملايين الألسن، وتطحن الأعراض فى شدقيه ملايين الضروس، ويدب علي الأرض فاتكًا مدمرًا بملايين الأرجل؟ إنه الإله الذي يحرق الصوفية أرواحهم في المحاريب ضراعة باسمه الكريم!!! وكنت بصدد الإشارة إلى أن ابن عربي بهذا يثبت أنه ممن يدينون بالجبر القاهر المطلق، بيد أن خبيئته أخبث وأدنأ عهراً من هذا، إنه يهدف إلى جعل الأمر فوضى وإباحية عربيدة المجون، إلي الانتقاض على كل شرعة وقانون ونظام، بل إلي شنها حربًا طاحنة على الإسلام وحده، فإنه مجـَّد اليهودية بعبادة عـجل السامري، والمسيحية بعبادة عيسى، والمجوسية بعبـادة النار، والوثنية بعبادة الأصنام، ثم إلتفت إلى المسلمين زاريًا محقرًا مبـغضًا ساخرًا. لماذا؟! لأنهم يعبدون ربًا واحدًا، هو الله رب العالمين!!.

(١) في الأصل: مندوجة.

(٢) ص١٥١-١٥٢ فصوص الحكم.

(٣) في الأصل: لا.

(٤) ص ١٥٣ فصوص.

وتكون في عمرو أكمل [واعلم منه في زيد] كما تفاضلت الأسماء الإلهية، وليست غير الحق، فهو تعالى ـ من حيث هو عالم ـ أعم في التعلق من حيث ما هو مريد وقادر، وهو هو ليس غيره[1]، فلا تعلمه هنا يا ولي، وتجهله هنا، وتثبته هنا، وتنفيه هنا، إلا إن أثبته بالوجه الذي أثبت نفسه، ونفيته عن كذا بالوجه الذي نفى نفسه،

---

(١) يشهد العقل والحس والوجدان أن بعض الخلق أفضل من بعض، وليس هذا في الإنسان فحسب، بل كذلك في الحيوان والجماد والنبات، فالعالم أفضل من الجاهل، والقادر أفضل من العاجز، والمؤمن غير الكافر، وفي إثبات التفاضل إثبات للغيرية، وحكم بأن الأفضل ليس عين الفاضل المفضول، فكيف إذن يكون الحق عين الخلق. في حين أن الخلق يغاير بعضهم بعضا؟! وهذه المغايرة. تقتضي ولا ريب ثبوت أن الخلق غير الحق. وهذا ينقض دين ابن عربي في الوحدة. وقد أحس الزنديق بخطر هذه الشهادة العقلية الحسية الوجدانية علي معتقده. فراح يكدح في سبيل دفع هذا الخطر زاعمًا أن هذا التفاضل لا يستلزم مطلقًا مغايرة الحق للخلق، ولا مغايرة الذات الإلهية لنفسها أو مظاهرها، فهو ليس تفاضلاً واقعًا بين ذات وغيرها، بل بين بعض صفات وأسماء هذه الذات، وبين بعضها الآخر، وهذا لا يستلزم إلا مغايرة إسم لاسم، أو صفة لصفة، لا ذات لذات، ثم يفصل هذا بقوله كاستدلال على صدق معتقده: إن الأسماء، أو الصفات الإلهية، يفضل بعضها بعضًا، فاسمه ـ تعالى ـ العالم أفضل من اسمه ـ سبحانه ـ المريد، وذا أفضل من اسمه: القادر. إذ العلم أفضل من الإرادة وهما أفضل من القدرة، وهذا لشمول العلم وتعلقه بكل ما هو معلوم سواء أكان أمرًا وجوديصا أم عدميًا، موجوداً بالقوة أم موجوداً بالفعل، ممكن الوجود أم مستحيله ولا كذلك الإرادة. ثم إن الإرادة أسبق من القدرة، وبهذا كانت أفضل.

ثم يستطرد في تلبيسه قائلاً: بيد أن هذا التفاضل لا يمكن أبدًا استلزم أن يكون الإله غير نفسه. بل لا يمكن أن تحكم إلا بأن العالم عين القادر عين المريد، ومن هذا يثبت أن التفاضل لا يستلزم الغيرية أو التعدد. ثم ينتقل من هذا إلى ما يهدف إليه، فيزعم أنه لما كانت الموجودات هي تعينات أسماء الذات الإلهية وصفاتها، كان التفاضل الواقع بين الموجودات صورة للتفاضل الذي كان واقعًا بين الأسماء والصفات قبل تعينها في صور الموجودات، وقد ثبت أن هذا التفاضل لا يستلزم غيرية ولا تعدد، فيصدق القول: بأن الحق عين الخلق، ويصدق القول: بأن محمدًا هو عين أبي جهل، عين أبي لهب، عين فرعون، وبأن العالم عين الجاهل، والمؤمن عين الكافر، والموحد عين المشرك، لأن كل طرف من هذه المتقابلات ما هو إلا اسم إلهي تعين في هذا الطرف، ومنه يثبت ـ هكذا زعم الزنديق ـ أن العالم ـ رغم ما فيه من تفاضل يشعر بالغيرية ـ ليس شيئًا آخر غير الحق، بل هو عينه، إذ ما هو إلا أسماء الله وصفاته التي تعينت في صور هذا العالم، هذا هو مراد الزنديق، وما لهثت من أجله أنفاسه =

كالآية الجامعة للنفـي والإثبات في حقه حين قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، فنفى ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ فأثبت بصفة تعم كل سامع بصير من حيوان، وما ثم إلا حيوان، إلا أنه بَطَن في الدنيا عن إدراك بعض الناس، وظهر في الآخـرة لكل الناس، فإنها الدار الحيوان، وكذلك الدنيـا، إلا أن حياتها مستورة عن بعض العباد، لـيظهر الاختصاص والمفاضلة بين عـباد الله بما يدركونه[1] من حقـائق العالَم، فمن عم إدراكـه كان الحق أظهر في الحكم ممن ليس له ذلك العـموم، فلا تحجب بالتـفاضل، وتقول: لا يصح كلام من يقول: إن الخلق هوية الحق، بعد ما أريتك التفاضل في الأسماء الإلهية التي لا تشك أنت أنها [هي] الحق، ومدلولها المسمي بها وليس إلا الله»[2].

الضال مهتد، والكافر مؤمن

ثم قال: «نحن على الصراط المستـقيم الذى الرب عليه، لكون نواصينا في يده، وتستحيل مفارقتنا إياه، فنحن معـه بالتَّضْمين، وهو معنا بالتصريح، فإنه قال: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ (الحديد: ٤) ونحن معه بكونه آخذًا بنواصينا فهو تعالى مع نفسه حيثما مشي بنا من صراطه، فما أحد من العالم إلا على صراط مستقيم»[3].

= لـيثـبـت به قوله: «لا يقـدح قـولنا: إن زيـدًا دون عـمـرو في العلـم أن تكون هوية الحق عين زيد وعمرو»، ورغم ما في هذا الهراء من تلبيس زنديقي، فللعقل - أيِّ عقلٍ كان - أن يصرخ في وجه ابن عربي بالحق: ما زلت أيها الزنديق في حاجة - ولن تقضى لك والله هذه الحاجة أبدًا - إلى إثبات أصل زندقتك، وهو أن هذه الموجـودات هي تعينات أسمـاء الله، فقد بنيت هـراءك المجوسي كله على هذا الأصل الذي يحسد بيت العنكبـوت على قوته، وأقول: العقل وحده، إذ يسـتطيع كل امرئ يفهم آية واحدة من القـرآن أن يحكم على ابن عربي بالزندقة الفـاجرة، ولكن ماذا نفعل للكبـار، الكبار الذين يستظهرون ألف متن وحاشية، والمصحـف حتى علائم الوقف فيه!! يؤمنون بالزنديق، ويكفرون بآيات الله، ويقدسون فصوص الحكم، ويجحدون بالذكر الحكيم!.

(١) في الأصل: يذكرونه.

(٢) ص١٥٣ فصوص الحكم.

(٣) ص١٥٨ فصوص.

ثم قال في فص حكمة وجودية في كلمة داودية: «﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ (الأنبياء:٢٢) وإن اتفقا، فنحن نعلم أنهما لو اختلفا [تقديرًا] لنفذ حكم أحدهما، فالنافذ الحكم هو الإله على الحقيقة، والذي لم ينفذ حكمه ليس بإله، ومن هنا تعلم أن كل حكم ينفذ اليوم في العالم أنه حكم الله، وإن خالف الحكم المقرر في الظاهر المسمَّى: شرعا؛ إذ لا ينفذ حكمٌ إلا لله في نفس الأمر، لأن الأمر الواقع في العالم إنما هو على حكم المشيئة»[1].

لن يعذب كافر عند الصوفية

ثم قال: «ولما كان الأمر [في نفسه] على ما قررناه، لذلك كان مآل الخلق إلى السعادة على اختلاف أنواعها، فعبر عن هذا المقام بأن الرحمة وسعت كل شيء، وأنها سبقت الغضب الإلهي، والسابق متقدم، فإذا لحقه هذا الذي حكم عليه المتأخر حكم عليه المتقدم، فنالته الرحمة، إذا لم يكن غيرها سبق، فهذا معنى سبقت رحمته غضبه، لتحكم على من وصل [٢٧] إليها، فإنها في الغاية وقفت، والكل سالك إلى الغاية، فلابد من الوصول إليها، فلابد من الوصول إلى الرحمة، ومغادرة الغضب، فيكون الحكم لها في كل واصل إليها، بحسب ما يعطيه حال الواصل إليها.

فمن يك ذا فهم يشاهد ما قلنا ■■■ وإن لم يكن فهم، فيأخذه عنا
فما ثَمَّ إلا ما ذكرناه، فاعتمد ■■■ عليه، وكن في الحال فيه كما كنا
فمنه إليه ما تلونا عليكم ■■■ ومنا إليكم ما وهبناكم منا[2]

---

(١) ص ١٥٦ فصوص.
(٢) ص١١٦ فصوص.

وقال في فص حكمة نفسية في كلمة يونسية[١]: «وأما أهل النار فمآلهم إلى النعيم ولكن في النار، إذ لابد لصورة النار بعد انتهاء مدة العقاب، أن تكون بردًا وسلامًا على من فيها، وهذا نعيمهم، فنعيم أهل النار ـ بعد استيفاء الحقوق ـ نعيم خليل الله حين ألقي في النار، فإنه ﷺ تعذَّب برؤيتها، وبما تعود في علمه، وتقرر من أنها صورة تؤلم من جاورها من الحيوان، وما علم مراد الله فيها، ومنها في حقه، فبعد وجود هذه الآلام وجد بردًا وسلامًا مع شهود الصورة اللونية في حقه، وهي نار في عيون الناس، فالشيء الواحد يتنوع في عيون الناظرين. هكذا هو التجلي الإلهي»[٢].

وقال في فص حكمة غيبية في كلمة أيوبية: «وقد ورد في العلم الإلهي النبوي اتصاف الحق بالرضا والغضب، وبالصفات، والرضا مزيل للغضب، والغضب مُزِيلٌ للرضا عن المُرْضِيِّ عنه، والاعتدال: أن يتساوى الرضا والغضب، فما غضب الغاضب على من غضب عليه وهو عنه راضٍ، فقد اتصف بأحد الحكمين في حقه، وهو مَيْلٌ، وإنما قلنا هذا لأجل من يرى أن أهل النار، لا يزال غضب الله عليهم دائمًا أبدًا في زعمه، فمآلهم حكم الرضا من [الله] فصح المقصود، فإن كان ـ كما قلنا ـ مآل أهل النار إلي إزالة الآلام، وإن سكنوا النار، فذلك رضا، فزال الغضب لزوال الآلام، إذ عين الألم عين الغضب إن فهمت. فمن غضب فقد تأذى، فلا يسعى في انتقام المغضوب عليه بإيلامه إلا ليجد الغاضب الراحة بذلك، فينتقل الألم الذي كان عنده إلى المغضوب عليه، والحق إذا أفردته عن العالم يتعالى علوًا كبيرًا عن هذه الصفة على هذا الحد، وإذا كان الحق هوية العالم، فما ظهرت الأحكام كلها إلا فيه

(١) في الأصل: يوسفية.
(٢) ص ١٦٩ فصوص.

ومنه، وهو قوله: ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ﴾ حقيقة وكشفًا[١]، ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ حجابًا وسترًا[٢]، فليس في الإمكان أبدع من هذا العالم[٣]، لأنه على صورة الرحمن أوجده الله تعالى، أي ظهر وجوده تعالى بظهور العالم، كما ظهر الإنسان بوجود الصورة الطبيعية، فنحن صورته الظاهرة، وهويته روح هذه الصورة المدبرة لها، فما كان التدبير إلا فيه [كما لم يكن إلا منه]، فهو: «الأول» بالمعنى، «والآخر» بالصورة، وهو «الظاهر» [٢٨] بتغير الأحكام والأحوال «والباطن» بالتدبير «وهو بكل شئ عليم» فهو على كل شيء شهيد»[٤].

الحق عندهم سار في عناصر الطبيعة

وقال في فص حكمة ابناسية في كلمة إلياسية: «وكان إلياس الذي هو إدريس، قد مُثِّل له انفلاق الجبل[٥] [المسمى] لبنان عن فرس من نار، فلما [رآه] ركب عليه، فسقطت[٦] عنه الشهوة، فكان[٧] عقلاً بلا شهوة، فلم يبق له تَعَلُّقٌ بما تتعلق به الأغراض النفسية، فكان الحق فيه[٨] منزَّهًا، فكان على النصف من المعرفة بالله [فإن العقل إذا تجرد لنفسه من حيث أخذه العلوم عن نظره كانت معرفته بالله] عن

---

(١) يعني بالأمر: كل مظاهر الوجود وأحكامه، ويفتري بهذا على الله البهتان، فيزعم أن مظاهر الخلق هي مظاهر الحق، وأن ما نحكم به على مظاهر الوجود وصوره يجب أن نحكم به على الحق، إذ هو عين تلك المظاهر، فإذا قيل: إن فلاناً يتألم من كذا، أو يلتذ به، فالمتألم عند الصوفية والملتذ هو الحق المتعين في فلان هذا، وإذا قلنا: إن فلاناً آثم غوي، كان هذا الحكم محكوماً به في الحقيقة على رب الصوفية، لأنه هو عين هذا الآثم الغوي، هذا تفسيره لقوله سبحانه: ﴿إِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ﴾ ولذا عقبها بقوله: حقيقة وكشفاً.

(٢) الأمر بالعبادة يستلزم إثبات معبود وعابد، ويصف ابن عربي الأمر بالعبادة بأنه ستر وحجاب، إذ ما ثم عابد ومعبود، فالعابد عين المعبود. ولذا عقب الآية بقوله: حجاباً وستراً.

(٣) لأنه يدين بأن العالم هو الله وصفاته وأسماؤه.

(٤) ص ١٧٢ فصوص.

(٥)، (٦)، (٧)، (٨) في الأصل: جبل - سقطت- وكان- فيها.

التنزيه[١]، لا على التشبيه، وإذا أعطاه الله المعرفة بالتجلي كملت معرفته بالله، فنزَّه في موضع، وشبَّه في موضع، ورأي سريان الحق في الصُّوَر الطبيعية والعنصرية، وما بقيت له صورة إلا ويري عين الحق عينها، وهذه المعرفة التامة التي جاءت بها الشرائع المنزلة من عند الله، وحكمت بهذه المعرفة الأوهام كلها»[٢].

رد العراقي على وحدة الأديان

قال الإمام زين الدين العراقي في جواب السؤال المذكور قبل: «بتوحيد إلياس عليه السلام بُعثت الرسلُ كلها؛ لأن الملل كلها وما جاءت به الرسل لم يختلفوا في التوحيد والإقرار به، وقد نزه الله تعالى نفسه عن الشبه بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، وليت شعري ما الفائدة لبعثة الرسل إذا كان من عبد شيئًا من المخلوقات عابدًا لله تعالى؟! وليت شعري ماذا يقول هذا القائل في نبينا محمد ﷺ في نهيه عن عبادة الأوثان وكسرها؟! هل يقول: كانوا بعبادتها مصيبين عابدين لله، وأنه ما حصل لنبينا محمد ﷺ اتساع، فأنكر عليهم، كما قال في حق هارون عليه السلام، ولا شك أن الرسل كلهم متفقون في التوحيد، وكأنه إنما سكت عن ذلك خيفة من السيوف المحمدية، فإن هذه المؤلفات التي كان يُسِرُّها إلي أصحابه، ويسرها أصحابه إلى أصحابهم، ولو كان حقًا لأظهروه على رؤوس الأشهاد» انتهى.

الشرائع أوهام عند الصوفية

ثم قال ابن عربي: «فالْوَهْم هو السلطان الأعظم في هذه الصورة الكاملة الإنسانية، وبه جاءت الشرائع المنزلة، فشبهت ونزهت: شبهت في التنزيه بالوهم،

---

(١) الصوفية حرب على العقل، ويكفرون به كمصدر أو وسيلة من وسائل المعرفة، إذ يحكم على أوهامهم الذوقية بالتناقض، وأنها وليدة خرافة وأساطير.

(٢) ص١٨١ فصوص.

ونزَّهت في التشبيه بالعقل، فارتبط الكل بالكل، فلم يمكن أن يخلو[١] تنزيه عن تشبيه، ولا تشبيه عن تنزيه، قال الله تعالى: ﴿[لَيْسَ] كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ فنزَّه وشبَّه ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ فشبه، وهي أعظم آية تنزيه نزلت، ومع ذلك لم تخل عن تشبيه بالكاف، فهو أعلم العلماء بنفسه، وما عبر عن نفسه إلا بما ذكرناه»[٢].

ليس لله وجود عند الصوفية

ثم قال - في مثل ضربه للتشبيه في التنزيه، والتنزيه في التشبيه: «مثل من يرى الحق في النوم، ولا ينكر هذا، وأنه لا شك الحق عينه، فتتبعه لوازم تلك الصورة، وحقائقها التي تجلّى فيها في النوم، ثم بعد ذلك يُعَبَّر[٣] - أي يُجازُ - عنها إلى أمر آخر، يقتضي التنزيه عقلاً، فإن كان الذي يعبرها ذا كشف وإيمان، فلا يجوز عنها إلى تنزيه فقط، بل يعطيها {٢٩} حقها[٤] في التنزيه، ومما ظهرت فيه، فالله على التحقيق عبارة[٥] لمن فهم الإشارة»[٦].

الداعي عين المجيب

ثم قال: «ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ (سورة غافر: ٦٠)، قال الله: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ (سورة البقرة: ١٨٦). إذ لا يكون مجيبًا إلا إذا كان من يدعوه[٧]، وإن كان عين الداعي عين المجيب، فلا

---

(١) في الأصل: يخلق.
(٢) ص ١٨١ فصوص.
(٣) في الأصل: تعبر.
(٤) في الأصل: من.
(٥) في الأصل: عبادة.
(٦) ص ١٨٢ فصوص.
(٧) في الأصل: غيره بعد كلمة يدعوه.

خلاف في اختلاف الصور، فهما صورتان بلا شك[١]، وتلك الصور كالأعضاء لزيد، فمعلوم أن زيدًا حقيقة واحدة شخصية، وأن يده ليست صورة رجله، ولا رأسه ولا عينه، ولا حاجبيه، فهو الكثير بالصور الواحد بالعين كالإنسان بالعين واحد بلا شك، ولا نشك أن عمروًا ما هو زيد، ولا خالد، ولا جعفر، وأن أشخاص هذه العين الواحدة لا تتناهى وجودًا، فهو وإن كان واحدًا بالعين، فهو كثير بالصور والأشخاص، وقد علمت قطعًا ـ إن كنت مؤمنًا ـ أن الحق عينه يتجلى يوم القيامة في صورة، فيُعْرَف، ثم يتحول في صورة فينكَر، ثم يتحول عنها في صورة فيعرف، وهو هو المتجلي ليس غيره في كل صورة. ومعلومٌ أن هذه الصورة ما هي تلك الصورة الأخرى، فكأن العين الواحدة قامت مقام المرآة، فإذا نظر الناظر فيها إلى صورة معتقده في الله عرفه، وأقَرَّ به، وإذا اتفق أن يرى فيها معتقد غيره أنكره، كما يرى في المرآة عين صورته وصورة غيره، فالمرآة عين واحدة، والصور كثيرة في عين الرائي، وليس في المرآة صورة منها جملة واحدة مع كون المرآة لها أثر في الصور بوجه، وما لها أثر بوجه»[٢].

ثم قال: «فإن كوشف على أن الطبيعة عين نَفَس الرحمن، فقد أوتي خيرًا كثيرًا»[٣].

---

(١) الأمر بالدعاء يقتضي الاثنينية والغيرية، أعني يستلزم وجود داع ومجيب، لذا راح الزنديق يزعم أنها اثنينية وهمية، وغيرية صورية، فالداعي هو الله تعين في صورة من يدعو، والمجيب هو الله تعين في صورة من يجيب، فهما غيران في الصورة واحد في الحقيقة. ولذا يقول: الداعي عين المجيب، وما أخال القارئ في حاجة إلى البيان عما في هذا من تخريف كافر.

(٢) ص ١٨٤ فصوص.

(٣) ص ١٨٧ فصوص.

قلت: وإلى هذا أومأ ابن الفارض بقوله:

ولا تحسبن الأمر عني خارجًا ■■■ فما ساد إلا داخل في عبودتي[١]
ولولاي لم يوجد وجود، ولم يكن ■■■ شهود، ولم تُعْهَد عهود بذمة
وفي عالم التركيب في كل صورة ■■■ ظهرت بمعنى عنه بالحسن زينتي
وضربي لك الأمثال مني مِنَّةٌ ■■■ عليك بشأني مرة بعد مرة
تأمل مقامات السُّروجي[٢] واعتبر ■■■ بتلوينه، تحمل قبول مشورتي
وتدر[٣] التباس النفس بالحس باطنًا ■■■ بمظهرها في كل شكل وصورة
وشاهد إذا استجليتَ نفسك ما ترى ■■■ بغير مراء[٤] في المرائى الصقيلة[٥]
أغيرك فيها لاح، أم أنت ناظر ■■■ إليك بها عند انعكاس[٦] الأشعة؟
وأصغ لرجع الصوت عند انقطاعه ■■■ إليك بأكناف القصور المشيدة
أهل كان من ناجاك ثَمَّ سواك، أم ■■■ سمعت خطابًا عن صداك المصوِّت
وقل لي: من ألقى إليك علومه ■■■ وقد ركدت منك الحواس بغفلة

---

(١) في الأصل: عبوتي.
(٢) اسم الشخص الذي بنى عليه الحريري مقاماته.
(٣) في الأصل: تدري.
(٤) في الأصل: المرآة.
(٥) (يرد الشيخ الجليل ابن تيمية على هذا المثل الذي يمثل به ابن الفارض الوحدة بين الحق والخلق، فيقول: «فلو قدر أن الإنسان يرى نفسه في المرآة، فالمرآة خارجة عن نفسه، فرأى نفسه، أو مثال نفسه في غيره، والكون عندهم ليس فيه غير ولا سوى، فليس هناك مظهر مخالف للظاهر، ولا مرآة مغايرة للرائي، وهم يقولون: إن الكون مظاهر الحق، فإن قالوا: المظاهر غير الظاهر لزم التعدد وبطلت الوحدة، وإن قالوا: المظاهر هي الظاهر، لم يكن قد ظهر شيء في شيء، ولا تجلى شيء في شيء، ولا ظهر شيء لشيء، وكان قوله: «يعني ابن الفارض» «ومشاهد إذا استجليت.... إلخ» كلامًا متناقضًا، لأن هنا مخاطِبًا ومخاطَبًا ومرآة تستجلي فيها الذات، فهذه ثلاثة أعيان، فإن كان الوجود واحداً بالعين، بطل هذا الكلام، وكل كلمة يقولونها تنقض من أصلهم» (ص٨٧، جـ١، مجموعة الرسائل والمسائل).
(٦) في الأصل: الانعكاس.

وما كنت تدري قبل يومك ما جرى ■■■ بأمسك، أو ما سوف يجري بغدوة

فأصبحت ذا علم بأخبار من مضى ■■■ (٣٠) وأسرار من يأتي مُدِلاً بخبرة

أتحسب من جاراك في سنة الكرى ■■■ سـواك بأنواع العلوم الجليلة

وما هي إلا النفس عند اشتغالها ■■■ بعالمها عن مظهر البشرية

تجلت لها[١] بالغيب في شكل عالم ■■■ هَداها إلى فهم المعاني الغريبة

ولا تك مِمَّن طيَّشَتْهُ دروسُه ■■■ بحيث استقلت عقله واستفزَّت

فثمَّ وراء النقل علم يَدُقُّ عن ■■■ مدارك غايات العقول السليمة[٢]

تلقيته مني، وعني أخذته ■■■ ونفسي كانت من عطائي مُمِدَّتي

ولا تك باللاهي عن اللهو جملة ■■■ فَهَزْل الملاهي جِدُّ نفس مُجِدَّةِ

الحق عين كل معلوم عند الصوفية

ثم قال[٣] في فص حكمة إحسانية في كلمة لقمانية ـ بعد أن ذكر أن من حكمته الملفوظة ـ: «أنها إن تك مثقال حبة من خردل الآية. . . وأن من حكمته المسكوبة[٤]

---

(١) في الأصل: لهم.

(٢) يقصد بالنقل نصوص الشرائع السماوية، والصوفية لا يبغضون شيئاً في الحياة بغضهم لما أوحى به الله سبحانه إلى رسله، وإذا استشهد صوفي بآية أفسد معناها بأساطير زندقته. وإذا استشهد بحديث، فثق أنه موضوع، وضعته الصوفية منذ خلعت عنها إسم المجوسية، وتسمت بهذا الإسم الخلوب المكر والخديعة، لتنفث سمومها الفتاكة، وتعيث بزندقتها في عقائد المسلمين فساداً، ولذا يقول ابن الفارض: لا تركن إلى الكتاب والسنة فليس فيهما أثارة من الحق، ولا لمع من الهداية، ولا إشراق من الحقيقة، وتعال إلى أعلمك علمًا دقيقًا جليلاً يهيمن على الهدى والحق!!.

وأقول: إذا كان علم ابن الفارض يدق عن مدارك العقول المشرقة، فمن للدراويش؟ من للذين هم ليسوا بأقطاب؟ ثم أليس أولئك الذين لا يعلمون علمه هم الله في عرف زندقته؟ أليس هذا معناه أن له علماً يدق حتى عن الله سبحانه؟ ومعناه أن زندقته أبر بالحق والهدى من شرائع الله سبحانه؟!.

(٣) أي: ابن عربي.

(٤) لعلها: المسكوت عنها، فابن عربي يقول في هذا الفص: «والحكمة قد تكون متلفظًا بها، ومسكوتًا عنها».

عموم المؤتى إليه، لأنه لم يقل: يأت بها الله إليك، أو إلى غيرك، قال: «فنبه لقمان بما تكلم به، وبما سكت عنه أن الحق عين كل معلوم، لأن المعلوم أعم [من الشيء][(١)] فهو أنكر النكرات، ثم تم الحكمة، واستوفاها لتكون النشأة كاملة فيها، فقال: «إن الله لطيف»، فمن لطافته ولطفه أنه في الشيء المسمى كذا، المحدود بكذا، عين ذلك الشيء، حتي لا يقال فيه إلا ما يدل عليه اسمه بالتواطؤ[(٢)] والصطلاح، فيقال: هذا سماء، وأرض، وصخرة، وشجرة، وحيوان، وملك، ورزق، وطعام، والعين واحدة من كل شيء[(٣)].

---

(١) يقول أبو البقاء في كلياته: «الشئ هو لغة: ما يصح أن يعلم ويخبر عنه، فيشمل الموجود والمعدوم ممكنا، أو محالاً، واصطلاحًا: خاص بالموجود ـ خارجيًا كان أو ذهنيًا ـ والشيء أعم العام، ويقع على الواجب والممكن والممتنع. نص على ذلك سيبويه، حيث قال في كتابه: الشيء يقع على كل ما أخبر عنه، ومن جعل الشيء مرادفًا للموجود حصر الماهية بالموجود، ومن جعله أعم عمم الموجود والمعدوم».

ولكن ابن عربي يفسر الشيء بأنه المتحقق بالفعل، وعلى هذا فالمعلوم أعم منه، إذ المعلوم عنده يتناول الموجودات: عينية، أو علمية ممكنة، أو ممتنعة، وابن عربي يزعم أن الحق عين كل معلوم، وهذا معناه أن إلهه عين الممكن، وعين الممتنع، عين الوجود الخارجي، وعين الوجود الذهني، عين الوهم، وعين الحقيقة عين الباطل، وعين الحق، عين الغي والضلال، وعين الرشد والهدى، عين العدم والفناء، وعين الوجود والبقاء، هذا هو إله الصوفية الأعظم!!.

(٢) المتواطئ هو الكلي إن استوت أفراده فيه، كالإنسان بالنسبة إلى أفراده، فالإنسانية في محمد مثلاً عينها في بكر، عينها في خالد، عينها في كل فرد، فهو يطلق على كل فرد فرد بمعنى واحد لا يزيد، ولا ينقص في فرد عنه في فرد آخر. وكذلك اسم الله سبحانه ـ هكذا يفتري الزنديق الآثم ابن عربي ـ يقال على كل معلوم بالتواطؤ، يقال على الممكن والممتنع، على الموجود والمعدوم، على الوجود الذهني، وعلى الوجود الخارجي، على الإنسان والحيوان والجماد، والميكروبات، والرمم!! هذا دين من لا يزال بعض كبار الشيوخ يتخذونه لهم قدوةً وإمامًا، ويثورون ثورة الدنس والرذيلة على الطهر والفضيلة، إذا شاء كاتب أن يصفع باطله بيد الحق القاهرة القوية!!.

(٣) يزعم أن السماء عين الأرض، وأن الصخرة عين الشجرة، وأن الجماد عين الحيوان، يؤمن بأن كل شئ من هذه الأشياء عين الآخر، ويؤمن بأن الله سبحانه عين كل شيء، فسمه بأي اسم شئت من أسماء هذه الأشياء، فلن تعدو الحق عند الزنديق، سمه أرضًا، أو صخرة، أو شجرة، أو حيوانًا، أو جمادًا أو حشرةً، فالكل عينه؛ وهويتها هويته، وماهيتها ماهيته، ووجودها عين وجوده، وأسماؤها أسماؤه!! أرأيت أية مادية صماء يوغل ابن عربي في الإيمان بها إذ يرى ربه صخرًا وجمادًا؟.

ـ فأين هي الروحانية في التصوف يا أحلاس المجوسية، ويا عبدة الخنازير؟!.

وفيه كما تقول الأشاعرة[١]: أن العالم كله متماثل بالجوهر، فهو جوهر واحد[٢]. فهو عين قولنا: [العين واحدة] ثم قالت: ويختلف بالأعراض، وهو عين قولنا ويختلف، ويتكثر بالصور والنِّسب حتى يتميز، فيقال: هذا ليس هذا من حيث صورته، أو عَرَضه، أو مزاجه كيف شئت، فقل: وهذا عين هذا من حيث جوهره، ولهذا تؤخذ عين الجوهر في حد كل صورة، أو مزاج، فنقول نحن: إنه ليس سوى الحق، ويظن المتكلم[٣] أن مسمَّى الجوهر الفرد ـ وإن كان حقًا ـ ما هو عين الحق الذي يطلقه أهل الكشف والتجلي فهذا حكمة كونه: لطيفاً[٤]، ثم نعت.

---

(١) مدرسة كلامية ابتدعت مذهبًا كلاميًا ملفقًا، فهو أمشاج من الاعتزال والسلفية، والجبرية، والفلسفة اليونانية القديمة قبل سقراط، زعيمها: أبو الحسن الأشعري المتوفى سنة ٣٣٠هـ وأشهر زعمائها بعده الباقلاني والجويني، والغزالي. راجع ما كتبته عن هذه المدرسة في كتابي دعوة الحق.

(٢) قال السعد في (المقاصد ـ ص٣١٨، جـ١): «أثبت المتكلمون أن أجزاء الجسم هي الجواهر الفردة، وأنها متماثلة لا يتصور فيها اختلاف، ليثبتوا أن الأجسام متحدة بالحقيقة، وإنما الاختلاف بالعرض، وهذا أصل ينبني عليه كثير من قواعد الإسلام «تأمل!!» كإثبات القادر المختار، وكثير من أحوال النبوة والمعاد».

وعلى الرغم مما هول به الأشاعرة حول أسطورة الجوهر الفرد التي استمدوها من الفلسفة اليونانية القديمة، وبخاصة من ديمقريط، فإن قولهم لا ينتسب إلى الصوفية في الوحدة برحم، فالأشاعرة يقولون بتماثل الجواهر الفردة في الأجسام. أما الصوفية فيدينون، لا بالتماثل، بل بالوحدة التامة بين الحق والخلق، ثم إن الأشاعرة يدينون بوجودين: وجود الله، ووجود العالم، الأول قديم، والثاني حادث، أما الصوفية فيدينون بوجود واحد تردد بين الإطلاق والتقييد، وجود يجمع الخالق بالخلق، أما الصوفية فيكفرون بأن الله خالق، إذ الحق والخلق عندهم حقيقة واحدة، وإليك ما يرد به العلامة المقبلي على ما نسبه ابن عربي إلى الأشاعرة هنا، وهو قولهم بوحدة الجوهر: «وقد غالط في كلامه هذا أو غلط، وذلك بقوله: فهو جوهر واحد فإنه ليس من كلام الأشاعرة، ولا غيرهم من المتكلمين، ألا ترى إلى قولهم: متماثل؟! وهو ـ أي ابن عربي ـ قد أحال التماثل وأحال الشركة لاتحاد العين» (العلم الشامخ ـ ص٤٣٧).

(٣) يقصد القائلين بالجوهر الفرد من الأشاعرة.

(٤) يعني اسم الله سبحانه في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ (سورة الأحزاب: ٣٤).

فقال: خبيـرًا، أي عالمًا عن اختبار[١]، وهو قوله: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ﴾ (سورة محمد:٣١)، وهذا هو علم الأذواق، فجعل الحق نفسَـه - مع علمه بما هو الآمر عليه - مستفيدًا علمًا، ولا نقدر[٢] على إنكار ما نص الحق عليه [في حق نفسه]، ففرق تعالى بين علم الذوق والعلم المطلَق، فعلم الذوق مُقَيَّد بالـقوى وقد قال عن نفسه: إنه عين قوى عبده في قوله: كنت سمعه. وهو قوة من قوى العبد وبصرَه، وهو قوة من قوى العبد ولسانه، وهو عـضو من أعضاء العبد، ورجله، ويده، فما اقتـصر في التعريف على القوى فحسب، حتى ذكر الأعضاء، وليس العبدُ بغيرٍ لهذه[٣] الأعضاء والقوى، فعين مسمًّى العبد هو الحق، لا عين العبد هو السيد[٤]، فإن النسب متميزة لذاتها[٥]، وليس المنسوب إليه متميزًا [٣١] فـإنه ليس ثمَّ سوى عينه في جميع النسب، فهو عين واحدة ذات نِسَبٍ وإضافات وصـفات، فَمِنْ تمام حكمة لقمان في تعليـمه ابنَه ما جاء به في[٦] هذه الآية من[٧] هذين الاسمين الإلهيين»[٨].

وقال في فص حكمة إمـامية في كلمة هارونيـة: «اعلم أن وجود هارون كان من حضرة الرَّحَمُوت»[٩]. ثم ذكر غضب موسى ﷺ، وأخذَه بلحيته، ثم قال: «وسبب ذلك عدم التَّثَـبُّتِ في النظر فيما كـان في يديه من الألواح، التي ألقاها من يده، فلو نظر فيها نظرة تثبت لوجد فيها الـهدى والرحمة، فالهدى بيان ما وقع من الأمر الذي

---

(١) ينسب العلم الاختباري إلي الله، بيد أنه يفسره بأنه العلم الذوقي، وهذا عنده مقيد بالقوى التي تفيده وصادر عنها، والزنديق يفتري أن الله سـبحانه عين قوى العبد وأعضائه، وعلم العبـد مستمد من هذه القوي والأعضـاء، فعلم الحق عنده هو ما يعلمه العـبد عن طريق قواه وأعضائه، إذ ليس الحق شـيئًا سوى هذا العبد!!.

(٢)،(٣)،(٤)،(٥)،(٦) في الأصل: يقدر - غير هذه - اليد - لذواتها - من.

(٧) في الأصل: في.

(٨) ص ١٨٩ فصوص.

(٩) ص ١٩١ فصوص.

أغضبه مما [هو] هارون بريء منه، والرحمة بأخيه[١]، فكان لا يأخذ بلحيته بمرأى من قومه مع كِبَرِه، وأنه أَسَنُّ منه»[٢].

تمجيد الصوفية لعبادة العجل

ثم قال: «وكان موسى ﷺ أعلم بالأمر من هارون، لأنه علم ما عَبَدَهُ أصحابُ العجل، لعلمه بأن الله قد قضي ألاَّ نعبد إلا إياه، وما حكم الله بشيء إلا وقع، فكان عَتْبُ موسى أخاه هارون لما وقع [الأمر] في[٣] إنكاره وعدم اتساعه، فإن العارف من يرى الحق في كل شيء، بل يراه عين كل شيء»[٤].

بعض ما كفَّر به العراقي ابن عربي

قال الشيخ زين الدين العراقي في جواب السؤال المذكور: «هذا الكلام كفر من قائله من وجوه:

أحدها - أنه نسب موسى ﷺ إلى رضاه بعبادة قومه للعجل.

الثاني - استدلاله بقوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ﴾ (سورة الإسراء:٢٣). على أنه قَدَّر[٥] أن لا يُعْبَدَ إلا هو، وأن عابد الصنم عابد له، الثالث:

---

(١) في الأصل: لأخيه.

(٢) ص ١٩١ فصوص.

(٣) في الأصل: من.

(٤) ص ١٩٢ فصوص، وقد خشي الزنديق من تعبيره الأول: «في كل شيء» أن يتهم بأنه حلولي، لإفادة في معنى الظرفية، أو أن يظن أحد أن في كلامه مجازاً تقديره: يرى أثر قدرة الله في كل شيء، خشي هذا وذاك فعقبه بنص قاطع الدلالة على معتقده إذ قال: بل يراه عين كل شيء، ليؤكد لك إيمانه بوحدة الوجود المادية والروحية.

(٥) يفسر الزنديق قضى بقدر وحكم. ثم يستطرد فيقول: وكل ما قدره الله أو حكم به فلابد من وقوعه، ومما وقع عبادة العجل وعبادة الصنم، والنار والكواكب وغيرها، وهذا دليل على أن عبادة =

أن موسى عليه السلام عتب على أخيه هارون عليهما السلام إنكاره لما وقع، وهذا كذب على موسى عليه السلام، وتكذيب لله فيما أخبر به عن موسى من غضبه لعبادتهم العجل، الرابع: أن العارف يرى الحق في كل شيء، بل يراه عين كل شيء، فجعل العجل عينَ الإله المعبود، فليعجب السامع لمثل هذه الجرأة التي تصدر ممن في قلبه مثقال ذرة من إيمان».

= هذه الأشياء حكم إلهي قدره الله فوقع، ولما كان الله سبحانه لا يمكن أن يحكم بعبادة غيره، بدليل: ﴿ألا تعبدوا إلا إياه﴾ كان هذا دليلاً على أن تلك المعبودات ليست شيئًا غير الله سبحانه، بل هي عينه، وعلي أن عابديها لم يعبدوا إلا الله، هذا ما يهدف إليه ابن عربي من تفسيره لقضى: بقدر وحكم.

وإليك ما يرد به الشيخ الجليل ابن تيمية على تلبيس ابن عربي وبهتانه هذا: «احتج الملحدون بقوله: ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه﴾ قالوا: «وما قضى الله شيئًا إلا وقع»، وهذا هو الإلحاد في آيات الله، وتحريف الكلم عن مواضعه، والكذب على الله، فإن (قضى) هنا ليست بمعنى القدر والتكوين بإجماع المسلمين، بل وبإجماع العقلاء، حتى يقال: «ما قدر الله شيئًا إلا وقع» وإنما هي بمعنى: أمر. وما أمر الله به، فقد يكون، وقد لا يكون، فتدبر هذا التحريف، وكذلك قوله: «ما حكم الله بشيء إلا وقع» كلام مجمل فإن الحكم يكون بمعنى الأمر الديني، وهو الأحكام الشرعية، كقوله: ﴿يأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود، أحلت لكم بهيمة الأنعام﴾ الآية، وكقوله: ﴿ذلكم حكم الله يحكم بينكم﴾ ويكون الحكم حكمًا بالحق والتكوين والعقل، كقوله: ﴿لن أبرح الأرض حتى يأذن لي أبي، أو يحكم الله لي﴾، وقوله: ﴿قال: رب احكم بالحق﴾؛ ولهذا كان بعض السلف يقرأون: (ووصى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه) وذكروا أنها كذلك في بعض المصاحف، ولهذا قال في سياق الكلام: ﴿وبالوالدين إحسانًا﴾، وساق أمره ووصاياه إلى أن قال: ﴿ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة، ولا تجعل مع الله إلهًا آخر﴾ فختم الكلام بمثل ما فتحه به من أمره بالتوحيد ونهيه عن الشرك ليس هو إخبارًا أنه ما عبد أحد إلا الله، وأن الله قدر ذلك وكونه، وكيف وقد قال: ﴿ولا تجعل مع الله إلهًا آخر﴾ وعندهم ليس في الوجود شئ يجعل إلهًا آخر. فأي شيء عبد فهو نفس الإله ليس آخر غيره» (ص ٨٨، جـ٤ ـ مجموعة الرسائل والمسائل).

آيات تشهد بكفر ابن عربي

ثم ساق من الآيات[١] التي كذب بها في هذه المقال[٢] قوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا (٩٢) أَلاَّ تَتَّبِعَنِ﴾ (سورة طه:٩٢-٩٣). وقوله: ﴿بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي﴾ (سورة الأعراف: ١٥٠)، وقوله: [﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لا يُكَلِّمُهُمْ وَلا يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً] اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾[٣] (سورة الأعراف:١٤٨)، وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾ (سورة الأعراف:١٥٢)، وقوله: ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (سورة الأعراف:١٤٩).

شرك الصوفية أخبث الشرك

ثم قال[٤]: فجاء هذا المخالف لله، ولرسوله ولجميع المؤمنين، فصوَّب فعلهم، وصرح بأنهم من العارفين بقوله: إن العارف من يرى الحق في كل شيء، بل يراه عين كل شيء، ولا شك أن شرك قائل هذا أشد من شرك اليهود والنصارى فإن أولئك عبدوا عبدًا من عباد الله المقربين، وهذا يرى أن عبادة العجل والصنم عين عبادة الله، بل يؤدي كلامه إلى أن يرى الحق عين الكلب والخنزير، وعين العذرة، وقد أخبرني بعد الصادقين من فضلاء أهل [٣٢] العلم أنه رأى شخصًا ممَّن ينتحل هذه المقالة القبيحة بثغر الإسكندرية، وأن ذلك الشخص قال له: إن الله تعالى هو

---

(١) أي العراقي.

(٢) يقصد ما نسبه ابن عربي إلى موسى ﷺ من الرضا بعبادة العجل، ونسبته الجهل إلى هارون باستنكاره لعبادة العجل، وتصحيحه لعبادة العجل، وزعمه أنها عبادة لله، إذ العجل ليس شيئًا غير الإله المعبود.

(٣) استشهد العراقي بالآية مبتورة، فذكرتها بتمامها لأنها نص في الحكم، ووضعت ما لم يستشهد به العراقي بين هذين [ ].

(٤) أي العراقي.

عين كل شيء، فمر بهما حمار، فقال[١]: وهذا الحمار؟! فقال[٢]: وهذا الحمار؛ فَرَوْث الحمار من دبره!!! فقال[٣] له: وهذا الروث؟! فقال[٤]: وهذا الروث!! فنسأل الله السلامة والتوفيق[٥].

تعليلهم لإنكار موسى عليه السلام على السامري

قال ابن عربي: وكان موسى يربي هارون عليهما السلام تربية علم، وإن كان أصغر منه في السن، ولذلك لما قال له هارون ما قال رجع إلى السامري، فقال له: ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ ﴾ (سورة طه: ٩٥)، يعني فيما صنعتَ من عدو لك إلى صورة العجل على الاختصاص، وصنعك هذا الشبح من حلي القوم، حتى أخذت بقلوبهم من أجل أموالهم[٦]، وليس للصور بقاء، فلابد من ذهاب صورة العجل لو لم

---

(١)،(٣) يعني العالم الفاضل.

(٢)،(٤) أي الصوفي.

(٥) ذكر الإمام ابن تيمية الصدوق مثل هذه القصة، فقال: «مر شيخان ـ منهم التلمساني والشيرازي على كلب أجرب ميت بالطريق عند دار الطعم، فقال الشيرازي للتلمساني: هذا «يشير إلى جثة الكلب الميت الأجرب» أيضًا هو ذات الله؟! فقال: وهل ثم شيء خارج عنها؟! نعم: الجميع ذاته» (جـ١، ص١٤٥ـ مجموعة الرسائل الكبرى)، (ص١٠٥ ـ مجموعة الرسائل والمسائل). وليس هذا بمستغرب ممن يدينون بأن الله سبحانه عين كل شيء فالروث شيء، والجيفة المنتنة شيء، والخنزير شيء، والبغي الهلوك شيء، والأحمق المأفون شيء، وحسب الصوفية أن تكون هذه بعض أربابهم وآلهتهم!!.

(٦) يريد الزنديق بهذا تصويب عبادة العجل، فيزعم أن السامري لم يخطئ إلا في أنه فهم أن الذات الإلهية تعينت في العجل وحده، فدعا قومه إلي عبادته لهذا، على حين أن كل شيء ـ لا العجل وحده شيء هو الله!! فلو أن السامري كان عارفًا مكملاً لأمر قومه بعبادة كل شيء مع عبادة العجل!! بيد أن السامري عند ابن عربي أعرف بالحقيقة من هارون، إذ علم ـ وهارون جهل ـ أن العجل إله حق يجب أن يعبد، لأنه مجلي إلهي!! ثم يفسر الزنديق قول موسى للسامري: ما خطبك يا سامري؟ بما بيانه: لم دعوت قومي يا سامري إلي عبادة العجل وحده وأنت تعلم أنه ليس وحده كل تعينات الذات، بل واحدًا منها، وتعلم أن كل شيء هو الله؟! لِمَ لَمْ تدعهم يا سامري إلى الحق، فيعبدوا كل شيء، لا العجل وحده؟ هذا هو دين الزنديق يا شيوخ الطرق!!.

يستعجل موسى بحرقه، فغلبت عليه الغيرة، فحرَّقه، ثم نسف رماد تلك الصورة في اليم [نسفا]، وقال له: انـظر إلى إلهك، فسماه[١] إلهـًا بطريق التنبيه للتعليم؛ لما عَلم أنه[٢] بعض المجالي الإلهية (لأُحَـرِّقَنَّـه) فإن حيوانية الإنسان لها التصـرف من حيوانية الحيوان، لكون الله سَـخّرها للإنسان، ولاسيما وأصـله ليس من حيوان، فكان أعظم في التسخير»[٣].

ثم قرر[٤] أمر التسـخير، وأن منه ما هو بالمال، ومنه مـا هو بالحال، وأن ما هو بالحال مثل تسخير الطفل لأبيه بالقيام في مـصالحه، وتسخير الرعايا للملك بقيامه في مصالحهم ـ قـال. «وهذا كله تسخير بالحال من الرعـايا يُسَخّرون [في ذلك] مليكهم، ويسمى على الحقيقـة تسخير المرتبة، فالمرتبة حكمت عليه بذلـك، فالعالم كله يُسَخِّر بالحال من لا يمكـن أن يُطْلَق عليه اسم مُسَـخَّر، قـال الله تعالى: ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ [فِي] شَأْنٍ ﴾ (سورة الرحمن:٢٩)، فكان عدم قـوة إرداع هارون بالفعل أن ينفذ في أصـحاب العجل بـالتسليط على العـجل، كما سُلِّط مـوسى [عليه] حكمـة من الله ظاهرة في الوجود؛ ليعـيد في كل صورة[٥]، وإن ذهبت تلك الصورة بعـد ذلك، فما ذهبت إلا بعد مـا تَلَبّسَتْ عند عابدها بالألوهيـة، ولهذا ما بقي نوع من الأنواع إلا وعُبـد، إما عبادة تَأَلُّه، وإما عبادة تسخير، فلابد من ذلك لمن عقل، وما عُبِدَ شيء من العالم إلا بعد التَّـلَبُّس بالرفـعة عند العابد، والظهور بالدرجة في قلبـه، ولذلك تسمي الحق لنا برفيع الدرجات، ولم يقل: رفيع الدرجة، فَكَثّر الدرجات في عين واحدة، فإنه قضى أن لا يُعْبَدَ إلا إياه في درجات كثيرة مختلفة، أعطت كل درجة مجلى إلهيًا عُبِدَ فيها.

---

(١)، (٢) الضمير فيهما راجع إلى عجل السامري.

(٣) ص ١٩٢ فصوص.

(٤) أي ابن عربي.

(٥) يفتري على الله أنه يسـخر الناس ليعبدوه في كل صورة، أي ليـعبد كل إنسان نفسه وغـيره من جماد وحيوان فإله الصوفية عين كل كائن، وعين كل شهوة، وعين كل جريمة، وعين كل فاحشة.

الهوى رب الصوفية الأعظم

وأعظم مجلى عُبِدَ فيه، وأعلاه الهوى، كما قال: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ (سورة الجاثية:٢٣). وهو أعظم معبود، فإنه لا يُعْبَد شيء إلا بالله، ولا يُعْبَد هو إلا بذاته»[١]، ثم قال: «والعارف المكمَّل من رأى كل معبود مجلي للحق يُعْبَد فيه، ولذلك سموه كلهم: إلهًا، مع اسمه الخاص بحجر، أو شجر، أو حيوان، أو إنسان، أو مَلَك، أو كوكب»[٢].

وحدة الأديان عند ابن الفارض

قلت: وإلى هذا {٣٣} أشار ابن الفارض بقوله:

في مجلس الأذكار سمع مطالع ▪▪▪ ولي حانة الخمار عين طليعة[٣]

وما عقد الزُّنَّار[٤] حكمًا سوى يدي ▪▪▪ وإن حُلَّ بالإقرار بي، فهي حلت

وإن نار بالتنزيل محراب مسجد ▪▪▪ فما بار بالإنجيل هيكل بيعة

وأسفار توراة الكليم لقومه ▪▪▪ يناجي بها الأحبار في كل ليلة

وإن خرّ للأحجار في البُدِّ عاكف ▪▪▪ فلا تَعْدُ بالإنكار بالعصبية

فما زاغت الأبصار من[٥] كل ملة ▪▪▪ وما زاغت الأفكار من[٦] كل نحلة

---

(١) ص ١٩٤ فصوص. وبهذا يوقن القارئ أننا لم نتجن على الصوفية، فيما ذكرناه عنهم، فها هو شيخهم الأكبر يدعوهم في تلظي شهواته الفواجر، إلي عبادة الهوى!! ويؤكد لهم أنه الرب الأعظم الذي اقترفه لهم هواه الصوفي!! وهل الهوى العصوف سوى الشهوات العرابيد، والفسوق الغوي، والفواحش.

(٢) ص ١٩٥ فصوص. وهذا نص صريح على دين الزنديق في وحدة الوجود ووحدة الأديان.

(٣)،(٤)،(٥) في الأصل: طليعتي - في - في.

(٦) ما على وسط النصارى والمجوس «القاموس».

وما احتار من للشمس عن غرة صبا[١] ▪▪▪ وإشـراقـهـا من نور إسـفـار غـرَّتي

وإن عـبـد النارَ المجـوس ومـا انطفت ▪▪▪ كما جاء في الأخبار في[٢] ألف حجة

فما عبدوا غيري[٣]، وإن كان قصدهم ▪▪▪ سـواي وإن لم يعـقـدوا عـقـد نيـتي

رأوا ضـوء ناري مـرة، فـتـوهـمـوه ▪▪▪ ناراً، فـضلوا في الهـدى بالأشـعَّـة

الإله الصوفي مجلي صور العالم

وقال[٤] في فص حكمة علوية في كلمة موسوية: «وجود الحق كانت الكثرة له، وتعداد الأسماء أنه كذا وكذا بما ظهر عنه من العالم الذي يطلب بنشأته حقائق الأسماء الإلهية، فثبت[٥] به وبخالقه[٦] أحدية الكثرة، وقد كان أَحَدِيّ العين من حيث ذاته، كالجوهر الهيولاني[٧]، أَحَدِيّ العين من حيث ذاته كثير بالصور الظاهرة فيه التي هو حامل لها بذاته، كذلك الحق بما ظهر منه من صور التّجلّي، فكان مَجْلَى صور العالم مع الأحدية المعقولة»[٨].

حكم ابن عربي بإيمان فرعون ونجاته

ثم ذكر أخذ فرعون لتابوت موسى ﷺ، وأنه أراد قتله، وأن امرأته رضي الله عنها قالت: ﴿قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ﴾ فبه قُرَّت عينها بالكمال الذي حصل لها، كما

(١) مال.

(٢) في الأصل: من.

(٣) يحكم سلطان الزنادقة بأن أولئك جميعًا، وهم المجوس، والوثنيون، واليهود، والنصارى مؤمنون موحدون، لم يعبدوا غير الله، إذ كل ما ـ أو من ـ عبدوه ليس شيئًا غير الله.

(٤) أي ابن عربي.

(٥، ٦) في الأصل: فثبتت ـ ويخالفه.

(٧) الجوهر الفرد، أو الذرة، أو الجزء الذي لا يتجزأ.

(٨) ص ٢٠٠ فصوص.

قلنا[١]، قال: «وكان قرة عين لفرعون[٢] بالإيمان الذي أعطاه الله عند الغرق، فقبضه طاهرًا مطهرا، ليس فيه شيء من الخَبَث؛ لأنه قبضه عند إيمانه قبل أن يكتسب شيئًا من الآثام، والإسلام يجبُّ ما قبله، وجعله آية علي عنايته سبحانه وتعالى بمن شاء، حتى لا ييأس أحد من رحمة الله، فإنه لا ييأس من رَوْح الله إلا القوم الكافرون[٣].

رد هذه الفرية

هذا نصه بحروفه مع العلم الضروري لكل من شَمَّ رائحة العلم من المسلمين وغيرهم أن فرعون ما نطق بالإيمان إلا عند رؤية البأس، وتصريح الله تعالى في غير

---

(١) في الأصل: كما شهد لها به رسول الله ﷺ .. وهو كما أثبته في الفصوص.

(٢) بهامش الأصل ورد ما يأتي: «وفي التنزيل قالت امرأة فرعون ﴿قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ﴾ إلا ولي «كذا» سمعه فرعون، قال: قرة عين لك، وأما لي فلا. وفي الحديث: «والذي يحلف به لو أقر فرعون بأنه يكون له قرة عين كما أقرت امرأته لهداه الله عزَّ وجلَّ به، كما هداها ولكن الله سبحانه حرمه ذلك» - كذا في بعض التفاسير».

وأقول: الذي في تفسير ابن كثير: «فأتت - أي إمرأة فرعون - فقالت: قرة عين لي ولك، فقال فرعون: يكون لك، فأما لي فلا حاجة لي فيه، فقال رسول الله ﷺ: والذي يحلف به، لو أقر فرعون أن يكون له قرة عين كما أقرت لهداه الله كما هداها، ولكن حرمه ذلك»، ثم قال ابن كثير: «وهو موقوف من كلام ابن عباس، وليس فيه مرفوع إلا قليل منه، وكأنه تلقاه ابن عباس رضي الله عنهما مما أبيح نقله من الإسرائيليات عن كعب الأحبار، أو غيره»، ويا ويل المسلمين من كعب الأحبار، والكعوب الكثيرين من أمثاله اليوم!!.

(٣) ص١ ٢٠ فصوص. وقد جاء بهامش الأصل «أخرج الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا: أن النبي ﷺ قال: «لما أغرق الفرعوني قال: آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل، قال جبريل: يا محمد، فلو رأيتني وأنا آخذ من حال البحر فأدسه في فيه مخافة أن تدركه الرحمة».
أقول: الحديث رواه كذلك أحمد عن ابن عباس، ونصه: قال رسول الله ﷺ: «لما قال فرعون: آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل - قال: قال لي جبريل: لو رأيتني، وقد أخذت من حال البحر فدسسته في فيه مخافة أن تناله الرحمة»، ورواه آبن جرير وابن أبي حاتم من حديث حماد بن سلمة، وقال الترمذي: حديث حسن. وانظر ابن كثير في تفسير الآية.

آية من كتـابه العزيز بأنه لا ينفع أحـدًا إيمانه عند ذلك[١]، وأن ذلك سنة الله التي قد خلت ، ولن تجد لسنة الله تحويلاً، وقوله في دعاء موسى عليه السلام: ﴿فَلا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ﴾ مع قوله: ﴿قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا﴾ (سورة يونس:٨٨-٨٩)، وقوله تعالى مُنْكِرًا عليه[٢]: ﴿آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (سورة يونس:٩١)، وقوله: ﴿فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ﴾ (سورة المؤمنون:٤٨)، {٣٤} وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ (سورة يونس:٨٣)، ﴿وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ (سورة غافر:٤٣)، المنتج[٣] قطعًا أن فرعون من أصحاب النار.

وأما السنة فـقد روى عبد الله بن عـمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر الصـلاة يومًا، فقال: «من حافظ عليها كانت له نوراً وبرهاناً ونجاة يوم القيامة، ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور، ولا برهان ولا نجاة، وكان يوم القيامة مع فرعون، وهامان، وقارون، وأُبيِّ بن خلف» قال الحـافظ المنذري: رواه أحمـد بإسناد جيد والـطبراني في الكبيـر والأوسط، وابن ماجة في صحـيحه، وقال الإمـام أبو العباس ابن تيمـية في الفتـوى التي أجاب فـيهـا الشيخ سيـف الدين بن عبد المـطلب بن بليان السـعودي: «ويكفيك مـعرفة بكفرهم - يعني ابن عـربي وأتباعه - أن أخف أقوالهـم: أن فرعون مات مـؤمنًا، وقد علم بالاضطرار عن دين أهل الملل المسلمين واليهـود والنصارى أن فرعون من أكفر الخلق بالله».

---

(١) ورد بهامش الأصل ما يأتي: «وفـي ذلك قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ (سورة الانعام:١٥٨)... والآية في هامش الأصل مبتورة الكلمات.

(٢) أي على فرعون إيمانه حين أدركه الغرق.

(٣) فاعل المنتج ضمـير يعود على محذوف تقديره: القـياس، فالمؤلف طوى في كلامه قيـاسـًا منطقيًا من الشكل الأول صورته: فرعـون مسرف، كل مسرف من أصحاب النار، وهذا ينتـج قطعًا: فرعون من أصحاب النار، دليل الـقضية الصغـرى قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ (سورة يونس:٨٣)، ودليل الكبرى: ﴿وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ (سورة غافر:٤٣).

سؤال فرعون، وجواب موسى عليه السلام

ثم قال ابن عربي: «وهنا سرٌّ كبير، فإنه - أي موسى عليه السلام - أجاب بالفعل لمن سألوه عن الحد الذاتي(١) - أي بقوله: وما رب العالمين، فجعل الحد الذاتي عين إضافته

(١) الحد الذاتي هو أتم أقسام التعريف، إذ يتركب من الذاتيات المشتركة، والذاتيات الخاصة، أو كما يعبر المناطقة: من الجنس والفصل القريبين، وبهذا الحد تعرف ماهية الشيء وحقيقته، كما إذا أردنا تعريف المربع، فإنا نقول: هو شكل رباعي أضلاعه متساوية، وزواياه قائمة. وابن عربي في حديثه عن المحاورة بين موسى عليه السلام وبين فرعون، يقول: إن فرعون سأل موسى عن الحد الذاتي لله، أي عن حقيقته وماهيته. وهذا صحيح فالسؤال بـ «ما» سؤال عن الماهية. بيد أن ابن عربي - وقد ذكر طرفًا من حق - بنى عليه باطلاً، بما نسبه زورًا إلى موسى في جوابه عن سؤال فرعون، وقبل أن نبين هذا الذي بهت به الزنديق نبي الله، نعرض عليك ما فسر به الزمخشري سؤال فرعون وجواب موسى، فقد أجاد الزمخشري القول في نباغة من الفهم: «وهذا السؤال «يعني سؤال فرعون لموسى بقوله: ما رب العالمين» لا يخلو: إما أن يريد به: أي شيء هو من الأشياء التي شوهدت، وعرفت أجناسها؟! فأجاب - أي موسى - بما يستدل به عليه من أفعاله الخاصة، ليعرفه أنه ليس بشيء مما شوهد وعرف من الأجرام والأعراض، وأنه شيء مخالف لجميع الأشياء، ليس كمثله شيء، وإما أن يريد به - أي بسؤاله - أي شيء هو على الإطلاق؟! تفتيشًا عن حقيقته الخاصة ما هي؟ فأجاب بأن الذي إليه سبيل - وهو الكافي في معرفته - معرفة ثباته بصفاته، استدلالاً بأفعاله الخاصة على ذلك، وأما التفتيش عن حقيقته الخاصة التي هي فوق فطر العقول، فتفتيش عمَّا لا سبيل إليه، والسائل عنه متعنت غير طالب للحق، والذي يليق بحال فرعون، ويدل عليه الكلام أن يكون سؤاله هذا إنكارًا لأن يكون للعالمين رب سواه، لادعائه الإلهية، فلما أجاب موسى بما أجاب عجب قومه من جوابه، حيث نسب الربوبية إلى غيره، فلما ثني بتقريره، جننه إلى قومه، وطنز به «أي سخر واحتدم غيظًا» حيث سماه: رسولهم، فلما ثلث بتقرير آخر، احتد واحتدم، وقال: لئن اتخذت إلهًا غيري. وهذا يدل على صحة هذا الوجه الأخير» انتهى من الكشاف للزمخشري.

غير أن الزنديق ابن عربي يفسر جواب موسى عليه السلام بما يتفق وهوى زندقته، وأسطورة الوحدة، إذ يزعم أن جواب موسى على سؤال فرعون: ما رب العالمين؟! هو: الذي تظهر فيه صورة العالمين من علو - وهو السماء - وسفل - وهو الأرض - ثم يقول بعد: فلما جعل موسى المسئول عنه عين صور العالم!! فتأمل كيف يفهم الزنديق، وكيف يجعل الحق باطلاً هذا العربيد الخبل!! أية صلة بين ما نسبه إفكًا وبهتانًا وزورًا إلى موسى عليه السلام، وبين ما أجاب به موسى من إشراق الحق والإيمان والتوحيد؟! وهو قوله: رب السموات والأرض، وما بينهما، وقوله: ربكم ورب آبائكم الأولين، وقوله: رب المشرق والمغرب وما بينهما. يجيب موسى بأن الله وحده رب كل شيء، فيفتري الزنديق على موسى عليه السلام =

إلي ما ظهـر به من صور العـالم، أو ما ظهـر فيـه من صور العالم، فكـأنه قال في جواب قـوله: وما رب العالمين. قال: الذي تظهـر فيه صـورة العالمين من علو - وهو السماء - وسفل - وهو الأرض - إن كنتم موقنين[١].

فرعون عند الصوفية رب موسى وسيده

ثم قال: «فلمـا جعل موسى المسئول عنه عـين [صور] العالم[٢]. خاطبـه فرعون بهذا اللســان - والقوم لا يشعرون - فـقال [له]: ﴿ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴾ (سورة الشعراء: ٢٩). والسين في الســجن من حـروف الزوائد»[٣]. أي: لأسترنك، فـإنك أجبت بما أيدتني به، أن أقول لك مثل هذا الـقول. فإن قلت لي: فقد جهلت يا فـرعون بوعيدك إياي - والعين واحدة - فكيف فرقت؟ فيـقول فرعون: إنما فرقت المراتب العين[٤]. ما تفرقت [العين]، ولا انقســمت في ذاتها، ومرتبتي الآن التحكم فـيك يا موسى بالفعل، وأنا أنت بالعين، وغيـرك بالرتبة»[٥] - ثم قال: «ولما

= بأنه أجاب: إن الله عين كل شيء، وهكذا يفهم الصوفيـة - سلفًا وخلفًا - كتاب الله، وبمثل هذا الأفن المجوسي يفسرون آيات الله، ومـع هذا ما زلت تجد الأحبار مهطعين أذلاء لأبالسـة التصوف، بل تجد قومًا منهم يفخرون بأنهم أخذوا العهد علي الأحداث من مخابيل المتصوفة المأفونين.

(١) ص ٢٠٨ فصوص الحكم.

(٢) من أين جاء الزنديق بهذا البهتان؟ وجواب موسى مبدوء في كل مرة بتقرير ربوبية الله وحده!! ولكنها الجرأة الوقاح التي لا تحفل بدين ولا لغة ولا عقل، ولا عرف عام أو خاص.

(٣) بل السين في هذه الكلمة حرف أصلي، مثلها في ستـر، وسبح، وسبك ولكن ابن عربي - وقد افترى على الله الكذب كله - لا يعجزه أن يفتري على اللغة.

(٤) في الأصل: العين بالضم علي اعـتبـار أنها فاعـل فرقت. وهو خطأ صـوبته من الفصـوص. ويزعم الزنديق أن موسى قـال لفرعون: كـيف تتوعـدني، وأنت تعلم أن ذاتي هي ذاتك، وهويتي هويتك، لأني وإياك عين الذات الإلهية، وفي وعـيدك إياي إشعار لي بأنك تفهم أني غـيرك، فكيف تفرق بين الرب وبين نفســه؟ فقال فرعـون: نعم أنا أنت يا موسى في الحقـيقة لأننا عين الذات، غـير أن الرب المتعين فيَّ له التحكم في هويته التي تعينت فيك، فأنا غيرك في الرتبة، وإن كنت أنا عينك في الحقيقة.

(٥) ص٢٠٩ فصوص.

كان فرعون في منصب التحكم صاحب الوقت[١]، وأنه الخليفة بالسيف، وإن جار في العرف الناموسى، لذلك قال: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى﴾ (سورة النازعات: ٢٤). أي: وإن كان الكل أربابًا بنسبة ما، فأنا الأعلى منهم، بما أعطيته في الظاهر من التحكم فيكم، ولما علمت السحرة صدقه فيما قاله لم ينكروه، وأقروا له بذلك، فقالوا له: ﴿فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ (سورة طه: ٧٢)، فالدولة لك، فصح قوله: أنا ربكم الأعلى، وإن كان عين الحق، فالصورة لفرعون، فقطع الأيدي والأرجل [٣٥] وصلّب بعين حق في صورة باطل[٢]، لنيل مراتب لا تنال إلا بذلك الفعل [فإن الأسباب لا سبيل إلى تعطيلها، لأن الأعيان الثابتة اقتضتها، فلا تظهر في الوجود إلا بصورة ما هي عليه في الثبوت]، إذ لا تبديل لكلمات الله، وليس كلمات الله سوى أعيان الموجودات[٣]، فينسب إليها القديم من حيث ثبوتها، وينسب إليها الحدوث من حيث وجودها وظهورها، كما تقول: حدث اليوم عندنا إنسان، أو ضيف، ولا يلزم من حدوثه أنه ما كان له وجود قبل الحدوث»[٤].

(١) عرف الصوفية صاحب الوقت بأنه: «هو المتحقق بجمعية البرزخية، المطلع على حقائق الأشياء، الخارج عن حكم الزمان وتصرفات ماضيه ومستقبله إلى الآن الدائم، فهو ظرف أحواله وصفاته، فلذلك يتصرف في الزمان بالطي والنشر، وفي المكان بالقبض والبسط، لأنه المتحقق بالحقائق والطبائع في القليل والكثير والطويل والقصير والعظيم والصغير سواء، إذ الوحدة والكثرة والمقادير كلها عوارض، فكما تصرف في الوهم فيها، كذلك في العقل، فصدق وافهم تصرفه فيها في الشهود والكشف الصريح، فإن المتحقق بالحق، المتصرف بالحقائق يفعل ما يفعل في طور وراء طور الحس والوهم والعقل، ويتسلط على العوارض بالتغيير والتبديل» (جامع الأصول في الأولياء ـ ط ١٣٢٨ للكمشخانلي).

(٢) يزعم أن فرعون حين صلب كان هو الله في الحقيقة متعيناً في صورة باطلة هي صورة خلقية سميت فرعون.

(٣) أبى الزنديق إلا أن يكون كفره أشد خبثاً من كفر النصارى، إذ زعموا أن حكمة الله تجسدت في عيسى، وزعم هو أن أعيان الموجودات كلها هي تجسدات كلمات الله أو هي كلمات الله تعينت أجسادًا، أو هي هي الله سبحانه.

(٤) ص ٢١٠ فصوص الحكم.

حكم من ينسب ربوبية إلى فرعون

قال الشيخ زين الدين العراقي: «قوله في قول فرعون: أنا ربكم الأعلى: أنه صح قوله ذلك، مستدلاً عليه بأن السحرة صدقوه - كذب وافتراء على السحرة، فلقد كذبوه، وخالفوه، ودعواه كاذبة، وبها أخذ الله فرعون وأهله، فقال تعالى حكاية عنه: ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الآخِرَةِ وَالأُولَىٰ﴾ (سورة النازعات: ٢٤-٢٥)، ثم قال: ولا شك أن من صح أنه قال هذا، واعتقده، مع وجود عقله، وهو غير مكره، ولا مجبر الإجبار المجوِّز للكفر، فهو كافر ولا يقبل منه تأويلها على ما أراد، ولا كرامة، كما قدمنا ذكره، وهذا ما لا نعلم فيه خلافًا بين العلماء بعلوم الشريعة المطهرة في مذاهب الأئمة الأربعة، وغيرهم من أهل الاجتهاد، والصحيح. والله أعلم».

وهذا كما ترى مبطل لما يقوله بعضهم من الخرافات في تأويله ستر الكفر، وأن المراد به: فرعون النفس؛ لأنه نزل قوله على جلّ آيات القرآن جملة جملة، ومن المقطوع به أن الله تعالى ما أنزل هذه الآيات إلا في فرعون موسى.

تحريم التأويل

ولهذا قال الغزَّالي في الطامات من كتاب العلم من الإحياء - بعد تحريم التأويل بما لا تسبق الأفهام إليه - ما نصُّه: «وبعض هذه التأويلات يعلم بطلانه قطعا، كتنزيل فرعون على القلب، فإن فرعون شخص محسوس تواتر إلينا وجوده، ودعوة موسى ﷺ له، كأبي جهل، وأبي لهب، وغيرهما من الكفار وليس من جنس الشياطين والملائكة، وما يدرك بالحس حتى يتطرق التأويل إلى ألفاظه»[1] انتهى.

---

(١) الغزالي نفسه في كتبه المضنون بها على غير أهلها من أشد المفرطين الغالين في التأويل، بل من أشدهم جرأة على تجريد الألفاظ من معانيها، ثم تحميل الألفاظ معاني باطنية، لا تقرها دلالة من الدلالات اللغوية.

رأي ولد العراقي في الفصوص والتائية

وقال الإمام ولي الدين أحمد العراقي(١) ابن الشيخ زين الدين المذكور في المسألة الحادية والعشرين من فتاويه المكية ما نصه: «لا شك في اشتمال الفصوص المشهورة عنه على الكفر الصريح الذي لا شك فيه، وكذلك فتوحاته المكية، فإن صح صدور ذلك عنه، واستمر إلى وفاته، فهو كافر مُخلَّد في النار بلا شك، وقد صح عندي عن الحافظ المزي(٢) أنه نقل من خطه في تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ [أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ] ﴾ (سورة البقرة:٦) كلامًا ينبو عنه السمع، ويقتضي الكفر، وبعض كلماته لا يمكن تأويلها(٣). والذي يمكن تأويله منها كيف يصار إليها مع مرجوحية التأويل، وأن الحكم إنما يترتب على الظاهر، وقد بلغني عن الشيخ علاء الدين القونوي - وأدركت أصحابه - أنه قال في مثل ذلك: إنما يؤول كلام

---

(١) كنيته: أبو زرعة. ولد سنة ٧٦٢هـ، وتوفي سنة ٨٢٦هـ.

(٢) هو الحافظ الجليل يوسف بن الزكي عبد الرحمن بن عبد الملك، أبو الحجاج جمال الدين. ولد سنة ٦٥٤ بالمعقلية بظاهر حلب. سمع منه ابن تيمية وقد أوذي المزي بسببه - والذهبي، وابن سيد الناس. توفي سنة ٧٤٢ .

(٣) جاء بهامش الأصل: «قال - يعني إبن عربي - عليه من الله ما يستحق، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ ۝٦ خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (سورة البقرة:٦-٧). . إيجاز البيان فيه: يا محمد إن الذين كفروا ستروا محبتهم فيَّ عنهم، فسواء عليهم أأنذرتهم بوعيدك الذي أرسلناك به، أم لم تنذرهم لا يؤمنون بكلامك، فإنهم لا يعقلون غيري، وأنت تنذرهم بخلقي، وهم ما عقلوه، ولا شاهدوه، وكيف يؤمنون بك، وقد ختمت على قلوبهم. فلم أجعل فيها متسعًا لغيري. وعلى سمعهم فلا يسمعون كلامًا إلا مني. وعلى أبصارهم غشاوة من [بهائي عند] مشاهدتي. فلا يبصرون غيرًا. ولهم عذاب عظيم عندي أردهم بعد هذا المشهد السني إلى إنذارك. وأحجبهم عني كما فعلت بك بعد قاب قوسين أو أدنى [قربًا] وأنزلتك إلى من يكذبك. ويرد [ما جئت به إليه من] الكلام في وجهك. وتسمع فيَّ ما يضيق به صدرك. فأين ذلك الشرح الذي شاهدته في إسرائك. فهكذا إمناني على خلقي الذين أجنيتهم رضائي، فلا أسخط عليهم أبداً، إلى آخر ما ذكره بعده ذكر ذلك في الباب الخامس من الفتوحات المكية» انتهى. . وأقول: وقد راجعت هذا على الفتوحات، وأثبت عنها ما سقط من كاتب الهامش، ووضعته بين هذين [ ].

المعصومين، وهو كما قال».{٣٦} ثم ذكر كلام الذهبي[١] فيه، وساق الأسانيد إلى ابن {عبد} السلام[٢] بما يأتي عنه من تكفيره، ثم قال: «وأما ابن الفارض، فالاتحاد في شعره، وأُمرنا أن نحكم بالظاهر، وإنما نؤول كلام المعصومين، لكن علماء عصره من أهل الحديث رووا عنه في معاجمهم، ولم يترجموه بشيء من ذلك، فقال الحافظ زكي الدين عبد العظيم المنذري[٣] في معجمه: الشافعي الأديب[٤] سمع من أبي القاسم ابن عساكر، وحدث: سمعت شيئًا من شعره. وقال الحافظ رشيد الدين العطار في معجمه: الشيخ الفاضل الأديب كان حسن النظم متوقد الخاطر، وكان يسلك طريق التصوف، وينتحل مذهب الشافعي، وأقام في مكة مدة، وصحب جماعة من المشايخ. . وقال الحافظ أبو بكر بن مسدي[٥]: برع في الأدب، فكان رقيق الطبع، عذب النبع، فصيح العبارة، دقيق الإشارة، سلس القيادة، نبيل الإصدار والإيراد، وتصرف فتصوف، فكان كالروض المفوَّف، وتخلق بالزي، وتزيا بالخلق، وجمع كرم النفس كل مفترق» انتهى كلام الشيخ ولي الدين.

وما قاله هؤلاء الأئمة ليس فيه مناقضة لكلامه أولاً في الحكم عليه بالإتحاد، فإنهم لم يقضوا على التائية ونحوها، وأما قوله: إن صح ذلك عنه، فهو على طريق

---

(١) هو الحافظ الجليل محمد بن أحمد بن عثمان أبو عبد الله شمس الدين الذهبي ولد سنة ٦٧٣هـ، يقول عنه طاش كبرى زاده: كان إمام الوجود حفظًا، وذهب العصر لفظًا ومعنى، شيخ الجرح والتعديل، ورجل الرجال في كل سبيل. توفي سنة ٧٤٨هـ.

(٢) هو عبد العزيز بن عبد السلام أبو محمد عز الدين، ولد سنة ٥٧٨هـ، ومن تلاميذه ابن دقيق العيد - وهو الذي لقب العز بسلطان العلماء - وتوفي سنة ٦٦٠هـ.

(٣) ولد سنة ٥٨١هـ ومن مصنفاته: مختصر سنن أبي داود - نشرته مطبعة السنة المحمدية في طبعة جيدة التحقيق والطبع - ومختصر مسلم، والترغيب والترهيب. توفي سنة ٦٥٦هـ.

(٤) يعني ابن الفارض.

(٥) هو محمد بن يوسف الأزدي الفرناطي قتل بمكة سنة ٦٦٣هـ. قال عنه الذهبي: «وله أوهام، وفيه تشيع، ورأيت جماعة يضعفونه».

من يعتبر في الكتب المشهورة إسنادًا خاصًا، وهي طريقة غير مرضية[١]، والصحيح أنها لا تحتاج إلى ذلك، بل الشهرة كافية[٢]، والله الموفق.

رأي السكوتي

وقال الإمام أبو علي ابن خليل السكوتي في كتابه (تحت العوام، فيما يتعلق بعلم الكلام) بعد أن حذر من ابن عربي وأتباعه، فقال: «وليحترز من مواضع كثيرة من كلام ابن عربي الطائي في فصوصه وفتوحاته المكية، وغيرهما، وليحترز أيضًا من مواضع كثيرة من كلام ابن الفارض الشاعر وأمثاله، مما يشيرون بظاهره إلى القول بالحلول والاتحاد، لأنه باطل بالبراهين القطعية ـ ثم قال: وكل كلام وإطلاق يوهم الباطل فهو باطل بالإجماع، فأحرى وأولى بطلانه إذا كان صريحًا في الباطل، فإن قالوا: لم نقصد بكلامنا ورموزنا وإشاراتنا الاتحاد والحلول، وإنما قصدنا أمرًا آخر يفهم عنا، قلنا لهم: الله أعلم بما في الضمائر، وما يخفي في السرائر، وإنما اعترضنا نحن الألفاظ والإطلاقات التي تظهر فيها الإشارات إلى الإلحاد، والحلول، والاتحاد»[٣] انتهى.

---

(١) في الأصل: غير ضية.

(٢) ثبوت نسبة التائية إلى ابن الفارض حقيقة لا ينتطح فيها عنزان. ونحن لا يعنينا كونها له، أو لغيره، ما دام الصوفية أنفسهم يقرون بنسبتها إليه، ويدينون بما فيها، بل ما سموه سلطان العاشقين إلا بها، ويؤمنون بأنها أروع تعبير عن الحب الإلهي الذي يجعل الحب عين الحب وعين الحبيب، ولكن ليغضب الصوفية لسلطان عاشقيهم ما شاءوا، وليتهموا منتقديه بعمى البصيرة، فكل هذا الدوي الراعد الجبانة لن يضيع دوي الحق معلنًا في قوة وشجاعة وإيمان أن تصوف ابن الفارض ما هو إلا أخبث تعبير عن الزندقة.

(٣) الذي لا يحاسب على ما ينطق به هو المكره أو المجنون، وهؤلاء ليسوا بمكرهين، فما ثم من يكرههم على الزندقة، بل كان ثَمَّ من يكرههم على الإيمان فلم يحاولوا، وليسوا بمجانين بإقرار عابديهم، وبدليل تلك اللآمة المستلئمة في الكيد للإسلام ابتغاء صرف الأمة عنه، وابتغاء تمجيد الوثنية والإباحية، وإعلاء شهواتهما. كل هذا وهم يلبسون مسوح القديسين والزهاد، زاعمين أنهم الأرواح المطلقة التي تغرد في أقداس الجمال المطلق. فلم يبق إلا أن يكون لهم باعث وغاية، تلك هي القضاء على الإسلام، =

حكم من يؤول للصوفية كلامهم

والفيصل في قطع التأويل من أصله أن محقق زمانه وصالحه علاء الدين محمد البخاري الحنفي ذُكِر عنده ابن عربي هذا، فقال قاضي المالكية إذ ذاك شمس الدين محمد البساطي[1]: يمكن تأويل[2] كلامه. فقال له البخاري: كفرت. وسلم له أهل عصره ممن كان في مجلسه، ومن غيرهم، وما طعن أحد منهم فيه بكلمة واحدة، وقد كان منهم حافظ العصر قاضي الشافعية بها شهاب الدين أحمد بن [37] حجر، وقاضي القضاة زين الدين عبد الرحمن التفهني، وقاضي القضاة محمود العيني الحنفي، والشيخ يحيى السيرامي الحنفي، وقاضي القضاة محب الدين أحمد بن نصر الله البغدادي الحنبلي، وزيد الدين أبو بكر القمني الشافعي، وبدر الدين محمد بن الأمانة الشافعي، وشهاب الدين أحمد بن تقي المالكي[3]، وغيرهم من العلماء

= ألم تر إلى الزنادقة كيف يلحون في دعوة الناس إلى عبادة القبور، والضراعة إلى الرمم؟ وكيف لا يشغلون لياليهم الساهرة على الإلحاد إلا بهذا، ولا الناس معهم إلا بتلك الوثنية. كل هذا ليدكوا ـ وما هم ببالغيه ـ أساس الإسلام المتين، وهو التوحيد؟.

(١) هو محمد بن أحمد بن عثمان أبو عبد الله شمس الدين. ولد سنة ٧٦٠، وتولى القضاء بمصر عشرين سنة، توفي سنة ٨٤٢هـ.

(٢) في محاولة الدفاع عن الصوفية بالتأويل حجة بالغة على أن كلام الصوفية يجافي الحق من الكتاب والسنة، وإلا ما لجأ أحلاسهم إلى دعوى إمكان التأويل.

(٣) هو كما يقول صاحب الشذرات: شيخ الإسلام علم الأعلام حافظ العصر شهاب الدين أبو الفضل الشهير بابن حجر نسبة إلى آل حجر الكناني العسقلاني الأصل المصري المولد والدار والنشأة والوفاة. ولد سنة ٧٧٣ وتوفي سنة ٨٥٢هـ، والتفهني نسبة إلى تفهن قرية بمصر، ولد سنة ٧٦٥ تقريبًا وتوفي سنة ٨٣٥هـ، والعيني ولد سنة ٧٦٢هـ، تولى منصب قاضي قضاة الحنفية بمصر، وتوفي سنة ٨٨٥هـ والسيرامي شيخ الشيوخ بمدرسة الظاهر برقوق ولد قبل الثمانين وسبعمائة وتوفي سنة ٨٣٣هـ. والبغدادي كان شيخ الحنابلة في عصره ومفتي الديار المصرية ولد سنة ٧٦٥ وتوفي سنة ٨٤٤هـ. والقمني ولد سنة ٧٥٨ ولي تدريس الصلاحية بالقدس والمنصورية والشريفية وتوفي سنة ٨٣٣هـ، والمتقي المالكي ولد بفوة سنة ٧٨٥ تقريبًا وتوفي سنة ٨٤٢هـ.

والرؤساء، وما خلص البساطي من ذلك إلا بالبراءة من اعتقاد الاتحاد، ومن طائفة الاتحادية، وتكفيره لمن يقول بقولهم.

أوهام الصوفية في الحكم بإيمان فرعون

ثم قال ابن عربي: «وأما قوله: ﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ﴾ (سورة غافر:٨٥)، (إلا قوم يونس)[١]، فلم يدل ذلك على أنه لا ينفعهم في الآخرة، بقوله في الاستثناء: إلا قوم يونس، فأراد أن ذلك لا يرفع عنهم الأخذ في الدنيا، فلذلك أخذ فرعون مع وجود الإيمان منه»[٢]، ثم قال: «فآمن بالذي آمنت به بنو إسرائيل على التَّيَقن بالنجاة، فكان كما تيقن، لكن على غير الصورة التي أراد، فنجاه الله من عذاب الآخرة في نفسه، ونَجَّى بدنه، كما قال تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً﴾ (سورة يونس:٩٢)؛ لأنه لو غاب بصورته ربما قال قومه: احتجب، فظهر بالصورة المعهودة مَيْتًا، ليعلم أنه هو؛ فقد عمته النجاة حسًا ومعنى، ومن حَقت عليه كلمة العذاب الأخروي[٣] لا يؤمن، ولو جاءته كل آية ﴿حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ أي يذوقوا العذاب الأخروي[٥] فخرج فرعون من هذا الصنف. هذا هو الظاهر الذي ورد به القرآن، ثم إنا نقول بعد ذلك: والأمر فيه إلى الله، لما استقر في نفوس عامة الخلق من شقائه، وما لهم نص في ذلك يستندون إليه»[٥] انتهى. و قد تقدم النص المنتج قطعًا بديهة أنه من أهل النار.

---

(١) يعني قوله سبحانه: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾[يونس:٩٨].

(٢) ص ٢١١ فصوص.

(٣، ٤) في الزصل: الأخراوي.

(٥) ص ٢١٤ فصوص، وليس بعجيب أن ينكر الزنديق وجود نص في القرآن يدل على أن فرعون من أصحاب النار!! وقد ذكر في هذا النص نفسه أن فرعون هو الرب الأعلى، وأنه أعظم من موسى.

ثم قال: «ثم لتعلم[١] أنه ما يقبض الله أحدًا إلا وهو مؤمن، أي مصدِّقي بما جاءت به الأخبار الإلهية، أعني من المحتضرين، ولهذا يُكْرَه الموت الفجاءة، وقتل الغفلة»[٢]، ثم قال: «وأما حكمة التجلي والكلام في صورة النار، فلأنها كانت بغية موسى، فتجلى له في مطلوبه»[٣]، ثم قال: «كنار موسى، رآها[٤] عين حاجته وهو الإله، ولكن ليس يدريه».

افتراء على الرسول ﷺ

وقال في فص حكمة فردية في كلمة[٥] محمدية: «وإنما حبب إليه النساء، فَحنَّ إليهن؛ لأنه من باب حنين الكل إلى جزئه[٦]، فأبان بذلك عن الأمر في نفسه من

---

(١) في الأصل: وليعلم.

(٢، ٣) ص ٢١٢ فصوص.

(٤) في الأصل: يراها.

(٥) نسبة لا إلى محمد ﷺ، بل إلى الحقيقة المحمدية التي يزعم الصوفية أنها هي الذات مع التعين الأول، وأنها هي اسم الله الأعظم، وإذا كان كل شئ عند الصوفية هو أحد تعينات الذات الإلهية، فإن محمدهم ـ وحاشا رسولنا الأمين ﷺ ـ هو صور الحق كلها، لتحققه بالحقيقة الأحدية والواحدية.

(٦) محمد كما سبق هو صور الحق كلها عند الصوفية، والنساء عند الصوفية هن أجمل تعينات الذات الإلهي، لهذا حن محمد الذي هو الكل إلى بعض تعيناته أو أجزائه، هكذا يصور الصوفية العلاقة بين ربهم المتعين في محمد، وبين ربهم المتعين في صور النساء، وللحب عندهم ناحيتان: إحداهما شوق الحق إلى الخلق، وأخراهما شوق الخلق إلى الحق، وشوق الحق له اعتباران أو مظهران: أحدهما اشتياقه إلى الظهور بعد البطون، أو التقييد بعد الإطلاق، وهذا يكون بتعينه في صور بدنية عنصرية، وأما أخراهما فاشتياقه إلى العودة إلى الإطلاق، أو التجرد بعد التعين، فربهم دائمًا مشدود العاطفة بين الإطلاق، وبين التقييد، أو بين المرتبتين: الحقية والخلقية. أما شوق الخلق إلى الحق فله مظهر أو اعتبار واحد، هو التجرد من الصور الخلقية، ليعود حقًا، أو وجودًا مطلقًا كما كان قبل تعينه، وليس اشتياق أحدهما اشتياق الشئ إلى غيره، بل إلى نفسه، ودائمًا تري زعماء الصوفية يلهجون بذكر النساء، ويرونهن أكمل وأجمل وأتم تعينات الذات الإلهية ومجاليها، كما رأيت من ابن الفارض وابن عربي، وكما سترى بعد. وهذا يجعلك تؤمن بأن هناك في أعماق التصوف حيوانًا ضاريًا يستعبده الشبق والغلمة الداعرة، ويستعلن دائمًا بالصريح الملتهب عما يزلزله من رجفات الشهوات العارمة، وينزو بعربدته على كل مقدسات الدين ومحارم الفضيلة، وتؤمن كذلك أن من مقومات التصوف عبادة المرأة، وتعرف عن يقين لماذا يبحث الصوفية عن درويشات يسلكن معهم طريق القوم!!.

جانب الحق في قوله في هذه النشأة الإنسانيــة العنصرية: ونفخت فيه من روحي. ثم وصف نفــسه بشــدة الشوق إلى لقــائه، فقــال للمشــتاقين: يا داود إنــي أشد شــوقًا إليهم»[١].

التثليث عند الصوفية

ثم ذكر العبــد المؤمن، وأنه لا يرى ربه إلا بعد الموت، فاشتــاق الحق لوجود هذه النسبة، يعني رؤية المؤمن له تعالى بالموت، ثم قال: «فلما أبان أنه نفخ فيه من روحه، فما اشتاق إلا إلى نفسه، ألا تراه خلقه على صورته، لأنه من روحه، ولما كانت نشأته من هذه الأركان الأربعة المسماة [٣٨] في جسده[٢] أخلاطًا حدث عن نفخة اشتعال بما في جــسده من الرطوبة، فكان روح الإنســان نارًا، لأجل نشــأته، ولهذا مــا كلم الله تعالى موسى إلا في صورة النار [وجــعل حاجته فيها، فلو كانت نشأتــه طبيعية، لكان روحه نارًا]، وكنى عنه بالنفخ يشير إلى أنه من نفس الرحمن[٣]، فإنه بهذا النفس الذي هو النفخــة ظهر عينه [وباستــعداد المنفوخ فيــه كان الاشتغــال نارًا لا نورًا] فبطن نفس الرحمن فيمــا كان [به] الإنسان إنسانًا، ثم اشتق له [منه] شخصًــا على صورته سماه: امرأة، فظهرت بصورته، فحن إليــها حنين الشيء إلى نفسه، وحنت إليه حنين الشيء إلى وطنه، فحببت[٤] إليه النســاء، فإن الله أحب من خلقه على صورته، وأســجد له ملائكتــه [النوريين على عظم قــدرهم ومنزلتهم، وعلو نشــأتهم الطبيــعية] فــمن هناك وقعت المناسبة، والصورة أعظم مناسبة، وأجلها وأكملها، فإنها زوج أي شفعت وجود الحق، كما أن هناك المرأة شفعت بوجودها الرجل، فصيرته زوجًا، فظهرت[٥] الثلاثة:

(١) ص ٢١٥ فصوص.
(٢) في الأصل: حده.
(٣) في الأصل: الحق.
(٤)،(٥) في الأصل: فحبت - ظهره.

حق ورجل وامرأة[١] فحن الرجل إلى ربه الذي هو أصله حنين المرأة إليه، فحبب إليه ربه النساء، كما أحب الله من هو على صورته»[٢] انتهى. وقد علم من هنا قطعًا أنه يريد بالصورة في خلق آدم على صورته معناها المتعارف[٣]!!.

رب الصوفية امرأة

ثم قال: «فإذا شاهد الرجُل الحقَّ في المرأة كان شهودًا في منفعل، وإذا شاهده في نفسه من حيث ظهور المرأة عنه شاهده في فاعل، وإذا شاهده في نفسه من [غير] استحضار صورةٍ ما كان شهودًا[٤] في منفعل عن الحق بلا واسطة، فشهوده للحق في المرأة أتم وأكمل، لأنه يشاهد الحق من حيث هو فاعل منفعل[٥]، ومن نفسه من حيث هو منفعل خاصة، فلهذا أحب ﷺ النساء لكمال شهود الحق فيهن، إذ لا يشاهدُ

---

(١) هذا هو التثليث عند ابن عربي، وهو بعض ما استمده من المسيحية المفلسفة، بيد أنه زاد الكفر شناعة، فقال بثالوث هو «حق ورجل وامرأة» الثلاثة إله واحد.

(٢) ص ٢١٦ فصوص.

(٣) لا بل يريد بالصورة غير هذا، يريد بها هوية الذات، يعني أن هوية آدم وماهيته عين هوية الحق وماهيته.

(٤) في الأصل: شهوده.

(٥) الرجل والمرأة عند ابن عربي صورتان من صور الله، يعني حقيقته تتحلى في صورتي رجل وامرأة، وفي حال المواقعة يسمي الرجل فاعلاً، والمرأة منفعلة، ويدين الزنديق بأنه ربه فاعل منفعل معًا، فهو فاعل لتعينه في صورة رجل، وهو منفعل لتعينه في صورة امرأة مع رجل. ولما كانت المرأة ـ هكذا يصور الزنديق ـ تعتبر فاعلة، لشدة تأثيرها في الرجل في تلك الحال العاصفة بالشهوة، فإن شهود الإله الصوفي في المرأة الهلوك أتم وأكمل، إذ يشاهد فيها في صورة فاعل ومنفعل. وهنا يبدو خطر التصوف الجامح على الخلق والعرض والأمة، ماذا يفعل الصوفي وهو يؤمن أن المرأة هي أتم وأكمل مجالي الإله؟ ماذا سيحدث منه وهو يوقن أن ربه امرأة يواقعها رجل؟! اعفني من الجواب، لأنك ستدرك الجواب، ستدرك أن التصوف دعوة ملحة إلى الإباحية الماجنة!! وهذا يؤكد لك ما قررته من قبل، وهو أن لحيوان الشهوة المعربد في أعماق ابن عربي أثرًا بعيدًا في تصوفه، فقد تدله ـ وهو بمكة حين زارها سنة ٥٩٨هـ ـ بحب غانية هي ابنة الشيخ مكين الدين الأصفهاني، ولكنها لم تهدهد من نزواته الفواجر، ولم ترد غلة ذئبه الظامئ إلى الدم. فنظم ـ يستدرجها إلى الغواية ـ فيها ديوان شعره المسمى: ترجمان الأشواق، وابن عربي نفسه يقر بأنه نظم ديوانه هذا تشبيبًا بتلك الغانية القتول،=

الحق مجردًا عن المواد أبدًا[١]، فإن الله بالذات غنيٌّ عن العالمين، وإذا[٢] كان الأمر من هذا الوجه ممتنعًا، ولم تكن الشهادة إلا في مادة، فشهود الحق في النساء أعظم الشهود[٣] وأكمله [وأعظم الوصلة النكاح][٤]. وهو نظير التوجه الإلهي على من خلقه على صورته، ليخلفه، فيرى فيه نفسه، فَسَوَّاه، وعَدَلَه، ونفخ فيه من روحه الذي هو نفسه، فظاهره خلق، وباطنه حق»[٥].

وهذا يدلك على أن الإله عنده كالكلي الطبيعي[٦]، لا وجود له إلا في ضمن جزئياته، والله الموفق.

ثم قال: «فمن أحب النساء على هذا الحد، فهو حب إلهي، ومن أحبهن على جهة الشهوة الطبيعية خاصة نقصه علم هذه الشهوة، فكان صورة بلا روح عنده، وإن كانت تلك الصورة في نفس الأمر ذات روح، ولكنها غير مشهودة لمن جاء لامرأته، أو لأنثى حيث كانت لمجرد الالتذاذ، ولكن لا يدري: لمن؟! فجهل من نفسه ما يجهل الغير منه ما لم يسمه هو بلسانه حتى يعلم، كما قال بعضهم:

صح عند الناس أني عاشق ... غير أن لم يعرفوا عشقي لمن

= وحين عصفت الفضيحة بهواه، فر هاربًا من مكة، حتى لا يجابه عار الفضيحة، بيد أن الهوى ظل يعصف به، ويلهبه، وثمت نفس عن جحيمه بخيالات زندقته، فراح يصور ربه في صورة امرأة، ويزعم أنه يتجلى - أجمل وأحلى ما يتجلى - في صورة امرأة تقترف. كل هذا من أجل امرأة لم تستطع شهوته أن تضرس منها اللحم، وتعرق العظم.

(١) أي لابد للإله الصوفي من جسد يتعين فيه، فتأمل!!.

(٢) في الأصل: فإذا.

(٣) في الأصل: شهود.

(٤) يعني به: ما له من معنى في أذهان العامة، لا الزواج.

(٥) ص ٢١٧ فصوص الحكم.

(٦) الكلي هو ما لا يمنع نفس تصوره من وقوع الشركة فيه، كالإنسان، ويسمى كليًا طبيعيًا باعتبار وجوده في الخارج أي في الطبيعة، والكلي الطبيعي جزء جزئيه، فلا وجود له إلا في ضمن جزئياته، أعني ليس له وجود خاص به، قائم بذاته، وإنما يوجد بوجود أفراده. وهكذا الإله الصوفي.

كـذلك هذا أحب الالتـذاذ، فأحب [٣٩] المحل الذي يكـون فيـه، وهو المرأة، ولكن غاب عنه روح المسألة، فلو علمها لعلم بمن التذ، ومن التذ؟![1]. وكان كاملاً، وكما نزلت المرأة عن درجة الرجل بقوله: ﴿وللرجال عليهن درجة﴾ (سورة البقرة:٢٢٨)، نزل المخلوق على الصورة عن درجة من أنشـأه على صورته، مع كونه على صورته، فبتلك الدرجة التي تميز عنه بها كان غنيًا عن العالمين، وفاعلاً أولاً، فإن الصورة فاعل ثان، فماله الأولية الـتي للحق، فتميزت الأعيان بالمراتب، فـأعطى كل ذي حق حقه كل عارف، فلهذا كان حب النســاء لمحمد ﷺ عن تحبب إلهي [وأن الله أعطى كل شيء خلقه، وهو عين حقه، فما أعطاه إلا باستحـقاق إستحقه بمسماه أي بذات ذلك المسـتحق] وإنما قـدم النساء ـ أي في قـوله ﷺ ـ: «[حـبـب إليَّ مـن الـدنـيـا]: النسـاء والطيب، وجعلت قرة عيني في الصلاة»[2]، لأنهن محل الانفعال كمـا تقدمت الطبيعة على من وجد منها بالصورة، وليست الطبيعـة على الحقيقة إلا النفس الرحماني، فإن فيه انفتحت صورة العالم أعلاه وأسفله»[3].

---

(١) يقول: لـو تأمل الرجل الملتذ بالمرأة، لعلم أنـه ليس مع امرأة، بل مع الإله الصـوفي، وأنه ليس هو الملتذ، بل الإله الذي تعين فيـه، وأعتذر للقراء عن ذكر هذا النتن الإباحي الصـوفي، فإنا بصدد هتك القناع عن فاحشة آثمة تتراءى في شف من القدسية والروحانية، وتمزيق الستر عن خبيث يقترف الجريمة وهو ريان السـجود في المحـاريب، وتبصيـر المسلمين بمجـوسية الـتصوف، ومـا تكيد به لهـم، حتى يعتصموا بحبل الله وحده.

(٢) أخرجـه أحمد والنسائي والحـاكم والطبراني والبزار وابن أبي شـيبة، وقـد أعله ابن عدي والدارقطني والعقـيلي، وليس في شئ من طرقه لفظ ثلاث. انظر تخـريج أحاديث الكشـاف لابن حجر، وتمـيـيز الطيب من الخبيث للشـيباني، وبهذا ينهدم كل ما بناه الزنديق ابن عـربي من التثليث، وما هول به من تأنيث الإله على لفظ «ثلاث» التي ليست في الحديث قط على ضعفه.

(٣) ص ٢١٨ فصوص.

الأنوثة صفة الإله الصوفي

ثم قال: «إنه عليه الصلاة والسلام غلَّب في هذا الخبر التأنيث على التذكير، لأنه قصد التَّهمُّمَ بالنساء فـقال: ثلاث، ولم يقل: ثلاثة بالهاء الذي هو لعدد الذكران؛ إذ فيها ذكر الطيب، وهو منكر، وعادة العرب أن تُغَلِّب التذكير [على التأنيث]»[١] - ثم قال: «ثم إنـه جعل الخاتمة نـظيرة الأولى في التـأنيث وأدرج بينهمـا المذكر، فـبدأ[٢] بالنساء، وختم بالصلاة، وكلتاهمـا تأنيث، والطيب بينهما «كَهُوَ»[٣] في وجوده، فإن الرجل مُدْرَج بين ذات ظهر عنها وبين امرأة ظهرت عنه، فهو بين مؤنثين تأنيث ذات، وتأنيث حقيقي، كـذلك النساء تأنيث حقيقي، والصلاة تأنيث غيـر حقيقي، والطيب مذكر بينهما، كآدم بين الذات الموجود هو عنها، وبين حواء الموجودة عنه، وإن شئت قلت: القدرة، فمـؤنثة أيضًا، فكن على أي مذهب شئت، فـإنك لا تجد إلا التأنيث يتقـدم، حتى عند أصـحاب العلة الذين جـعلوا الحق علة في وجود العـالَم، والعلة مؤنثة»[٤].

الإله الصوفي بين التقييد والإطلاق

ثم قال: «وثَمَّ مرتبة يعود الضمير على العبد المسبِّح فيها في قوله: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ (سورة الإسراء:٤٤) أي بحمد ذلك الشيء[٥] فالضمير الذي في [قوله]:

(١) ص ٢١٩ فصوص وكل ما بين هذين [ ] ساقط من الأصل، وأثبته عن الفصوص.

(٢) في الأصل: فبداء. ويظهر أن الناسخ كان يرسم الهمزة التي من هذا القبيل هكذا دائماً.

(٣) الهو عند الصوفية: هو اعتبار الذات بحسب الغيبة والفقد.

(٤) ص ٢٢٠ فصوص.

(٥) معنى الآية: ما من شئ إلا ويسبح بحمد الله رب العـالمين، ولكن ابن عربي يرجع الضمير في قوله: بحمده، على لفظة شئ ليـتواءم هذا البهتان الزنديقي، ومذهبه في الوحـدة، فيكون معنى الآية عنده: ما من شيء إلا ويسبح بحمد نفسه لأن الله سبحانه عنده عين كل شئ، فإذا سبح شيء، فالمسبح عنده والمسبح له هو الله سبحانه عما يقول الصوفية.

بحمده، يعود على الشيء، أي بالثناء الذي يكون عليه، كما قلنا في المعتقد أنه [إنما] يثني على الإله الذي في معتقده، وربط به نفسه، وما كان من عمله، فهو راجع إليه، فما أثنى إلا على نفسه، فإنه من مدح الصنعة، فإنما مدح الصانع بلا شك، فإن حسنها وعدم حسنها راجع إلى صانعها، وإله[١] المعتقِد مصنوع للناظر فيه، فهو صُنْعه[٢] فثناؤه على ما اعتقده ثناؤه على نفسه ولهذا يذم معتقد غيره، ولو أنصف لم يكن له ذلك، إلا أن صاحب هذا المعبود الخاص جاهل بلا شك[٣] في ذلك لاعتراضه [٤٠] على غيره فيما اعتقده في الله، إذ لو عرف ما قال الجنيد: لون الماء لون إنائه، لسلّم لكل ذي اعتقاد ما اعتقده وعرف الله في كل صورة، وكل معتقد، فهو ظانٌّ ليس بعالِم، ولذلك[٤] قال: «أنا عند ظن عبدي بي»[٥] أي لا أظهر له إلا في صورة معتقده، فإن شاء أطلق، وإن شاء قَيَّد، فإله المعتقدات تأخذه الحدود، وهو الإله الذي وسعه قلب عبده، فإن الإله المطلق لا يسعه شئ لأنه عين الأشياء[٦] وعين نفسه[٧] والشيء ولا يقال فيه: يسع نفسه، لا يسعها، فافهم[٨].

---

(١) في الأصل: والإله.

(٢) في الأصل: صنعته.

(٣) يحذر المؤمن أن يذم دين الكافر، والموحد أن يذم دين المشرك، والمسلم أن يذم دين وثني أو يهودي، أو نصراني، أو مجوسي، فذم أي دين - وإن كان سداه الأسطورة، ولحمته الخرافة - جهل عميق بالحقيقة، فهؤلاء جميعًا دينهم واحد، ومعبودهم في الحقيقة - وإن اختلفت نسبه أو إضافاته، أو أسماؤه - واحد، بل إنهم جميعًا عين واحدة، إذ كل واحد منهم أحد تعينات الذات الإلهية، ومعبوداتهم في حقيقتها الرب الواحد، لأنها الحق تجلى في صور هذه المعبودات، ودينهم واحد لأن الحق المتعين في كل واحد منهم هو الذي شرع هذا الدين وارتضاه. ذلك البهتان هو دين الزنديق ابن عربي، وهذا هو نص ما يريده.

(٤) في الأصل: فلذلك.

(٥) متفق عليه عن أبي هريرة مرفوعًا. بيد أن تفسير الزنديق له إفك أثيم.

(٦) باعتبارها تعيناته أو ظاهره.

(٧) باعتبارها وجودًا مطلقًا، أو حقًا أو باطنًا.

(٨) ص ٢٢٦ فصوص.

قلت: وهذا أراد ابن الفارض بقوله:

فلو أنني وَحَّدت، ألحدت، وانسلختُ ••• مِن آي جمعي مُشْرِكا بيَ صَنْعَتي

دعاء ومباهلة

هذا آخر الكتاب[١]، المباعد للصواب، المراد للشك والارتياب، لعنة[٢] الله على معتقده، ورحمة الله: على منتقده، قد تم - ولله الحمد - ما أردت انتقاده منه، مُتَرْجَمًا بسوء السيرة وقبح السريرة عنه، وانتهى ما وقع انتقادي عليه، وأدَّاني اجتهادي إليه: من واضح كفره، ودقيق مكْرِه، وَجَلِيِّ شره، أعاذنا الله بحوله وقوته من شكوكه، وعصمنا من زيغ طريقه، وباعدنا من سلوكه.

ورأيت أن أختم ذلك بحكاية طالما حدثنا بها شيخنا شيخ الإسلام حافظ العصر، قاضي القضاة، أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر الكناني، العسقلاني الأصل، المصري الشافعي. ثم رأيتها منقولة عن كتاب الحافظ تقي الدين الفاسي[٣] في تكفير ابن عربي، وقد أصلح شيخنا بعضها بخطه، قال: «كان في أيام الظاهر برقوق[٤] شخص يقال له: ابن الأمين شديد التعصب لابن عربي صاحب هذا الفصوص، وكنت أنا كثير البيان لعواره، والإظهار لعاره وعثاره، وكان بمصر شيخ يقال له: الشيخ صفا، وكان مقربًا عند الظاهر، فهددني المذكور بأنه يعرِّفه بي، ليذكر للسلطان أن بمصر جماعة أنا منهم، يذكرون الصالحين بالسوء، ونحو ذلك. وكانت تلك الأيام شديدة المظالم والمصائب والمغارم، وكنت ذا مألٍ[٥]، فخفت عاقبته،

---

(١) يقصد فصوص الحكم.

(٢) في الأصل: لعنه.

(٣) هو محمد بن أحمد بن علي ولد بمكة سنة ٧٧٥، وتوفي سنة ٨٣٢هـ ولي قضاء المالكية بمكة.

(٤) مؤسس دولة المماليك البرجية، واستمر يحكم من سنة ٧٨٤ إلى أن توفي عن ٦٠ عامًا سنة ٨٠١ هـ.

(٥) كذا بالأصل ولعلها: مال.

وخشيت غائلته، فقلت إن هنا ما هو أقرب مما تريد، وهو أن بعض الحفاظ قال: إنه وقع الاستقراء بأنه ما تباهل اثنان على شيء، فحال الحول على المُبْطِل منهما، فَهَلُمَّ، فلنتباهل، لِيَعْلَم المحقُّ منا من المبطِل، فتباهلت أنا وهو، فقلت له: قل: اللّهم إن كان ابن عربي على ضلال، فالْعَنّي بلعنتك، فقاله، فقلت أنا: اللهم إن كان ابن عربي على هدى فالعني بلعنتك وافترقنا، وكان يسكن الروضة، فاستضافه شخص من أبناء[1] الجند جميل الصورة، ثم بدا له أن يتركهم، فخرج في أول الليل، فخرجوا يشيعونه فأحس بشيء مَرَّ على رجله[2]، فقال لأصحابه: مَرَّ على رجله شيء ناعم، فانظروا ما هو؟ فنظروا [٤١] فلم يجدوا شيئًا، فذهب، فما وصل إلى منزله إلا وقد عمي، ولم يصبح إلا وهو ميت، وكان ذلك في ذي القعدة سنة سبع وتسعين وسبعمائة، وكانت المباهلة في رمضان منها، قال: وكنت عند وقوع المباهلة عرَّفت من حضر أن من كان مُبطِلاً في المباهلة لا تمضي عليه السنة، فكان ولله الحمد ذلك، واسترحت من شره، وأمنت من عاقبة مكره».

المكفرون لابن عربي

وقد صرح بكفر هذا الرجل[3]، ومن نحا نحوه في مثل هذه الأقوال الظاهرة في الضلال جماعة من العلماء الأعلام مشايخ الإسلام، كما نقل عنهم الإمام شهاب الدين أحمد بن يحيى بن أبي حجلة التلمساني الحنفي في كتابه الذي صنفه في ذلك، وكذا نقل بعض ذلك الإمام سيف الدين عبد اللطيف بن بلبان السعودي[4] الصوفي في جزء نقله عنه أحمد بن أقش الحرّاني، قال: «وقد كتب كل من راقب الله تعالى

---

(١) في الأصل: ابنا.

(٢) لعلها رجلي، إلا أن تكون على سبيل الحكاية.

(٣) يقصد ابن عربي.

(٤) ولد سنة ٦٥٠ تقريبًا، وتوفي سنة ٧٣٦ هـ.

وخشيه، وامتنع كل من التبسه مخافة غيره، وغشيه، فالذي كتب قام لله تعالى بلوازم فرضه، والذي امتيح[1] فهو المسئول عن ذلك في يوم عَرْضِه، فإن زعم أنه ترك خوف الفتنة من المخالفين، فتلك محنة في الدين بما وجب على كل عالم من التبيين».

وكذلك نقل الفتاوى العلامة بدر الدين حسين بن الأهدل، شيخ أبيات حسين ببلاد اليمن في تصنيفه المسمى (كشف الغطا عن حقائق التوحيد)، فالمنكرون منهم سلطان العلماء عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القسم السلمي الشافعي، كما نقل ذلك عنه شيخ الإسلام تقي الدين محمد بن دقيق العيد، قال الحافظ شمس الدين محمد الذهبي في معجمه[2]: «حدثني محمد المفيد. حدثنا أبو الفتح اليعمري، سمعت أبا الفتح محمد بن علي القشيري، سمعت شيخنا ابن عبد السلام يقول - وجرى ذكر ابن العربي الطائي - فقال: «هو شيخ سوء كذاب»[3]، وقال الصلاح خليل الصفدي في تاريخه: «سمعت أبا الفتح ابن سيد الناس[4] يقول: سمعت ابن دقيق العيد يقول: سألت ابن عبد السلام عن ابن عربي، فقال: هو شيخ سوء كذاب، يقول بقدم العالم، ولا يحرم فرجا» وقال شيخنا العلامة محمد[5] بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف [ويعرف][6] بابن الجرزي الشافعي في جواب أجاب فيه بكفره، كما حكاه عنه ابن الأهدل: ولقد حدثنا شيخنا شيخ الإسلام الذي لم تر عيناي مثله عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير من لفظه غير مرة، حدثني شيخ

---

(١) لعلها: امتنع.
(٢) ذكر هذا في ميزان الاعتدال.
(٣) في الميزان: شيعي سوء كذاب.
(٤) هو محمد بن محمد بن محمد بن سيد الناس أبو الفتح فتح الدين الحافظ الأديب. ولد سنة ٦٧١هـ وتوفي سنة ٧٣٤هـ.
(٥) ولد الجزري بدمشق سنة ٧٥١هـ وتوفي سنة ٨١٤هـ.
(٦) ساقطة من الأصل، وأثبتها عن الضوء اللامع.

الإسلام العلامة قاضي القضاة تقي الدين أبو الحسن علي بن عبد الكافي السبكي[١]، حدثنا الشيخ العلامة شيخ الشيوخ قاضي القضاة تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي القشيري المعروف بابن دقيق[٢] العيد القائل في آخر عمره:

«لي أربعون {٤٢} سنة ما تكلمت بكلمة إلا أعددت لها جوابًا بين يدي الله تعالى، قال: سألت شيخنا سلطان العلماء عز الدين أبا محمد عبد العزيز بن عبد السلام الدمشقي عن ابن عربي، فقال: شيخ سوء كذاب، يقول بقدم العالم، ولا يحرم فرجًا» انتهى.

وقال ابن تيمية[٣] في جواب السيف السعودي: «فكفره الفقيه أبو محمد بذلك، ولم يكن بَعْدُ ظَهَـرَ من قوله: إن العالم هو الله والعالم صورة الله، وهوية الله» قال السيف المذكور: ثم تابعه في الإنكار الشيخ الإمام بركة الإسلام قطب الدين ابن القسطلاني، وحذر الناس من تصديقه، وبين في مصنفاته فساد قاعدته، وضلال طريقه في كتاب سماه (بالارتباط) ذكر فيه جماعة من هؤلاء الأنماط.

---

(١) ولد سنة ٦٨٣، وتوفي بالقاهرة سنة ٧٥٦هـ، ولي قضاء دمشق والخطابة بالجامع الأموي، وكان من خصوم ابن تيمية، غير أنه عاد فأثنى عليه ثناءً مستطابًا.

(٢) ولد بناحية ينبع سنة ٦٢٥ وتوفي سنة ٧٠٢هـ يقول عنه الذهبي: كان إمامًا متقنًا مجودًا مديم السنن والجمع وله اليد الطولى في الفروع والأصول.

(٣) أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم ابن تيمية الحراني ثم الدمشقي علم الأعلام الإمام الصبار الشكور. يقول عنه خصمه تقي الدين السبكي ـ وقد عاتبه الحافظ الذهبي على ما نال به من قدر ابن تيمية ـ: «المملوك ـ يعني نفسه ـ يتحقق كبير قدره، وزخارة بحره، وتوسعه في العلوم النقلية والعقلية ـ يعني بكل هذا ابن تيمية ـ وفرط ذكائه واجتهاده وبلوغه في كل من ذلك المبلغ الذي يتجاوز الوصف، وقدره في نفسي أكبر من ذلك وأجل، مع ما جمعه الله له من الزهادة والورع والديانة ونصرة الحق والقيام به، لا لغرض سواه، وجريه على سنن السلف، وأخذه من ذلك بالمأخذ الأوفى، وغرابة مثله في هذا الزمان، بل من أزمان» انتهى نقلاً عن (الدرر الكامنة) لابن حجر. ولد ابن تيمية سنة ٦٦١هـ، ومات سجين البغي بقلعة دمشق سنة ٧٢٨هـ.

ومنهم قاضي القضاة قدوة أهل التصوف إمام الشافعية بدر الدين محمد بن جماعة قال: «وحاشا رسول الله ﷺ أن يأذن في المنام فيما يخالف، أو يضاد قواعد الإسلام[1]، بل ذلك من وساوس الشيطان ومحنته، وتلاعبه برأيه وفتنته، وأما إنكاره ـ يعني ابن عربي ـ ما ورد في الكتاب والسنة من الوعيد فهو كافر به عند علماء التوحيد، وكذلك قوله في نوح وهود عليهما السلام قولٌ لغو باطل مردود»[2].

والقدوة العارف عماد الدين أحمد بن إبراهيم الواسطي[3]، وقال إنه علق في ذم هذه الطائفة[4] ثلاث كراريس، الأول سماه: البيان المفيد في الفرق بين الإلحاد والتوحيد، والثاني: لوامع الاسترشاد في الفرق بين التوحيد والإلحاد، والثالث: أشعة النصوص في هتك أستار الفصوص. كل ذلك ليبقى المؤمنون منهم على بصيرة. يحذرون من طرقهم وزندقتهم. وحاصل ذلك كله بكلام وجيز مختصر:

«أن هؤلاء جميع ما يبدونه من الكلام الحسن في مصنفاتهم إنما هو ربط واستجلاب، فإن الدعاة إلى البدعة إن لم يكونوا ذوي بصيرة يستدرجون الخلق في دعوتهم، حتى يحلوهم عن أديانهم لا يستجاب لهم.

هذا ابن عربي عنده في أصوله: أنه يجعل المعدومات أشياء ثابتة ـ علويها وسفلها ـ قبل وجودها، فهي عنده ثابتة في القدم، لكن ليس لها وجود، ثم أفاض الحق عليها من وجوده الذاتيِّ فقبل كل موجود من وجود عين الحق بحسب استعداده،

---

(١) رد على ما زعمه ابن عربي في خطبة الفصوص أنه رأى الرسول ﷺ في النوم، وأنه قال له: هذا كتاب الفصوص خذه واخرج به إلى الناس ينتفعون به، وعلى ما زعمه ابن الفارض من مثل هذا بالنسبة للتائية الكبرى.

(٢) انظر نص هذه الفتوى في (العلم الشامخ) للمقبلي ص٤٩٤ .

(٣) ولد سنة ٦٥٧ وتوفي سنة ٧١١هـ.

(٤) طائفة ابن عربي ومن دان دينه.

فظهر الكون بعين وجود الحق، فكان الظاهر هو الحق، فعنده: أنه لا وجود إلا للحق، ويستحيل عنده أن يكون ثَمَّ وجود محدث، كما يقوله أهل الحق، فإنهم يقولون وجود قديم، ووجود حادث[1]، وهذا عنده، وعند أصحابه: أنه ليس بوجود حادث، وليس ثم إلا وجود الحق الذاتي، وهو الذي فاض على الأعيان والممكنات [٤٣] فهو موجود بعينه[2]، ومن شك أن هذا اعتقاده، فليراجع كتبه الفصوص وغيرها، وعنده أنه لما فاض على الأكوان عين وجود الحق، كان هو الظاهر فيها بحكم الوجود، وكانت هي الظاهر فيه بحكم الأسماء، فإنها كثيرة متعددة[3]، وعنده أن الكون افتقر إلى الحق بسبب إفاضة الوجود، وأن الحق أيضًا افتقر إلى الكون لظهور أسمائه وكل منهما يعبد الآخر».

---

(١) ليس هذا التقسيم من صنع أهل الحق، وإنما هو بدعة الفلسفة ومخانيثهم علماء الكلام، والله العليم الحكيم الخبير لم يسم نفسه بالقديم، ولا وصف وجوده أو ذاته بالقدم، وما ورد أحدهما ـ الاسم والصفة ـ على لسان أحد من رسله، ولا استعملت في كتاب الله فيما استعملتها فيه الفلسفة، وإليك مواردها في القرآن: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾ (سورة يوسف: ٩٥)، ﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ (سورة يس: ٣٩)، ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾ (سورة الأحقاف: ١١)، ﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ۝٧٥ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ﴾ (سورة الشعراء: ٧٥-٧٦)، فهل تجد آية من هذه الآيات أعطت مفهوم القدم، والقديم كما هو في الفلسفة والكلام؟ وهل تجده بحيث يصح إطلاقه على الله ووجوده؟ قارن بين القدم في الفلسفة والكلام، وبينه في القرآن إذ يصف الإفك والعرجون والضلال بالقدم، وستخرج من هذه المقارنة بأنه لا يجوز وصف الله به، وفي اللغة تقول عن شيء سلف زمانه: إنه قديم، وعن الثوب الرث: إنه قديم. هذا مدلول الكلمة في اللغة التي نزل بها كتاب الله، والتي يجب أن تفسر بها وحدها القرآن. فليقولوا: خالق ومخلوق، وليقولوا عن الله ما قاله عن نفسه «هو الأول والآخر والظاهر والباطن».

(٢) لم يحسن التعبير، وإليك نص الفصوص ص ٧٦: «وهو من حيث الوجود عين الموجودات». وفي الأصل: فهي موجودة.

(٣) قال القاشاني في شرح الفصوص: «للذات بحسب كل عين اسم، وتلك الأعيان أيضًا أسام، لكونها عين الذات مع التعين» ويقول ابن عربي «فأسماؤنا أسماء الله تعالى».

فتوى الجزري

ومنهم العلامة شمس الدين محمد بن يوسف ابن الجزري جد شيخنا العلامة شمس الدين، قال[١]: «وحكمه بصحة عبادة قوم نوح للأصنام كفر، وقوله: إن الحق المنزه هو الخلق المشبه كلام باطل متناقض، وهو كفر، وقوله في قوم [هود][٢]. وحصلوا في عين القرب افتراء على الله تعالى، وردٌّ لقوله فيهم، وقوله زال البعد وصيرورة[٣] جهنم في حقهم نعيمًا كذب، وتكذيب للشرائع، وأما من يصدقه فيما قال، فحكمه كحكمه في التضليل والتكفير إن كان عالمًا، وإن كان ممن لا علم له: فإن قال ذلك جهلاً عرف بحقيقة ذلك، ويجب تعليمه وردعه عنه، مهما أمكن» ومنهم الإمام القدوة برهان الدين إبراهيم بن معضاد الجعبري[٤]، ومنهم العلامة زين الدين عمر بن أبي الحرم الكتاني[٥] الشافعي، ومن جوابه: «وقوله في قوم هود كفرٌ لأن الله تعالى أخبر في القرآن العظيم عن عاد: أنهم كفروا بربهم، والكفار ليسوا على صراط مستقيم، فالقول بأنهم كانوا عليه مكذِّب لصريح القرآن، ويأثم من سمعه، ولم ينكره إذا كان مكلفًا، وإن رضي به كفر».

رأي أبي حيان

والإمام أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي[٦] ذكر ذلك في تفسير سورة المائدة عند قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ (سورة المائدة: ١٧) الآية

---

(١) انظر نص فتواه في (العلم الشامخ - ص٤٩٥).

(٢) أثبتها عن الفصوص.

(٣) لعلها: صارت، أو بصيرورة.

(٤) توفي في سنة ٦٨٧هـ عن ثمانين سنة.

(٥) كان شيخ الشافعية في عصره. ولد سنة ٦٥٣ وتوفي سنة ٧٣٨هـ، وانظر نص فتواه في (العلم الشامخ - ص٤٩٦)، وفي (الشذرات)، لُقب بالكتاني نسبة إلى الكتان.

(٦) ولد سنة ٦٥٤هـ. قال عنه الذهبي: «حجة العرب وعالم الديار المصرية» كان من خلصاء ابن تيمية، حتى لقد امتدحه بقصيدة منها:
=

في أوائلها: «ومن بعض اعتقاد النصارى استنبط من أقر[١] بالإسلام ظاهرًا، وانتمى إلى الصوفية حلولَ الله في الصور الجميلة، ومن ذهب من ملاحدتهم إلى القول بالاتحاد والوحدة: كالحلاج والشعوذي وابن أحلى وابن عربي المقيم بدمشق، وابن الفارض، وأتباع هؤلاء كابن سبعين ـ وعد جماعة[٢] ـ ثم قال: وإنما سردت هؤلاء نصحًا لدين الله، يعلم الله ذلك، وشفقة على ضعفاء المسلمين، وليحذروا، فهم شر من الفلاسفة الذين يكذبون الله ورسله، ويقولون بقدم العالم وينكرون البعث، وقد أولع جهلة ممن ينتمي إلى التصوف بتعظيم هؤلاء، وادعائهم أنهم صفوة الله»[٣].

رأي التقي السبكي والفاسي والزواوي

والعلامة قاضي القضاة شيخ الإسلام تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي الشافعي، فقال: «ومن كان من هؤلاء الصوفية المتأخرين كابن عربي وغيره، فهم ضُلاَّل جُهَّال، خارجون عن طريقة الإسلام، فضلاً عن العلماء» قال ذلك في باب الوصية من شرح [٤٤] المنهاج ونقله الكمال الدميري، والتقي الحصني، وقال الحافظ

= قام ابن تيمية في نصر شرعتنا مقام سيد تيم إذ عصت مضر

وفي مناظرة بينهما خطَّأ ابن تيمية سيبويه، فلم يطقها منه أبو حيان، فكان أن بهته أبو حيان في تفسيره البحر.

(١) في البحر: تستر.

(٢) هم كما جاء في البحر: «والتستري تلميذه وابن مطرف المقيم بمرسية، والصفار المقتول بغرناطة، وابن اللباج، وأبو الحسن المقيم كان بلورقة، ومن رأيناه يرمي بهذا المذهب الملعون: العفيف التلمساني، وله في ذلك أشعار كثيرة، وابن عياش المالقي الأسود الأقطع المقيم كان بدمشق. وعبد الواحد بن المؤخر المقيم كان بصعيد مصر، والأيكي العجمي الذي كان تولى المشيخة بخانقاه سعيد السعداء بالقاهرة من ديار مصر، وأبو يعقوب بن مبشر تلميذ التستري المقيم كان بحارة زويلة» انتهى نقلاً عن تفسير البحر لأبي حيان. وزاد في تفسيره النهر: «والشريف عبد العزيز المنوفي، وتلميذه عبد الغفار القوصي».

(٣) ورد بعد هذه في البحر: «وأولياؤه، والرد على النصارى والحلولية والقائلين بالوحدة هو من علم أصول الدين» انظر تفسير سورة المائدة من البحر لأبي حيان.

تقي الدين الفاسي في كتابه فيه: «وقد أحرقت كتب ابن عربي غير مرة». ومِمَّن صنع ذلك من العلماء المعتبرين: الشيخ بهاء الدين السبكي، والعلامة القاضي شرف الدين عيسى بن مسعود الزواوي[1] المالكي شارح صحيح مسلم، فقال: «وأما ما تضمنه هذا التصنيف من الهذيان، والكفر والبهتان، فهو كله تلبيس وضلال، وتحريف وتبديل، فمن صدق بذلك أو اعتقد [صحته][2] كان كافرًا ملحدًا، صادًا عن سبيل الله، مخالفًا لسنة رسول الله ﷺ ملحدًا في آيات الله، مُبـدِّلاً لكلماته، فإن أظهر ذلك، وناظر عليه، كان كافرًا يستتاب، فإن تاب، وإلا قُتِل، وإن أخفى ذلك، وأسره كان زنديقًا، فيقتل متى ظهر عليه، ولا تقبل تـوبته إن تاب؛ لأن توبته لا تعرف، فقد كان قبل أن يظهر عليـه يقول بخـلاف ما يبطن، فعلم بالظهـور عليه خـبث باطنه، وهؤلاء قوم يسمون البـاطنية، لم يزالوا من قديم الزمان ضُلالاً في الأمة، مـعروفين بالخروج من الملة، يُقْتَـلون متى ظهر عليـهم، وينفون من الأرض، وعـادتهم التَّمَصْـلح والتدين، وادعاء التـحقيق، وهـم على أسَوأ طريق [فالحـذر كل الحذر منهم فـإنهم أعداء الله، وشـر من اليهـود والنصارى، لأنهم قـوم لا دين لهم يتـبعـونه، ولا رب يعبـدونه، وواجب على كل من ظهر على أحد منهم أن ينهي أمره إلى ولاة المسلمين، ليحكموا فـيه بحكم الله تعـالى][3] ويجب على [من][4] وَلِيَ الأمر[5] إذا سـمع بهذا التـصنيف البحث عنه، وجمع نسخه حيث وجـدها وإحراقها، وأدب من اتهم بهذا المذهب، أو نُسب إليه، أو عرف به، على قدر قوة التهمة عليه حتى يعرفه الناس ويحذروه».

---

(١) ولد سنة ٦٦٤هـ، وتوفي سنة ٧٤٣هـ انتهت إليه رياسة الفتوى في المذهب المالكي بمصر والشام، وقد شرح صحيح مسلم في اثنى عشر مجلدًا وسماه: إكمال الإكمال.

(٢) ساقطة من الأصل، وأثبتها عن العلم الشامخ، فقد ورد فيه نص هذه الفتوى ص ٤٩٨ .

(٣) ما بين هذين [ ] ساقط من الأصل. وأثبته عن العلم الشامخ ص ٤٩٨ .

(٤) أثبتها عن المصدر السابق.

(٥) في الأصل: الأمراء، وهي كما أثبتها في العلم الشامخ.

رأي البكري

ومنهم الشيخ الإمام المحقق الزاهد القدوة العارف نور الدين علي بن يعقوب البكري الشافعي، قال: «وأما تصنيف تذكر فيه هذه الأقوال، ويكون المراد بها ظاهرها، فصاحبها ألعن وأقبح من أن يُتَأَوَّل له ذلك، بل [هو][(١)] كاذب فاجر، كافر في القول والاعتقاد، ظاهرًا وباطنًا، وإن كان قائلها لم يرد ظاهرها، فهو كافر بقوله، ضال بجهله، ولا يعذر في تأويله لتلك [الألفاظ] إلا أن يكون جاهلاً بالأحكام جهلاً تامًا عامًا، ولا يُعْذَر في جهله لمعصيته، لعدم مراجعة العلماء والتصانيف[(٢)] على الوجه الواجب من المعرفة في حق من يخوض في أمر الرسل ومتبعيهم، أعني معرفة الأدب في التعبيرات، على أن في هذه الألفاظ ما يتعذر، أو يتعسر تأويله، بل كلها كذلك، وبتقدير التأويل على وجه يصح في المراد، فهو كافر بإطلاق اللفظ على الوجه الذي شرحناه. وأما دلائل ذلك فهي مذكورة في تصانيف العلماء، وفيما ألفته أيضًا في بعض المسائل وليست هذه الورقة مما تسع الكلام على أقوال هذا المصنِّف[(٣)] لفظة لفظة.

مسألة الوعيد

لكن مسألة الوعيد ـ يعني التي قال فيها ابن عربي: وما لوعيد الحق عينُ تُعاين[(٤)]. لابد فيها من نبذة لطيفة للضرورة. اعلم [٤٥] أنه ثبت بالدلائل العقلية

---

(١) أثبتها عن المصدر السابق.

(٢) ما دام قادرًا على مراجعة التصانيف، فالواجب عليه قبل كل شيء: تدبر آيات الله سبحانه، ففي قبس واحد من نوره ما يبدد باطل التصوف وضلاله، أما أن تدعوه إلى مراجعة التصانيف دون الكتاب والسنة، فهي دعوة إلى اتخاذ أرباب من دون الله، وهي بعينها دعوة التصوف.

(٣) يقصد فصوص الحكم لابن عربي.

(٤) يعني: إنكار ابن عربي وقوع العذاب على المشركين والكافرين يوم القيامة.

والسمعية، وإجمـاع المسلمين أن قول الله حق، وخبره صدق، وذلك واجب له لذاته سبحـانه وتعالى، ومن أنكر أن خبر الله حق، أو أن وعـده ووعيده صدق فهـو كافر بإجمـاع المسلمين، وإنما قال بعض الناس من الأصـوليين: إنه لا يجب وقوع الوعـيد بتأويل مـقرر في الأصول، وحـقيقـته ترجع إلى أن كلام الله تعـالى مُنزَّل على عادة العرب في تخاطبها، وعادتها إذا أوعدت بالعـقوبة ـ وإن كانت صورتها الوعيد الجازم ـ فـإنما تريد: إذا لم تعـف، وأصـرت على الانتـقـام، وادُّعِيَ أن ذلك مـركـوز في طباعها، وأن حقيقة اللفظ الحملُ عليه، سواء أراده حالة التخاطب، أو لم يرده.

وقال فيه آخرون: إن الرب سبحانه وتعالى علق الأشـياء بمشيئته في غير موضع، وأن الوعد المُطْلق مقيَّد بالمشيئة، فجوز أن يقع الوعيد بشيء، فلا يحصل المتوعَّد: إما لأن حقيـقة اللفظ مقيدة بعدم العـفو، وإما لأن مطلق اللفظ مقيـد بنصوص أخر مع أمور أخرى يحتملها اللفظ مطلقًا من غـير دليل خاص: من تقييد المطلق، وتخصيص العام، واحتمال الإضمار والمجاز. وجوز أن يضع الله تعالى اللفظ وضعًا جديدًا لمعنى آخر لا تفهمه العرب عند بعض الناس إلى غير ذلك. ومع هذا كله فإنما هو كلام في أصل الوعيد من حيث الجملة.

وأما خصـوص مسألة وعيد الكافرين، فـلا خلاف أن المراد به قد علم، وأن من ادعى أن الكفار لا يعذبون أصـلاً، فهو كافر، إلا أن يكون مـمَّن لم تبلغهم الدعوة، أو في معناه. والمـراد في وعيد الكافـرين المعلوم: هو أنهم يُعَذَّبون فـي النار العذاب الشديد، ولا يغفر كـفرهم المغفرة المزيلة للعقوبة بعـد بلوغ الدعوة، على الوجه الذي تقوم به الحجة.

والعلم بالمراد في هذه القضية مُتَلَقًّى بوجهين:

أحدهما ـ أخبار التواتر.

الثاني - فهم الصحابة لذلك عن المعصوم فهما قطعيًا منقولاً إلينا بالتواتر المعنوي[١]، وإنما تكلموا في مسألة الخلود دون أصل التعذيب، فمن حاك[٢] الخلاف عن السلف، ومن[٣] حاك الإجماع، والمعتمد في دعوى الإجماع ففيها نظر. والله أعلم».

فتوى البالسي وابن النقاش

ومنهم العلامة نجم الدين محمد بن عقيل البالسي[٤] الشافعي، فقال: «من صدق هذه المقالة الباطلة أو رضيها، كان كافرًا بالله تعالى يراق دمه، ولا تنفعه التوبة عند مالك وبعض أصحاب الشافعي، ومن سمع هذه المقالة القبيحة تَعَيَّن عليه إنكارها بلسانه، بل يجب عليه منع قائلها بالضرب، إن لم ينزجر باللسان، فإن عجز {٤٦} عن الإنكار بلسانه أو بيده، وجب عليه إنكار ذلك بقلبه، وذلك أضعف الإيمان»...

ومنهم نادرة زمانه العلامة أبو أمامة محمد بن علي بن النقاش[٥] المصري الشافعي في تفسيره[٦] وأجاد جدًا في تقرير مذهبهم، وبيان عواره، فقال: «وقد ظهرت أمة ضعيفة العقل، نزرة العلم، اشتغلوا بهذه الحروف، وجعلوا لها دلالات، واشتقوا

---

(١) ورد الخبر عن عذاب الله للكفار وغيرهم بصيغة الماضي في بعض الآيات، ومثاله: ﴿مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا﴾ (سورة نوح: ٢٤)؛ والتعبير عما سيقع بصيغة تفيد أنه وقع يفيد تحقق الوقوع، وأنه سيقع لا محالة، ثم إن ابن عربي إنما ينكر العذاب، لإيمانه بوحدة الوجود، وبالتالي إلى وحدة الأديان. فالزنديق يدين بأن الله سبحانه عين كل شيء، ويدين بأن كل دين هو عين الحق. فكيف يعذب الله كافرًا، أو مشركًا؟ والكافر عنده هو الله، وكذلك المشرك. والكفر دين حق وكذلك الشرك. لا يمكن وقوع العذاب، وإلا قلنا: إن الله يعذب نفسه. هذا سر إنكار ابن عربي وقوع العذاب، فهو في واد، وما ذكره المؤلف هنا عن الوعيد في واد آخر.

(٢، ٣) لعلها حكى.

(٤) ولد سنة ٦٦٠هـ. ولي قضاء بلبيس، ولازم ابن دقيق العيد. وتوفي سنة ٧٢٩هـ.

(٥) ولد سنة ٧٢٠هـ. وتوفي سنة ٧٦٣هـ.

(٦) سماه السابق واللاحق، والتزم أن لا ينقل فيه حرفًا من تفسير أحد ممن تقدموه.

منها ألفاظًا، واستدلوا منها على مُدَدٍ وسموا أنفسهم بعلماء الحروف[1]، ثم جاءهم شيخ وقح من جهلة العالم يقال له: البوني، ألف فيها مؤلفات، وأتى فيها بطامات، ومن الحروف دخلوا للباطن، وأن للقرآن باطنًا غير ظاهر، بل وللشرائع باطنًا غير ظاهرها، ومن ذلك تدرجوا إلى وحدة الوجود، وهو مذهب الملحدين كابن عربي وابن سبعين وابن الفارض ممن يجعل الوجود الخالق هو الوجود المخلوق، وقد لا يرضى هؤلاء بلفظ الاتحاد بل يقولون بالوحدة؛ لأن الاتحاد يكون افتعالاً بين شيئين، وهم يقولون: الوجود واحد لا تعدد فيه، ولم يفرقوا بين الواحد بالعين، والواحد بالنوع، فإن الموجودات مشتركة في مُسَمَّى الوجود، ولكن ليس وجودُ هذا وجودَ هذا. والقدر المشترَك هو كُلِّيٌّ، والكلي المطلَق لا يوجد كليًا مطلقًا إلا في الأذهان، لا في الأعيان، بل كل موجود من المخلوقات له وصف يختص [به] لا يشاركه فيه غيره في الخارج، وأنقص المراتب عند هؤلاء مرتبة أهل الشريعة ـ ثم قال: وهم متأهلون للخيال، معظمون له، ولاسيما ابن عربي منهم، ويسميه: أرض الحقيقة، ولهذا يقولون بجواز الجمع بين النقيضين[2]، وهو من الخيال الباطل، وقد علم المعتنون

---

(١) يقول ابن خلدون في مقدمته ص ٤٤٠ عن علم الحروف: «حدث هذا العلم في الملة بعد صور منها، وعند ظهور الغلاة من المتصوفة، وزعموا أن الكمال الأسمائي مظاهره أرواح الأفلاك والكواكب، وأن طبائع الحروف وأسرارها سارية في الأسماء، فهي سارية في الأكوان على هذا النظام، تعددت فيه تآليف البوني وابن عربي وغيرهما» ويعرف طاش كبري زادة هذا العلم في مفتاح السعادة ص ٤١٨جـ٢ط الهند: (هو علم باحث عن كيفية تمزيج الأعداد، أو الحروف على التناسب والتعادل، بحيث يتعلق بواسطة هذا التعديل أرواح متصرفة تؤثر في القوابل حسب ما يراد ويقصد من ترتيب الأعداد والحروف وكيفياتها» وانظر ص٦٨ من كتاب (نقض المنطق) لابن تيمية. ومازال كثير منهم يهول بهذه الأساطير يمدونها شركًا لمال يتيم يراد استلابه، أو عرض يبتغي استلابه.

(٢) قولهم بهذا الخبل راجع إلى إيمانهم بوحدة الوجود، حتى زعموا أن ذات الإله: جامعة بين النقيضين، وبين الضدين، وأن هذا الجمع أول مقوماتها وأبين خصائصها، قال الجيلي في كتابه الإنسان الكامل ص ٦٩جـ١: «الألوهية في نفسها تقتضي شمول النقيضين، وجمع الضدين بحكم الأحدية» هذا لإيمانهم بأنه سبحانه عين كل شيء وكل معلوم.

بحالهم من علماء الإسلام كالشيخ عز الدين بن عبد السلام، وابن الحاجب وغيرهما: أن الجن والشياطين تمثلت لهم، وألفت كلامًا يسمعونه، وأنوارًا يرونها[1]، فيظنون ذلك كرامات، وإنما هي أحوال شيطانية، لا رحمانية وهي من جنس السحر. ولقد حكى سعيد الفرغاني في شرح قصيدة ابن الفارض أن رجلاً نزل دجلة، ليغتسل لصلاة الجمعة، فخرج من النيل، فأقام بمصر عدة سنين، وتزوج، وولد له هناك، ثم نزل ليغتسل لصلاة الجمعة، فخرج من دجلة فرأى غلامه ودابته والناس لم يصلوا بعد الجمعة، ومن المعلوم لكل ذي حسّ أن يوم الجمعة ببغداد ليس بينه وبين يوم الجمعة بمصر يومٌ فضلاً عن أكثر منه ولا الشمس توقفت عدة أعوام في السماء، وإنما هو الخيال، فيظنونه لجهلهم في الخارج[2]، ثم قال[3]: وحقيقة قولهم: إن ما ثم وجودا

---

(١) جرى مثل هؤلاء الشيوخ على تصديق ما يهرف به خيال الصوفية من رؤية أنوار وسماع كلام، ثم يحاولون تعليل هذا الباطل بغير علته الحقة، فيزعمون أن ذلك النور والكلام تهاويل جن تجسدت لهم، وخيالات شياطين تبدت في صور إنسية. هذا ليردوا إفك الصوفية فيما زعموه من رؤية نور الله وسماع كلامه. والحق أن الصوفية لم يروا نورًا، ولم يسمعوا كلامًا، والحق أنهم كاذبون كاذبون مفترون، يدعون هذا بغية استعباد المخابيل والمفاليك لشهوات الجريمة التي تتلمظ على أنيابهم، وينزو قيحها من صدورهم. وفي الكتاب والسنة ما يشهد بكذبهم، ويدمغهم بأنهم أحلاس إفك وبهتان، فموسى ﷺ خر صعقًا حين تجلى الله للجبل، وربنا سبحانه ما يكلم إلا رسله وحيًا، أو من وراء حجاب، أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء، أفهؤلاء الدعاة إلى الإثم والوثنية من رسل الله؟ أتراهم أقوى روحًا من موسى ﷺ؟ ألا فلنقتص الكذب والزور نفسه، أما تصديق دعاويهم، ثم تعليلها بمثل ما عللها به هؤلاء الشيوخ ففيه مشايعة للباطل في بعض ما يفتريه، ومساندة له في أدنأ بهتانه. فالله سبحانه يقول عن الشيطان: ﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ (سورة الأعراف: ٢٧)، والرسول الكريم ما رأى الجن وهم يستمعون القرآن، وعذر الشيوخ أنهم كانوا يعيشون في عصر امتلأ بهذه المؤتفكات، حتى صارت - وكأنها من مسلمات البديهة - فردوا الباطل بما مكن لهم عصرهم أن يردوه به.

(٢) أي: يظنون ما تخيلوه حقيقة واقعة، وما ظنهم هذا عن جهل، وإنما هو عن خيال يمس الكلب فيخال نفسه أسداً، والشيطان فيظن نفسه ملاكًا.

(٣) أي: ابن النقاش.

{٤٧} إلا هذا العالَم، لا غير، كما قاله فرعون، لكن هم يقولون: إن العالم هو الله، وفرعون أنكر وجود الله ـ ثم قال ـ: قيل لبعض أكابرهم: ما[١] الفرق بينكم وبين النصارى؟ قال: النصاري خصصوا[٢]، وهذا موجود في كلام ابن عربي وغيره، ينكرون على المشركين تخصيصهم عبادة بعض، والعارف عندهم يعبد كل شيء[٣] ـ ثم قال: ومن المعتقدين الحلول الخاص طائفة من أتباع العبيدية[٤] الباطنية الذين ادعوا أنهم علويون ـ، ثم قال: وقد اعتقدت طائفة منهم الإلهية في الحاكم[٥] كالدريزية أتباع شهنكير[٦] الدرزي الذي كان من موالي الحاكم، وأضل أقوامًا بالشام في وادي تيم الله بن ثعلبة» انتهى.

---

(١) في الأصل: لما.

(٢) أي جعلوا عيسى وحده ربًا وإلهًا، وكان الواجب ـ هكذا يفتري الزنادقة ـ أن يتخذوا من كل شيء ربًا وإلهًا، لأن الإله عين كل شيء!!.

(٣) نص ابن عربي: «والعارف المكمل من رأى كل معبود مجلي للحق يعبد فيه» ص١٨٥، ط الحلبي.

(٤) نسبة إلى عبيد الله أبي محمد سعيد بن الحسين بن عبد الله القداح من سلالة ميمون، وعبيد هو إمام الشيعة الإسماعيلية في عصره، ومؤسس الدولة الفاطمية ولد سنة ٢٦٠هـ وآلت إليه زعامة الإسماعيلية سنة ٢٨٠هـ، وتوفي وله من العمر نحو ثلاث وستين سنة.

(٥) منصور بن عبد العزيز بن المعز الفاطمي، ادعى الإلهية، وكان غدورًا سفاكًا للدماء، تثير تصرفاته المتناقضة دهشة بالغة، تدفع إلى الظن بأنه كان نهب لوثة عقلية جامحة. ولد سنة ٣٧٥هـ ولقي مصرعه سنة ٤١١هـ على يد عبدين لابن دواس، تنفيذًا لمؤامرة دبرتها له أخته ست الملك للخلاص منه، وما زال أتباعه الدروز حتى اليوم ينتظرون رجعته؛ إذ يؤمنون بأنه لم يقتل، وإنما اختفى وسيعود مرة ثانية.

(٦) يعني محمد بن إسماعيل المعروف بأنوشتكين البخاري، أقوى رسل حمزة بن علي بن أحمد الزوزني المؤسس الحقيقي لمذهب الدروز، وقد شرح أنوشتكين أصول مذهبه القائم على أساس تأليه الحاكم في رسالة قدمها إلى هذا فقربه واصطفاه فقوي واشتد نفوذه، وقد سمي أنوشتكين نفسه بسند الهادي وحياة المستجيبين، وتذهب بعض الروايات إلى أنه قتل سنة ٤١٠هـ، وأخرى إلى أنه فر إلى الشام، وهناك نشر دعوته، فكانت هي نحلة الدروز الضالة.

رأي ابن هشام، وابن خلدون

ومنهم العلامة جمال الدين عبد الله بن يوسف بن هشام[(١)] صاحب المغني وغيره من المصنفات البديعة، وكتب على نسخة من كتاب الفصوص:

هذا الذي بضلاله ■■■ ضلَّت أوائل مع أواخر
من ظن فيه غير ذا ■■■ فلينأ عني، فهو كافر

هذا كتاب فصوص الظُّلَم، ونقيض الحِكَم، وضلال الأمم، كتاب يعجز الذم عن وصفه، قد اكتنفه الباطل من بين يديه ومن خلفه، لقد ضل مؤلفه ضلالاً بعيدًا، وخسر خسرانًا مبينًا؛ لأنه مخالف لما أرسل الله به رسله، وأنزل به كتبه، وفطر عليه خليقته» انتهى. وقال العلامة قاضي القضاة أبو زيد عبد الرحمن بن خلدون[(٢)]: «إن طريق المتصوفة منحصر في طريقين[(٣)]، الأولى: وهي طريقة السنة، طريقة سلفهم الجارية على الكتاب والسنة، والاقتداء بالسلف الصالح من الصحابة والتابعين[(٤)].

---

(١) ولد سنة ٧٠٨هـ وتوفي سنة ٧٦١ هـ. يقول عنه ابن خلدون: «ما زلنا ـ ونحن بالمغرب ـ نسمع أنه ظهر بمصر عالم بالعربية يقال له: ابن هشام، أنحى من سيبويه».

(٢) ولد سنة ٧٣٢هـ وتوفي سنة ٨٠٨هـ، تولى قضاء المالكية بمصر، يقول عنه المستشرق ديبور في كتابه (تاريخ الفلسفة في الإسلام): «مفكر متزن يحارب صناعة النجوم بالأدلة العقلية، وكثيرًا ما يعارض النزعة الصوفية العقلية عند الفلاسفة بمبادئ الدين».

(٣) صوابها: طريقتين. وهكذا ذكرت في العلم الشامخ الذي وردت فيه هذه الفتوى.

(٤) ما كان من الصحابة، ولا من التابعين صوفي، ولم يسم واحد منهم بهذا الاسم المرادف للزنديق، والصوفية منذ نشأوا وحيث كانوا عصابة تنابذ الكتاب والسنة، لا يفترق في هذا سلفهم عن خلفهم في هذا، غير أن بعضهم كان أشد جرأة من بعض في البيان عن زندقته، ودليلنا ما سجله التاريخ الحق، وما خلفوه هم في كتبهم من تراث وثني طافح بالمجوسية الغادرة، فتقسيم ابن خلدون هذا مجاف للصواب، ولكنه خدع كغيره فيما يشقشق به الصوفية من زور النفاق، إذ يزعمون كاذبين أن طريقهم طريق الكتاب والسنة!! وابن خلدون نفسه يقر بأنه بدعة، إذ يقول في مقدمته عن التصوف: «هذا العلم من العلوم الشرعية الحادثة في الملة! ثم هل في الكتاب والسنة أن قبر الكرخي يقسم به على =

والطريقة الثانية: وهي مشوبة البدع، وهي طريقة قوم من المتأخرين، يجعلون الطريقة الأولى وسيلة إلى كشف حجاب الحس لأنها من نتائجها، ومن هؤلاء المتصوفة ابن عربي وابن سبعين، وابن برجان وأتباعهم ممن سلك سبيلهم، ودان بنحلتهم[١]، ولهم تواليف كثيرة يتداولونها مشحونة بصريح [الكفر][٢] ومستهجن البدع، وتأويل الظاهر لذلك على أبعد الوجوه، وأقبحها مما يستغرب الناظر فيها من نسبتها إلى الملة، أو عدها في الشريعة، وليس ثناء أحد على هؤلاء حجة، ولو بلغ المثني ما عسى أن يبلغ [من][٣] الفضل؛ لأن الكتاب والسنة أبلغ فضلاً، أو شهادة من كل أحد[٤].

= الله فيستجيب، ويستشفي به فيهفو الشفاء، وأن الصوفية هم غياث الخلق؟ كما زعم القشيري في رسالته، وهو من سلف الصوفية المتقدمين، وأقلهم شناعة في إفك التصوف، أجاء في السنة أن العزوبية تباح لهذه الأمة بعد المائتين من الهجرة، وأن تربية الجرو أفضل من تربية الولد كما زعم أبو طالب المكي في قوته، ونسب فريته المانوية إلى الرسول ﷺ؟ أفيها أن الدين شريعة وحقيقة، وأن هذه أفضل من تلك؟ أفيها أن المريد لابد له من شيخ، وأن من لا شيخ له فشيخه الشيطان؟ أفيها أن قلب المريد بيد شيخه يصرفه بهواه؟ أفيها أن غضب الشيخ من غضب الله؟ أفيها أن المريد يجب أن يكون بين يدي شيخه كجثة الميت بين يدي الغاسل؟ أفيها أن الولي أفضل من النبي؟ أفيها أن العارف يسمع كلام الله كما سمعه موسى؟ أفيها أن الذريات تسبح بحمد الأولياء، وأن هؤلاء يفقهون تسبيحها كما زعم الغزالي؟ تلك بعض مفتريات سلف الصوفية الأقدمين، بهتوا بها الحق والهدى منذ سمي أول رجل منهم بالصوفي في منتصف القرن الثاني للهجرة وبعده، وتلك بعض ضلالات أولئك الأول الذين يزعم لهم ابن خلدون ـ وغيره ـ أن طريقهم مؤيد بالكتاب والسنة!! أفتنسم على روحك مما نقلته عنهم نسمات حق، أو عبير هدى؟ كلا بل إنه يحموم كفر ومجوسية، ألا فلنقل الحق: ما من صوفي إلا وهو يسلك طريق الشيطان وحده من سلف ومن خلف، والتقسيم الصحيح للصوفية أن يقال: إنه قسمان: عملي ونظري، وأن هذا وليد ذاك، فالنظرية وليدة التطبيق، ثم نبين خصائص كل من النوعين، مقارنين بينهما وبين الحق من الكتاب والسنة، وسترى بعد هذه المقارنة أن التصوف في نشأته وتطوره في سلفيته وخلفيته لا ينتسب إلى الإسلام برحم: دانية، أو نائية.

(١) في الأصل بتخلقهم، والتصويب من العلم الشامخ.

(٢)،(٣) ساقطتان من الأصل، وأثبتهما عن العلم الشامخ.

(٤) هذا قول يحمده الحق لابن خلدون.

وأما حكم هذه الكتب المتضمنة لتلك العقائد المضلة، وما يوجد من نسخها بأيدي الناس مثل: (الفصوص) و(الفتوحات المكية) لابن عربي، و(البد) لابن سبعين، و(خلع النعلين) لابن قسي، {(وعين اليقين) لابن برجان، وما أجدر الكثير من شعر ابن الفارض والعفيف التلمساني[١] وأمثالهما أن يلحق بهذه الكتب، وكذا شرح ابن الفرغاني للقصيدة التائية من نظم ابن الفارض}[٢]، فالحكم في هذه الكتب وأمثالها إذهاب أعيانها متى وجدت بالتحريق بالنار، والغسل بالماء حتى ينمحي[٣] أثر الكتاب؛ لما في ذلك من المصلحة العامة {٤٨} في الدين بمحو العقائد المختلفة، فيتعين على ولي الأمر إحراق هذه الكتب دفعًا للمفسدة العامة، ويتعين على من كانت عنده التمكين منها للإحراق».

رأي الشمس العيزري

ومنهم العلامة شمس الدين محمد العيزري الشافعي في كتاب سماه (الفتاوى المنتشرة)، قال عن الفصوص: «قال العلماء: جميع ما فيه كفر؛ لأنه دائر مع عقيدة الاتحاد[٤]، وهو من غلاة الصوفية المحذَّر من طرائقهم، وهم شعبان[٥]: شعب حلولية يعتقدون حلول الخالق في المخلوق، وشعب اتحادية لا يعتقدون تعددًا في الوجود، في زعمهم أن العالَم هو الله، وكل فريق منهم يكفر الآخر، وأهل الحق يكفرون

---

(١) داعر من زنادقة الصوفية، لا يحرم فرجًا، ويبيح نكاح الأم والأخت، ويرى القرآن كله شركًا، وما عنده غير ولا سوى بوجه من الوجوه. هلك سنة ٦٩٠هـ، أما ابن سبعين فمن القائلين بالوحدة المطلقة، ولد بمرسيا سنة ٦١٣هـ، وهلك سنة ٦٦٧هـ بمكة.

(٢) ما بين هذين { } لم يرد في الأصل، وأثبته عن (ص ٥٠٠ ـ من العلم الشامخ) إذ أورد فيه مؤلفه المقبلي نص فتوى ابن خلدون.

(٣) في الأصل: يمتحي. والتصويب من العلم الشامخ.

(٤) صوابها: الوحدة. فهذا هو دين ابن عربي.

(٥) الحق أنهم ثلاثة: حلوليون، واتحاديون، وأهل الوحدة، ولعل العيزري يستعمل الاتحاد في الدلالة على الوحدة أيضًا.

الفريقين. ثم قال: ومنهم ابن الفارض صاحب الديوان - وعد جماعة معه ـ ثم قال: ذَكَرَ هؤلاء بالحلول والاتحاد جماعة من علماء الشريعة المتأخرين: كالشيخ عز الدين ابن عبد السلام، وأبي عمرو بن الصلاح، وابن دقيق العيد، وشيخ الفقهاء الزين الكتنائي، وقاضي القضاة الشيخ تقي الدين السبكي، وحكم بتكفيرهم القضاة الأربعة: البدرُ بن جماعة، والزين الحنفي، والشرف الزواوي، والسعد الحنبلي[١] ـ ثم ذكر كلام الشيخ أبي حيان فيهم من تفسيره البحر[٢] إلى أن قال ـ: وقد انتدب بعض المغالطين من أهل العلم ممن يحسن الظن ببعضهم، ولا صواب معه، وصنَّف تأويلات لنظم السلوك[٣] وتعسف بما لا يصح الأخذ به لقوة ظواهر الألفاظ الخارقة جزمًا لسياج عصمة الديانة، وانتهاك حرمة الربوبية ـ ثم قال ـ: ويُحَوِّم[٤] بظاهر كلامه على أنه هو الله، وأن الله هو، وهذا بهتان قبيح، وكفر صريح ـ ثم قال ـ: وكان ابن الفارض يقول: إنما قتل الحلاج لأنه باح بسره، إذ شرط هذا التوحيد الكَتْمُ»[٥].

رأي لسان الدين ابن الخطيب، والموصلي

ومنهم العلامة لسان الدين محب بن الخطيب الأندلسي المالكي[٦] في كتابه روضة التعريف بالحب الشريف، وأجاد في تقرير مذهبهم، ورد ما شاء، فقال «الفرع

---

(١) تقدم ذكر بعض هذه الفتاوى، وقد أوردها صاحب العلم الشامخ فطالعها فيه من ص٤٩٥ وما بعدها.

(٢) سبق ذكر قول أبي حيان.

(٣) هي (لتائية الكبرى) لابن الفارض.

(٤) لا، بل يسف إسفافًا، ويصرح بهذا غير موار ولا موارب.

(٥) يعني توحيدهم القائم على أساس اعتقاد أن الحق عين الخلق، ويجبن بعض الصوفية عن التصريح المبين بهذا مخافة القتل، ولذا يقول الغزالي عن هذه المرتبة محذرًا لإخوانه الصوفية: إنها سر الربوبية. وإفشاء سر الربوبية كفر، ويقول السهروردي المقتول:

بالسر إن باحوا تباح دماؤهم وكذا دماء العاشقين تباح

(٦) هو ذو الوزارتين مضرب المثل في الكتابة والشعر والطب ومعرفة العلوم ولد سنة ٧١٣هـ بغرناطة، وتوفي سنة ٧٦٦هـ.

الخامس في رأي أهل الوحدة المطلقة ـ ثم قال ـ: وحاصله: أن الباري ـ جلَّ وعلا ـ هو مجموع ما ظهر، وما بطن، وأنه لا شيء خلاف ذلك، وأن تعدد هذه الحقيقة المطلقة والآنِيَّةُ الجامعة التي هي عين كل آنية، والهوية التي هي عين كل هوية[1]. إنما وقع بالأوهام من الزمان والمكان والخلاف والغيبة والظهور والألم واللذة والوجود والعدم. قالوا: وهذه إذا حُقِّقت إنما هي أوهام راجعة إلى أخبار الضمير، وليس في الخارج شيء منها، فإذا سقطت الأوهام صار مجموع العالم بأسره، وما فيه واحداً، وذلك الواحد هو الحق، وإنما العبد مؤلف من طرفي حق وباطل، فإذا سقط الباطل ـ وهو اللازم بالأوهام ـ لم يبق إلا الحق {٤٩} وصرحت بذلك أقوال شيوخهم، فمنه قول ابن أخلي: حق أقام باطلاً ببعض صفاته، وقال الحلاج وابن عربي: وقد تعرض لما به وقع التعدد، وأنه وهم، فالكل واحد وإن كان متفرقًا. فسبحان من هو الكل، ولا شيء سواه الواحد بنفسه، المتعدد بنفسه».

ومنهم الحافظ الرحلة شمس الدين أبو عبد الله محمد الموصلي الشافعي، نزيل دار الحديث بدمشق. فقال: «وفي كلام ابن عربي من الكفر الصريح الذي لا يمكن تأويله شيء كثير يضيق هذا الوقت من وصفه، ومنه تفسير اسمه: الْعَلِيّ بأن قال: الْعَلِيُّ على من؟ وما ثَمَّ إلا هو[2]!! وهو المسمى أبا سعيد {الخزاز}.

رأي البساطي

ومنهم شيخنا علامة زمانه قاضي القضاة شمس الدين محمد بن أحمد البساطي المالكي قاضي مصر. قال في أول كتاب له في أصول الدين في المسألة السادسة في

---

(١) يعني: أنهم يدينون بأن الله سبحانه عين كل ما بطن، وعين كل ما ظهر. فالآنية عندهم هي تحقق الوجود العيني من حيث مرتبته الذاتية، وتدل مواردها على أنها تستعمل في مقابل الماهية: أي المرادفة لمجرد الوجود، وقد سبق تعريف الهوية.

(٢) في الأصل: العلا علا عن من، وليس ثم غيره، والتصويب من الفصوص.

حدوث العالم: «وخالفنا فى ذلك طوائف: الأولى: الدهرية، والثانية: متأخرو الفلاسفة كأرسطو[١]، ومن تبعهم من ضُلاَّل المسلمين كابن سينا والفارابى[٢] ومن حلّى كلامه، وزخرفه بشعار الصالحين كابن عربى وابن سبعين؛ ثم قال فى الكتاب الثاني فى المسألة السادسة فى أنه سبحانه ليس متحدًا بشيء: واعلم أن هذه الضلالة المستحيلة فى العقول سرت فى جماعة المسلمين، نشأوا فى الابتداء على الزهد والخلوة والعبادة، فلما حصلوا من ذلك على شيء صفت أرواحهم، وتجردت نفوسهم، وتقدست أسرارهم، وانكشف لهم ما كانت الشواغل الشهوانية مانعة من انكشافه[٣].

وقد كانت طرق أسماعهم من خرافات النصارى، أنه إذا حل روح القدس فى شيء نطق بالحكمة، وظهر له أسرار ما في هذا العالم، مع تَشَوُّف النفوس إلى المناصب العلية، فذهبوا إلى هذه المقالة السخيفة، فمنهم من صرح بالاتحاد على المعنى

---

(١) أعظم فلاسفة اليونان على الإطلاق، ولد بمدينة استاجيرا سنة ٣٨٤ قبل الميلاد، أستاذه أفلاطون، ومن تلاميذه إسكندر المقدوني. توفي سنة ٣٢٣ قبل الميلاد.

(٢) الفارابي: هو محمد بن محمد بن طرخان بن أوزلغ أبو نصر، يقول عنه ابن خلكان: «أكبر فلاسفة المسلمين، ولم يكن فيهم من بلغ رتبته في فنونه». ولد في وسيج قرية تقع في فاراب من بلاد الترك فيما وراء النهر، حصل علومه في بغداد على يوحنا بن خيلان، ومات في دمشق سنة ٣٣٩هـ عن ثمانين عامًا. أما ابن سينا فولد في أفشنة على مقربة من بخارى سنة ٣٧٠هـ، في بيت تسوده تقاليد فارسية معارضة للإسلام، تقلد الوزارة لشمس الدولة في همدان، وتوفي سنة ٤٢٨هـ وهو أشهر وأكبر فلاسفة عصره.

(٣) ما هذا الذي انكشف لهم؟ لعله صور ما في أذهانهم المخبولة من تهاويل الجنون. ثم إن الإسلام ليس دين رهبانية، ولا زهادة تطوي الذات على نفسها الولهى، حتى تخمد فيها جذوة الحياة الشاعرة، وتخبو وقدات الشعور والإحساس بواجب الدين والنفس والحياة، وهي طريحة الوهم في غيابة كهفها الساهم المظلم الحزين، إنما الإسلام دين العمل والجد، مع الإيمان المشرق والتقوى، وانطلاق النفس في رحاب الوجود ومجاليه، كادحة في سبيل الله، لتحقيق الغاية الكبرى، هي أن يكون الناس أمة واحدة تتجاوب أرواحهم بالإيمان والمحبة، وتتجه مشاعرهم في كل هزة إلى الله وحده، وتتوحد بواعثهم وغاياتهم في عبادة الله رب العالمين، معتصمة بالحق والهدى من الكتاب والسنة.

الذي قالته النصارى[1]، وزادوا عليه أنهم لم يقصروه على المسيح، كما ذهب إليه الغلاة من الروافض في علي ﷺ، وكذا ما ذهب إليه جماعة في خاتم الأولياء[2]

(١) يرى اليعاقبة من النصارى أن اللاهوت والناسوت يؤلفان في المسيح طبيعة واحدة، ويزعمون أن الكلمة انقلبت لحمًا ودمًا، فصار الإله هو المسيح، وهو الظاهر بجسده، بل هو هو، فإرادة الله وفعله هما إرادة المسيح وفعله، هذا على حين كان الملكانيون يميزون بين طبيعتين في المسيح اللاهوت والناسوت، ويزعمون أن مريم ولدت إلهًا أزليًا، وأن القتل والصلب وقع على اللاهوت والناسوت، وأطلقوا اسم الأبوة على الله، والبنوة على المسيح، أما النسطوريون فكانوا أكثر تدقيقًا من الملكانيين في التمييز بين الطبيعتين، فأثبتوا للمسيح خصائص الإنسان في الوجود والإرادة والفعل، مميزين بين هذا وبين ما للعنصر اللاهوتي، زاعمين أن الله سبحانه ذو أقانيم ثلاثة: الوجود والعلم والحياة، ويدعون أن هذه الأقانيم ليست هي زائدة على الذات، ولا هي هو «قارن بين هذا وبين رأي الأشاعرة في الصفات»، وأن الكلمة اتحدت بجسد عيسى لا على طريق الامتزاج كالملكانية، ولا الظهورية كاليعاقبة، ولكن كإشراق الشمس على بللور أو النقش في الخاتم.. هذا معتقد النصارى، ولعلك موقن بعده أن الصوفية أشد إيغالاً في الكفر من هذا، فكل ما نسبته المسيحية المفلسفة إلى المسيح من ربوبية وإلهية وبنوة نسبته الصوفية إلى كل شيء، قالت المسيحية: إن الله هو المسيح ابن مريم، وقالت الصوفية: إن الله هو عين كل شيء. قالت الأولى: إن الله ثالث ثلاثة، وقالت الصوفية: إن الله هو ما لا يحصى ولا يتناهى من الأبدان والعناصر، فأيهما أدخل في الكفر الخبيث من الآخر؟.

(٢) يدين الصوفية بأن النبوة أعلى من الرسالة، وبأن الولاية أعلى من النبوة، فيكون الولي عندهم أسمى مقامًا من النبي والرسول، ولذا يقول ابن عربي:

مقام النبوة في برزخ   فويق الرسول، ودون الولي

واستدلوا على إفكهم بأساطير: **أولاً**: الولي يعلم الشريعة والحقيقة، خبير بالظاهر والباطن، والنبي والرسول لا يعلمان سوي الشريعة أو الظاهر فحسب.
ثانيًا: الرسالة والنبوة محددتان بالزمان والمكان. ولذا تنقطعان، وقد انقطعتا فعلاً، أما الولاية فلا تحدها مكانية ولا زمانية، بل هي صنو الديمومة والسرمدية والانطلاق. **ثالثًا**: الرسول لا يستمد معرفته عن الله مباشرة، بل بواسطة ملك يبلغه الوحي الإلهي، أما الولي فيستمد الحقيقة فيضًا مباشرًا من باطن الحقيقة المحمدية: أي ذات الله مع التعين الأول. **رابعًا**: أفضل أسماء الله هو الولي، ولك موجود هو اسم إلهي تعين في صورة هذا الموجود، فيكون الموجود الذي تعين فيه الله باسمه الولي أفضل من الذي تعين فيه باسمه الرسول أو النبي، ولما كان للنبيين خاتم، فكذلك للأولياء خاتم، وهو يستمد فيوضات علم الحقيقة مباشرة عن الروح المحمدي، وهو أشبه ما يكون بالعقل الأول عند أفلوطين، أو بالكلمة في المسيحية المفلسفة. =

عندهم من الحلول، ولهم فى ذلك كلمات يعسر تأويل كلها لمن يريد الاعتذار عنهم، بل منها ما لا يقبل التأويل، ولهم فى التأويل خلط وخبط، كلما أرادوا أن يقربوا من المعقول ازدادوا بعدًا، حتى أنهم استنبطوا قضية حلت لهم الراحة، وقنعوا فى مغالطة الضرورة بهـا بالمغيب، وهي أن مـا هم فيه، ويزعـمونه وراء العـقل، وأنه بالوجدان يحصل، ومن نازعهم مـحجوب مطرود عن الأسرار الإلهيـة، وفى هذا كفاية. والله أعلم» انتهى.

البساطي وشرحه للتائية

وقد قام فى زماننا ناس حدثان الأسنان سـفهاء الأحلام، أرادوا [٥٠] إظهار هذا المذهب، ثم أخـزاهم الله تعالى، فَـقُلْقلُوا كل مُقَلْقَل، وكـان مما قالوه: أن الشـمس البســاطي هذا منهم، وأنه شرح تائية ابن الـفارض، فاستَـبْعِد هذا منه، وإن كـان ما

= وإليك مـا يذكره ابن عـربي عن خصـائص الولاية وخاتم الأوليـاء: «واعلم أن الولاية هي الفلك المحيط العام، ولهذا لم تنقطع، وأما نبوة التشـريع والرسالة فمنقطعة، والرسول من حيث هو ولي أتم من حيث هو نبي ورسول، فـمرجع الرسول والنبي إلى الولاية والعلم»، ثم يقول عن علم الحـقيقة: «ما يراه أحد مـن الأولياء إلا من مشكاة الولي الخاتم، حـتى إن الرسل لا يرونه - متى رأوه - إلا من مشكاة خاتم الأولياء»، ثم يقول عن الخـاتم: «وخاتم الأولياء الولي الوارث الآخذ عن الأصل المشاهد للمراتب». انظر (ص ١٣٤، ص٦٢، ص٦٤ - من فصوص الحكم - ط الحلبي).

ولعل أول من زمزم لهم بهذه الأسطورة الكهنوتية: هو محـمد بن علي بن الحسن بن بشر المعروف بالحكيم الترمذي - وهو غيـر صاحب السنن - وألف فيها كتابا سماه (خـتم الولاية) زعم فيه أن خاتم الأوليـاء يكون في آخـر الزمان، وأنه أفـضل ممن تقـدمـه من الأولياء، ومن أبي بـكر وعمـر، ومن خصائـصه عند اشتغـاله بالأعمال القلبيـة أكثر من اشتـغاله بالعبادة، ولذا زعم الحكيم الـترمذي: أن الولاية أفضل من النبوة، ووضوح الباطل في هذه الأساطير بين لا يحتاج إلى بيان. وقد رد الإمام ابن تيمية عليـها في الجزء الرابع ص٥٧ مجموعة الرسائل والمسـائل. هذا دين الصوفية في الولاية والولي وخاتمهم، ومنه توقن: لِمَ يضيـف الصوفية إلى أوليائهم قدرة الله وعلـمه وحكمته وربوبيته وإلهـيته؟ وتوقن: لِمَ نحـارب هذه الولاية المزعومة؟ وسنظـل بعون الله ندمر هذه الطواغـيت والأصنام، داعين الناس إلى أن يكونوا من أوليـاء الله الذين وصفـهم رب العالمين: ﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ (سورة يونس: ٦٢-٦٣).

قالوه صحيحًا، فقد قضى على نفسه فى كلامه هذا، بأنه خرج من دائرة العقل، ثم يسَّر الله ـ وله الحمد ـ الاطلاع على الشرح المنسوب إليه، فإذا هو بريء مما فَرَقُوه به كما كنت أظن، فرأيته قال فى أوله:

«أما بعد: فهذا كتاب شرح قصيدة ابن الفارض، ولباب فتح، وصيدِ لحْنِ [ابن] الفارض على وجه أنّا نُبَيِّن مراده من كلامه بقدر فهمنا لمقصوده منه، ولا يلزمنا صحة ما قاله فى العربية لفظا، أو في الشريعة معنى، أو استحسانا، عقلا أو شرعا أو عرفا» ثم تكلم على الأبيات على وجه يظهر منها حملها على موافقة الشرع ما أمكنه، فإذا عجز صرَّح فى ذلك الموضع بما يليق به من الحكم عليه من غير ثم قرر[1] أمر التسخير، وأن منه ما هو بالمال، ومنه ما هو بالحال، وأن ما هو بالحال مثل تسخير الطفل لأبيه بالقيام فى مصالحه، وتسخير الرعايا للملك بقيامه فى مصالحهم ـ قال: «وهذا كله تسخير بالحال من الرعايا يُسَخّرون [في ذلك] مليكهم، ويسمى على الحقيقة تسخير المرتبة، فالمرتبة حكمت عليه بذلك، فالعالم كله يُسَخِّر بالحال من لا يمكن أن يُطْلَق عليه اسم مُسَخَّر. قال الله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ [فى] شَأْنٍ﴾ (سورة الرحمن: ٢٩).

فكان عدم قوة إرداع هارون بالفعل أن ينفذ فى أصحاب العجل بالتسليط على العجل، كما سُلِّط موسى [عليه] حكمة من الله ظاهرة فى الوجود؛ ليعبد فى كل صورة[2]، وإن ذهبت تلك الصورة بعد ذلك، فما ذهبت إلا بعد ما تَلَبَّستْ عند عابدها بالألوهية، ولهذا ما بقي نوع من الأنواع إلا وعُبِد، إما عبادة تَأَلُّه، وإما عبادة تسخير، فلابد من ذلك لمن عقل، وما عُبِدَ شيء من العالم إلا بعد التَلَبُّس بالرفعة

---

(١) أي ابن عربي.

(٢) يفتري على الله أنه يسخر الناس ليعبدوه في كل صورة، أي ليعبد كل إنسان نفسه وغيره من جماد وحيوان، فإله الصوفية عين كل كائن، وعين كل شهوة، وعين كل جريمة، وعين كل فاحشة.

عند العابد، والظهور بالدرجة فى قلبه، ولذلك تسمى الحق لنا برفيع الدرجات، ولم يقل: رفيع الدرجة، فكَثَّر الدرجات فى عين واحدة، فإنه قضى أن لا يُعْبَدَ إلا إياه في درجات كثيرة مختلفة، أعطت كل درجة مجلى إلهيًا عُبِدَ فيها.

الهوى رب الصوفية الأعظم

وأعظم مجلى عُبِـدَ فيه وأعلاه الهوى، كـما قال: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ (سورة الجاثية:٢٣)، وهو أعظم معـبود، فإنه لا يُـعْبَد شيء إلا بالله، ولا يُعْـبَد هو إلا بذاته»[١]، ثم قال: «والعارف المكمَّل من رأى كل معبود مـجلى للحق يُعْبَد وما قبله، وما بعده مما ادعى فيه أن الله يتحد به، ويتـجلى بصورته من غير حلول، ما نصه[٢]: «ولكن دعوى تجلي الله بصورة مّا مُكَفِّر[٣] بها شرعًا بإجـماع المسلمين والكافرين من آمن به[٤]، وإن لم يكن حلولاً».

رأي ابن حجر والبلقيني وغيرهما

ومنهم شيخنا شيـخ الإسلام حافظ عصره قاضي القضـاة أبو الفضل بن حجر، وشيخه شيخ الإسلام سـراج الدين عمر بن رسلان البلقيني[٥]، فقال فى ترجمة عمر ابن الفارض فى لسـان الميزان بعد أن ذكـر ترجمة الذهبي له بأنه شـيخ الاتحادية وأنه ينعق بالاتحاد الصريح فى شـعره: «وقد كنت سألت شيخـنا سراج الدين البلقيني عن ابن العربي، فـبادر بالجـواب بأنه كافـر، فسألتـه عن ابن الفارض، فـقال: لا أحب

---

(١) ص ١٩٤ فصوص. وبهذا يوقن القارئ أننا لم نتجن على الصوفية فيها.
(٢) مقول قوله قبل: وقال في شرح .
(٣) في الأصل: مكر. والتصويب من الأصل نفسه، إذ ورد فيه هذا النص مرة أخرى.
(٤) أي : من آمن بتجلي الله في صورة ما في الدنيا.
(٥) ولد سنة ٨٠٥هـ، ولي إفتاء دار العدل وقضاء دمشق، ثم عاد إلى القاهرة.

التكلم فيه، فقلت: فما الفرق بينهما، والمهيع واحد؟! وأنشدته من التائية {٥١} فقطع عليّ بعد إنشاد عدة أبيات بقوله: هذا كفر، هذا كفر».

ومنهم الشيخ ولي الدين العراقي وأبوه كما تقدم فى الفص الموسويّ وغيره، ومنهم العلامة برهان الدين السفاقينى صاحب الإعراب، ونظم قصيدة طويلة يتحرق فيها، ويندب أهل الإسلام لهؤلاء الضلال، فقال فيها:

فشيخهم الطائيُّ[١] في ذاك[٢] قدوة ■■■ يرى كلَّ شيءٍ في الوجود هو الحقا[٣]

وكم من غَويٍّ كابن سبعين مثله ■■■ وكُلُّهمُ بالكفر قد طُوِّقوا طوقًا

وكالششتري القونوي، وابن الفارض ■■■ فلا بَرَّد الله ثراهم، ولا أسقى

ومن كفر ابن الفارض بصريح اسمه شيخنا محقق عصره، قاضي القضاة شيخ الإسلام محمد بن علي الغاياتي الشافعي[٤] أخبرنى عنه بذلك الثقة من غير وجه، وأخبرني الثقة عن الشيخ مدين[٥] أنه قال: «التائية هي الفصوص، لا فرق بينهما، وقد كان المذكور رأسَ صوفية عصرنا».

مقتل الحلاج

ومنهم الحافظ عماد الدين إسماعيل بن كثير الدمشقى الشافعي، وقال: «هؤلاء كلهم يقتفون فى مسالكهم هذه طريقة الحسين بن الحلاج الذي أجمع الفقهاء فى زمانه

---

(١) يعني: ابن عربي.

(٢) في الأصل: ذلك. وهو خطأ يختل به وزن البيت.

(٣) أي الله سبحانه.

(٤) ولد سنة ٧٨٥ تقريباً. وتوفي سنة ٨٥٠هـ.

(٥) هو مدين خليفة الأشموني، نسبة إلى أشمون جريس من أعمال المنوفية ولد بها سنة ٧٨١ تقريبًا، وتوفي في ربيع الأول سنة ٨٩٢هـ، يقول عنه السخاوي: «وأما في تحقيق مذهب القوم فهو حامل رايته، والمخصوص بصريحه وإشاراته مع أنه لم يكن يتكلم فيه إلا بين خواصه».

على كفره وقتله، قاله الإمام أبو بكر المازري الفقيه المالكي»، قلت: وما قاله القاضي عياض كما تقدم نقله عنه في مقدمة هذا الكتاب. والله الموفق.

قال: «وقد بسطت سيرته في التاريخ بعد الثلاثمائة، وذكرت صفة قتله، واجتماع الكلمة على تكفيره من العلماء والصوفية العباد، سوى ابن عطاء وابن خفيف، حتى أنشدهما بعضهم من شعره قائلاً: ما تقولان في قول بعض الشعراء:

سبحان من أظهرنا سوتُه[1] ■■■ سرُّ سَنا لاهوته الثاقب

ثم بدا في خَلْقِه ظاهرًا ■■■ في صورةِ الآكلِ والشارب

حتى لقد عاينه خلقُه ■■■ كلحظة[2] الحاجب بالحاجب

فقالا: هذا شعر الزنادقة[3]، فقال: هذا شعر الحسين بن منصور الحلاج، فَلَعَنَا الحلاج، ورجعا عنه» انتهى.

رأي الذهبي

ومن صرح بكفره، وأحسن في بيان أمره حافظ عصره شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، فقال في كتابه (تاريخ الإسلام) بعد خط الحافظ سيف الدين ابن المجد علي الحريري المتصوف: «فكيف لو رأى الشيخ كلام ابن عربي الذي هو محض الكفر والزندقة، لقال: هذا الدجال المنتظر، ولكن كان ابن العربي[4] منقطعًا عن الناس، إنما يجتمع به آحاد الاتحادية[5]، ولا يصرح بأمره لكل أحد، ولم تشتهر

(١) تقرأ بالضم وبالفتح، وهي بالضم أدق في الدلالة على دين الحلاج.

(٢) في الأصل: كخطة، وهو خطأ، صوابه ما أثبته.

(٣) أي من أنشدهما من شعر الحلاج.

(٤) اصطلح أهل المشرق على تسميته بابن عربي، أي من غير آل، تمييزًا له من أبي بكر بن العربي القاضي الفقيه المالكي.

(٥) ابن عربي زعيم وحدة الوجود لا الاتحاد.

كتبه إلا بعـد موته، ولهذا تمادى أمره، فلما كان على رأس السبعـمائة جدد الله لهذه [الأمة] دينها بهتكه وفضيحته، ودار بين العلماء كتابه الفصوص، وقد خط عليه الشيخ القدوة الصـالح إبراهيم بن معـضاد الجعبـري فيمـا حدثني به شـيخنا ابن تيمـية عن التاج[٥٢] البارنباري أنه سمع الشيخ إبراهيم يذكر ابن عربي: كان يقول بقدم العالم، ولا يحرم فرجا، وحكى عنه ابن تيمـية أنه قال لما اجتمع[١] بابن عربي: رأيت شيخًا نجسًا يُكَذِّب بكل كتاب أنزله الله، وبكل نبي أرسله الله»[٢].

رأي ابن تيمية وغيره من العلماء

وقال الإمـام أبو العباس أحـمد ابن تيمـية فى كتـابه (الفرقان بين أوليـاء الرحمن وأولياء الشيطان): «وقد صنـف بعضهم ـ أي أهل الاتحاد ـ كتبًا وقـصائد على مذهبه، مثل قصيدة ابن الفارض المسماة: بنظم السلوك، يقـول فيها ـ وذكر منها عدة أبيات[٣] ـ ثم قال: إلى مثل هذا الكلام ـ أي الدال على الاتحاد ـ، ولهذا كان عند الموت ينشد[٤]:

إن كـان منزلتي في الحب عندكم ▪▪▪ مـا قـد رأيتُ فـقـد ضـيَّـعت أيامي

أُمْنيَّـة ظفـرت روحي بهـا زمنًا ▪▪▪ واليـوم أحسـبـهـا أضـغـاث أحـلام

فإنه كان يظن أنه هو الله، فلما حضرت ملائكة الله لقبض روحه، تبين له بطلان ما كان يظنه»[٥]. وقال فى إفتائه الذي استفتـاه فيه الشيخ سيف الدين عبد اللطيف بن

---

(١) أي ابن معضاد.

(٢) أنظر مجموعة (الرسائل والمسائل ـ جـ٤، ص٧٦)، ففيها نص ما ذكر هنا.

(٣) مما استشهد به ابن تيمية قول ابن الفارض:

لهـا صلواتي بالمقـام أقـيـمـهـا ... واشـهـد فـيـهـا أنهـا لي صلت

كلانا مصل واحـــد ساجـد إلي ... حقيقته بالجمع في كل سجدة

ومـا كـان لي صلى سواي ولم تكن ... صلاتي لغـيـري في أدا كل ركعة

(٤) أي ابن الفارض.

(٥) انظر (ص٨٣ وما بعدها من الفرقان ـ ط١٣٦٦هـ)، (ص٧٦، جـ٤ ـ مجموعة الرسائل والمسائل).

بلبان السعودي، بعد أن حكى جملة من أقوال ابن عربى صريحة فى الكفر: «فإن صاحب هذا الكتاب المذكور الذى هو فصوص الحكم، وأمثاله مثل صاحبه القونوي[١] - يعنى صدر الدين - والتلمساني وابن سبعين، والششتري وابن الفارض وأتباعهم، مذهبهم الذي هم عليه أن الوجود واحد، ويسمون أهل وحدة الوجود، ويدعون التحقيق والعرفان، وهم يجعلون وجود الخالق عين وجود المخلوقات، فكل ما تتصف به المخلوقات من حسن وقبح ومدح وذم إنما المتصف به عندهم عين الخالق[٢]، وليس للخالق عندهم وجود مُبَاينٌ لوجود المخلوقات منفصل عنها، بل عندهم ما ثَمَّ غير أصلاً للخالق ولا سواه فَعُبَّاد الأصنام لم يعبدوا غيره عندهم، لأنه ما عندهم له غير وأما العلامة ابن دقيق العيد فذكر أنه سمع عز الدين بن عبد السلام يقول فى ابن عربي: شيخ سوء كذاب»، وممن حط عليه وحذر منه الشيخ القدوة إبراهيم الرقي[٣]، ثم ذكر جماعة ممن تقدم ذكرهم فى إفتائهم بأن كتابه الفصوص فيه الكفر الأكبر.

وقد ذكر ابن أبي حجلة أيضًا عن غير هؤلاء ممن كفَّر هذه الطائفة من علماء الإسلام وذكر فى كلام كل منهم في إبطال هذا المذهب ما لا لبس فيه، وفيما ذكرته مقنع، وذكر الحافظ تقي الدين الفاسي[٤] فى كتابه فيه: «ممَّن كفره الإمام أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الحضري ابن خلدون قاضي المالكية بمصر، وقال فى

---

(١) محمد بن إسحاق من أهل الوحدة. هلك سنة ٦٧٣هـ.

(٢) قال ابن عربي في الفصوص: «فالعلي لنفسه هو الذي يكون له الكمال الذي يستغرق به جميع الأمور الوجودية والنسب العدمية، بحيث لا يمكن أن يفوته نعت منها، وسواء كانت محمودة عرفاً وعقلاً وشرعا، أو مذمومة عرفاً وعقلاً وشرعاً، وليس ذلك إلا لمسمى الله تعالى خاصة» ص ٧٩ فصوص. فما ينسبه ابن تيمية إليهم صدق وحق في شأنهم.

(٣) ولد سنة ٨١٢هـ وتوفي سنة ٨٨٤ قال عنه السخاوي: ونعم الرجل كان رحمه الله وإيانا.

(٤) محمد بن أحمد بن علي. ولد سنة ٧٧٥هـ بمكة، وتوفي سنة ٨٣٢هـ.

فتوى ذكرها[١] فيه وفي أضرابه: فيتعين على ولى الأمر إحراق هذه الكتب دفعًا للمفسدة العامة[٢].

ومما ذكره الفاسي أيضًا من مكفريه: الإمامان رضيُّ الدين أبو بكر بن محمد بن صالح[٥٣] الجِبْلّي المعروف بابن الخياط[٣] الشافعي مدرس المعينية بتعز، ومفتي تلك النواحي، والقاضي شهاب الدين أحمد بن علي الناشري[٤] الشافعي مفتي زبيد، وفاضل اليمن شرف الدين إسماعيل بن أبي بكر المقري[٥] الشافعي، قال: «وبيَّن من حال ابن عربي ما لم يبينه غيره»، وقال: وأما من أثنى على ابن عربي، فلفضله وزهده، وإيثاره، واجتهاده[٦] فى العبادة، ولم يعرفوا ما في كلامه من المنكرات، لاشتغالهم عنها بالعبادات.

---

(١) سبق ذكر هذه الفتوى.

(٢) في هامش الأصل جاء ما يأتي: «قلت: رأيته مصرحًا به في كتابه ـ يعني ابن خلدون ـ (عيون العبر)، و(ديوان المبتدأ [والخبر])، وفصل هناك تفصيلاً زائدًا، وهو كتاب لا نظير له».

(٣) من كبار علماء اليمن ولد سنة ٧٧٢هـ يقول عنه السخاوي: «انتهت إليه رياسة الفقة، وجرى بينه وبين المجد الشيرازي مراجعات، بسبب إنكاره على المشتغلين بكتب ابن عربي»، توفي سنة ٨١١هـ.

(٤) ولد سنة ٧٨٩، وهو من كبار علماء اليمن، ولي قضاء زبيد نيابة عن والده، توفي سنة ٨٥٤هـ.

(٥) ولد سنة ٨٠٨هـ وتوفي سنة ٨٧٥هـ، له قصيدة طويلة يذم فيها الصوفية ويحذر منهم، منها:

حوتهن كتب حارب الله ربها ... وغر بها من غر بين الحواضر
تجاسر فيه ابن العربي واجترا ... على الله فيما قال كل المتجاسر
فقال بأن الرب والعبد واحد ... فربي مربوب بغير تغاير
وانكر تكليفًا، إذ العبد عنده ... إله وعبد، فهو إنكار فاجر
وقال: تجلى الحق في كل صورة ... تجلى عليها، فهي إحدى المظاهر
فسبحان رب العرش عما يقوله ... اعاديه من امثال هذي الكبائر
فكذبه يا هذا تكن خير مؤمن ... وإلا فصدقه تكن شر كافر

ـ وتقع هذه القصيدة في ستة وسبعين بيتًا، نقلها المقبلي في كتابه (العلم الشامخ ـ ص٥٠٤).

(٦) أي فضل لابن عربي؟ إيمانه بأن فرعون هو الله؟ أم عشقه بمكة امرأة زعم لها بعد أنها هي الله؟.

وقال الفاسي أيضًا: «وبعض المثنين عليه يعرفون ما في كلامه من المنكرات، ولكنهم يزعمون أن لها تأويلات، وحملهم على ذلك كونهم تابعين لابن عربي في طريقته، فثناؤهم على ابن عربى مطروح لتزكيتهم معتقدهم».

رأي علاء الدين البخاري

وممن كَفَّر أهل هذا المذهب شيخ مشايخنا نادرة زمانه علاء الدين محمد بن محمد بن البخاري الحنفي، وصنف فيهم رسالة سماها: (فاضحة الملحدين، وناصحة الموحدين)، وبَيَّن أن وحدتَهم الوحدة التى قرر أصلَها بعضُ الفلاسفة، لا التي يسميها أهل الله: الفناء[1]، ونقل عن القاضي عضد الدين تكفيرهم، فإنه قال فى وصفه لابن عربي: «يحكى عنه أنه كان كذابًا حشاشًا كأوغاد الأوباش»، فقد صح عن صاحب كتاب (المواقف) عضد الملة والدين، أعلى الله درجته فى عليين، أنه لما سئل عن كتاب الفتوحات لصاحب الفصوص حين وصل هنالك قال: «أفتطمعون من مغربي يابس المزاج بحر[2] مكة، ويأكل الحشيش شيئًا غير ذلك؟ وقد تبعه ـ أى ابن عربي ـ فى ذلك ابن الفارض حيث يقول: أمرني النبي ﷺ بتسمية التائية: نظم السلوك!! إذ لا يخفى على العاقل أن ذلك من الخيالات المتناقضة الحاصلة من الحشيش؛ إذ عندهم أن وجود الكائنات هو الله تعالى، فإذن الْكلُّ هو الله، لا غير، فلا نبيَّ، ولا رسولَ، ولا مُرْسَل إليه، ولا خفاء فى امتناع النوم على الواجب، وفى امتناع افتقار الواجب إلى أن يأمره النبي بشيء فى المنام، لكن لما كان لكل ساقطة لاقطة، ترى طائفة من الجهال ذلت أعناقهم لها، خاضعين أفرادًا وأزواجًا، وشرذمة

---

(١) هذا اصطلاح صوفي ابتدعه الضالون تمهيداً لتقرير وحدة الوجود، وظني أن أول من تكلم به هو طيفور بن عيسى البسطامي، فكيف يكون هذا من تسمية أهل الله؟ وما قرر في مفهومه الصوفي الكتاب ولا السنة، ولا تكلم به صحابي ولا تابعي.

(٢) كذا بالأصل: ولعلها: حرم مكة.

من الضلال يدخلون في فسوق الكفر بعد الإيمان، زمرًا وأفواجًا، مع أنهم يرون أنه اتخذ آيات الله، وما أنذروا به هزوًا، وأشرك جميع الممكنات ـ حتى الخبائث والقاذورات ـ بمن لم يكن له كفوًا أحد».

تحقيق معنى: الكافر والملحد والزنديق والمنافق

وقال في آخر رسالته: «إنهم يسمون كفرة وملاحدة وزنادقة، وذلك أن الكافر اسم لمن لا إيمان له، فإن أظهر الإيمان من غير اعتراف بنبوة النبي ﷺ خص باسم المنافق، دون الزنديق؛ لأن الله تعالى لم يسم الذين نافقوا [٥٤] في عهد رسول الله ﷺ زنادقة، فدروز[1] الشام ـ على ما تشهد به كتبهم الملعونة ـ إنما يظهرون الإيمان، ولا يعترفون بنبوة النبي عليه الصلاة والسلام، فهم مباحِيُّون منافقون، لا زنادقة على ما يتوهم ذلك؛ لعدم التفرقة بين المنافق والزنديق، وإن طرأ كفره بعد الإيمان خص باسم المرتد؛ لرجوعه عن الإيمان، وإن قال بإلهين أو أكثر خص باسم المشرك؛ لإثباته الشريك في الألوهية، وإن كان متدينًا ببعض الأديان والكتب المنسوخة خص باسم الكتابي، كاليهودي والنصراني، وإن كان يقول بقدم الدهر، واستناد الحوادث خُصَّ باسم الدهري، وإن كان لا يثبت الصانع خص باسم المعطِّل، وإن كان مع اعترافه بنبوة النبي ﷺ، وإظهار شعائر الإسلام، يتبطن عقائد هي كفر بالاتفاق خص باسم الزنديق، وهو في الأصل منسوب إلى زند[2] اسم كتاب أظهره

---

(١) واضع نحلتهم محمد بن إسماعيل الدرزي، وقد تقدمت ترجمته، والدروز لا يضيفون الألوهية إلا إلى الحاكم، ويدينون برجعته آخر الزمان، وينكرون الأنبياء والرسل جميعًا، وينكرون أصول الإسلام والنصرانية واليهودية، ويبغضون في الباطن جميع أبناء الأديان الأخرى، ولاسيما المسلمين، ويستبيحون دماءهم وأموالهم، ويفترون أن القرآن من صنع سلمان الفارسي، وهم الآن بالجبل المسمى باسمهم في سوريا، انظر كتاب (الحاكم بأمر الله) للأستاذ محمد عبد الله عنان.

(٢) ليس من وضع مزدك، وإنما هو شرح زرادشت لكتابه هو المسمى أفستا.

مزدك[١] في أيام قباذ، وزعم أنه تأويل كتاب المجوسي الذي جاء به زرادشت[٢] الذي يزعم أنه نبيهم، وإن كان مع تبطن تلك العقائد الباطلة يستحل الفروج، وسائر المحرمات بتأويلات فاسدة، كما يزعم الباطنة والوجودية[٣] خص باسم الملحد. والزنديق في عرف الشرع: اسم لما عرفت[٤]، لا لكل من صدر عنه فعل، أو قول

---

(١) ظهر مزدك بفارس سنة (٤٨٧م)، وهو ثنوي يدين بالنور والظلمة. أما دعوته الاجتماعية فيتحدث عنها الشهرستاني بقوله: «أحل النساء، وأباح الأموال وجعل الناس شركة فيها» وحين اشتدت وطأة بعض الخلفاء العباسيين على المزدكيين فر زعماؤهم إلى أوروبا، وتستطيع بهذا إدراك ما بين المزدكية والشيوعية من صلة، وتعرف المصدر القديم لهذه.

(٢) يزعم الفرس أنه نبي، ولد حوالي سنة ٦٦٠ قبل الميلاد، وقد وضع دينا ليس بجديد كل الجدة، بل أرسى أصوله على أسس من الديانة الفارسية القديمة، ومات حوالي سنة ٥٨٣ ق م. وكتابه الذي يزعم أنه أوحي إليه به يسمى: أفستا، أو أبستاق كما يسميه المسعودي في مروجه، وزرادشت ممن يدينون بأصلين، أحدهما أصل الخير، ويسميه «أهورا مزدا»، والآخر: أصل الشر، ويسميه «أهرمن» ويزعم زرادشت أن بين الأصلين نزاعًا دائمًا، بيد أن الخير سيهزم الشر في النهاية، لذا كانت نزعته تفاؤلية، غير مبالغ في دعوته إلى الزهد، بل أباح التمتع بالطيبات، وفي ديانته ما يوحي بأنه كان يؤمن بالبعث والجزاء على تصور وتصوير خرافيين، ويرى بعض الباحثين أن زرادشت كان موحدًا يؤمن بأن ما في العالم من خير وشر أثران للإله الواحد. انظر (الملل والنحل)، و(مروج الذهب ـ جـ١)، و(الكامل لابن الأثير ـ جـ١)، و(تاريخ ابن خلدون ـ جـ١).

(٣) القائلون بوحدة الوجود.

(٤) ذكر الشهاب الخفاجي في (شفاء الغليل): أن لفظ الزنديق ليس عربيًا، وذكر عن أبي حاتم أنه فارسي معرب «زندكرد» أي عمل الحياة، ثم ذكر كلامًا طويلاً يظهرنا على مدى ما بين أئمة اللغة وغيرهم من اختلاف بين في تحديد مفهوم هذه الكلمة.. والحق أنه ليس في الشرع ولا في اللغة تحديد جامع مانع لمفهومها، والحق أن الزنديق لفظ غامض مشترك، ولم يطلق بمعنى واحد في كل عصر، ولا على قوم بخصوصهم، بل تعددت معانيه، واختلفت إطلاقاته، فنراه أطلق على كل من اعتنق دينًا فارسيًا كالمانويين والزرادشتيين والمزدكيين والديصانيين، أعني على كل ثنوي فارسي، ونراه أطلق على كل ملحد، وكل مبتدع، وكل ماجن من الشعراء وغيرهم. قال بشار يهجو ابن أبي العوجاء:

لا تصلي، ولا تصوم فإن صمت	فبعض النهار صومًا دقيقًا
لا تبالي إذا أصبت من الخمر	عتيقًا الا تكون عتيقًا
ليت شعري غداة حليت في	الجند حنيفًا حليت،أم زنديقًا

يوجب الكفر على ما هو متعارف أهل عصرنا، وقد يتوهم بناء على عدم الشعور بمعنى الحلول والاتحاد، أن الوجودية حلولية، أو اتحادية، وليس كذلك؛ إذ الحلول والاتحاد إنما يكون بين موجودين متغايرين في الأصل، والوجودية يجعلون الله تعالى عين وجود الممكنات، فلا مغايرة بينهما، ولا اثنينية، فلا يتصور ههنا الاتحاد والحلول، بل زندقة أخرى أنجس منهما باطلة ببديهة العقل. إذ القائلون بها يجعلون الله تعالى أمرًا اعتباريًا لا وجود له في الخارج».

بعض مصطلحات الصوفية

وقال[١]: «إن الملاحدة عبروا عن ضلالتهم بعبارات العارفين بالله[٢]، يتسترون بها في زندقتهم، فينبغي الحذر من ذلك، فأرادوا بالفناء نفي حقائق الأشياء، وجعلوها

= وقال أبو نواس: تيه مغن، وظرف زنديق. قال الصولي: «وإنما قال ذلك لأن الزنديق لا يدع شيئًا، ولا يمتنع عما يدعي إليه، فنسبه إلى الظرف لمساعدته على كل شيء وقلة خلافه»، والتأمل في تاريخ الكلمة يلحظ أنها أطلقت أول ما أطلقت على تنوية الفرس، وعلى من أعداهم الفرس بتنويتهم من العرب. وهذا يجعلنا نؤمن بالتطور في تاريخ هذه الكلمة، نؤمن بأنه قصد بها أولاً كل تنوي فارس، ثم توسع بعد هذا في مفهومها، فتعددت تبعًا لهذا التوسع إطلاقاتها، فإنك لتجد صلة قوية بين كل من أطلق عليهم هذا اللفظ بعد، وبين الثنويين: إما في دين، وإما في خلق، وإما في نزعات المشاعر والأحاسيس. والتصوف - بدراسة دقيقة لتاريخه - ما هو إلا امتداد لهذه المؤامرات التي قام بها الزنادقة الأول لإفساد العقائد، فيفسد المسلمون، فلا تكون لهم دولة ولا جامعة، بيد أن الشيطان أوحى إلى أوليائه تسميتها صوفية!! يا للمجوسية تتراءى للمسلمين في وشاح من الربانية، وشفوف من الروحانية العليا في الإسلام، ويا للمسلمين بينهم كتاب الله، ويخدعهم هذا الزيف المجوسي!! انظر (أمالي المرتضى - جـ١)، (شفاء الغليل) للخفاجي، (ضحى الإسلام)، (من تاريخ الإلحاد) للدكتور بدوي.

(١) أي علاء الدين البخاري.

(٢) التسمية بالعارف بدعة صوفية، تخفي وراءها كيدًا خفيًا للشريعة، إذ الغاية عندهم المعرفة وحدها لا العبادة، معرفة أن الحق عين الخلقي. أما الغاية الحقة لكل مسلم، فهي الإيمان الصحيح مع التوحيد الخالص، مع التقوى، وكم من عارف صوفي دينه أساطير، ودعوته مجوسية.

خيالاً وسرابًا على ما هو مذهب السوفسطائية[١]، وبالبقاء ملاحظة الوجود المطلق، وبالوحدة المطلقة كون ما سوى الوجود من الأشياء خيالاً وسرابًا، وكون وجود جميع الأشياء - حتى وجود الخبائث والقاذورات[٢] - إلها، وذلك غير ما أراده العارفون، فإنهم أرادوا بها معاني يصدقها الشرع[٣]، وهم مصرحون بأن كل حقيقة يردها الشرع فهي زندقة، وأنه ليس في أسرار المعرفة شيء يناقض ظاهر الشرع، بل باطن الشريعة يتم بظاهره، وسره يكمل صريحه [٥٥] ولهذا إذا انكشفت على أهل الحقيقة أسرار الأمور على ما هي عليه[٤]، نظروا إلى الألفاظ الواردة في الشرع، فما وافق ما

---

(١) مشتق من الكلمة اليونانية «سوفيا» أي الحكمة، والسوفيست هو الحكيم، وبه لقب رجال هذه المدرسة أنفسهم، ولكنها تطورت معهم، وتغير مدلولها بهم، حتى صارت تدل على المغالطة والتشكيك والمماراة. والصيغة العامة لمذهبهم الفكري إنكار الحقيقة المطلقة، والجزم باستحالة الحكم العام، فالحقائق عندهم اعتبارية كلها، ومقياس الحقيقة هو الإحساس الفردي، فما يراه شخص ما حقًا فهو حق، وإن كان غيره يراه موغلاً في تيه الباطل، وأشهر زعماء هذه المدرسة التي عاشت قبل سقراط «بروتاجوراس، وجورجياس» أما عقيدتهم في الإلهية فيوضحها قول الأول: «لا أستطيع أن أعلم إذا كان الآلهة موجودين، أم غير موجودين»، ونرى شبهًا واضحًا بين السفسطائية والصوفية في المنهج وفي النتائج فالأولون يرون الإحساس الفردي مصدر المعرفة ومقياسها، والآخرون يرون الذوق الفردي، وكلاهما يدين بأن الحقائق اعتبارية.

(٢) نسبة هذا إلى الصوفية ثابتة صادقة.

(٣) ما في الشرع تلك الزمزمات الكهنوتية التي يزعم البخاري أنها من حقائق العارفين، فما في القرآن، ولا في السنة، ولا في قول صحابي، أو تابعي، أو مؤمن ما يسمى: الفناء، البقاء، الوحدة المطلقة، فناء الفناء. ما في الشرع مطلقًا أثارة من هذه بدلائلها الصوفية، اللهم إلا إذا شاءوا وصف القرآن بأنه خلو من المعارف الإيمانية الحقة، أو الرسول والصحابة والتابعين بأنهم غير عارفين. هنالك في الإسلام مرتبة عليا هي الإحسان: وهي «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه، فإنه يراك»؛ فلِمَ يبغض الصوفية هذه المرتبة؟!

(٤) هذا بهتان صوفي، فالذي يعلم ويدرك أسرار الأمور على ما هي عليه هو الله رب العالمين وحده، بيد أن المس الصوفي يجري على لسان العلاء البخاري تهاويل الخرافة والأسطورة.



شاهدوه قرروه، وما خالف أولوه بما يطابق الشرع، كالآيات المتشابهة[١]، ولا يستبعد وقوع المتشابه في الكشف ابتلاء لقلوب العارفين[٢]، كما أن وقوع المتشابه في الشرع ابتـلاء لقلوب الراسـخين، فأراد بالبـقـاء التخـلق بالأخلاق الإلهـيـة، والتَّنَصُّل عن كدورات الصفـات البشرية والفناء عندهم عبارة عن اطمـحلال الكائنـات في نظـرهم مع وجودها، وعن الغـيبة عن نسبـة أفعالهم إليـهم، وكذا الوحدة المطلقة عـبارة عن مشـاهدة الله ـ لا غير ـ من بين الموجـودات لاطمحلالها مع تحـققهـا ووجودها عند

---

(١) في قوله «بما يطابق الشـرع» تلبيس، فالتـأويل إنما ابتدعه أصحـابه، ليجعلوا النقل مطابقًا للعقل، إذ القاعدة عندهم: العقل أصل النقل، والعقل حاكم عـلى النقل، فما لم يرتضى واحد من المؤولة بعضًا من الكتاب والسنة أول هذا الذي لم يرتـضه، أو بتعبيـر أدق: جرده من معانيـه الأصلية الصحـيحة، ووضع له معاني من عنده، حـتى يطابق ـ في زعمه ـ ما يحكم به العـقل!! ولكن عقل من؟! هذا ما نطلب الجواب عنه من المؤولة، وستظل علامة الاستفهام هذه أمام العقل دون أن يحير عنها جوابًا، ثم إنه لم يدن بالتأويل سوى من سمـوهم خلفًا، أما الصحابة والتابعـون والسلف الصالحون فلم ير واحد منهم في آيات الصفـات وأحاديثهـا ما يرعش طمأنينة الإيمان واليـقين الثابت في الأعماق المشـرقة من قلبه، ولـم يصـفها أحد منهم بأنهـا من المتشابه، ولم يؤول أحد منهم شـيئًا منها مطلقًـا، وأمشاج من الزور ما زعمه البخاري هنا، ألا تراه يدين بأن الشريعة لا يحكم عليها حتى بالعقل، بل بما يغيم على النفس من خـواطر الأوهام، ويـدين على الفكر من غـيـوم الأهواء؟! يدين بأن الـكشف ـ وهو ألعن أسطورة ابتدعها الصوفية لمحاربة الكتاب والسنة ـ هو مقياس حقائق الشرع. تقاس بأوهامه يقين الوحي الإلهي، وقيمه السماوية المقـدسة. وأن الكشف هو الذي يحدد لكل حقيقة شرعية مفهـومها وغايتها، أو ما أراده الله منها وبها؟! وهكذا يأبى الخبل الصوفي إلا أن ينطق علاء الدين بهوسه وخرافاته.

(٢) يعرف الصوفـية الكشف بأنه: «الاطلاع على ما وراء الحجـاب من المعاني الغيبـية، والأمور الحقيـقية وجودًا وشـهودًا»، والله سـبحانه هـو القائل: ﴿قُل لاَّ يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ﴾ (سورة النمل: ٦٥)، والبخـاري ـ وهو يرد على الصوفـية، ليبطل مـا يدينون به من الوحدة ـ يتـهاوى في نفس الحمأة، هذا لأنه صوفي، لا يحب أن ينسى ـ وهو يرد على غيره من الصوفية ـ تصوفه هو، لا ينسى طريقتـه التي يود أن يصرف الناس إليـها وحدها. ولكن حـسبنا منه ـ وهو أكـبر صوفي في عـصره ـ اعترافـه الصريح، وحكمه البين على ابن عـربي وابن الفارض بأنهما خـارجان عن حقيـقة الإسلام، والأول شيخهم الأكبر، وكبريتهم الأحمر، والآخر سلطان عاشقهم!!

ظهور أنوار التجليات، كاطمحلال الكواكب مع وجودها عند ظهور نور الشمس في النهار، فإن كان العارف في هذه الحال يرى نفسه، فذلك هو الفناء في التوحيد، وهو مرتبة الخواص، وهو مشوب بكدورة وقصور، وإن غاب مع ذلك عن مشاهدة نفسه وعن أحواله الظاهرة والباطنة وعن ذلك الفناء ـ بحيث لا يشاهد شيئًا غير الله[١] كما لا يشاهد في النهار من الكواكب غير الشمس ـ فذلك هو فناء الفناء في التوحيد، وهو درجة خواص الخواص، فيصير لهم معنى قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ﴾ (سورة القصص: ٨٨) ذوقًا وحالاً، كما أن حظ غيرهم من المؤمنين منه يكون علمًا وإيمانًا، فالذوق نَيْلُ عين تلك الحال بالحصول الاتصافي، والعلم معرفة ذلك بالبرهان، ومأخذه القياس بأن ينظر إلى اطمحلال تلك الكواكب عند إشراق الشمس، فيقاس به اطمحلال وجود الكائنات عند إشراق أنوار التجليات، والإيمانُ قبولُه بالتسامح والإذعان له، ولا يخالف هذا قولهم: إن الطريق إلى المعلوم بالكشف إنما هو العيان، دون البرهان، لأن المراد منا إقامة البرهان على تحقيق الكشف، لا على إثبات المعلوم، فقد عرفت أن معنى الوحدة المطلقة عند العارفين[٢] بعيد عما يريد به الكفرة الوجودية من الفلاسفة، ومن تبعهم ممن يدعي الإسلام، ليتمكن من هدمه عند الضعفاء.

---

(١) هذه هي وحدة الشهود، وهي النبحة الأولى من وحدة الوجود، بل هي المدخل إليها، وسترى البخاري ـ رغم تكفيره للقائلين بوحدة الوجود ـ يدور حولها، ويتسرب في خفية إليها. ولكنه جبان الشطح، مكير الخيال والتصوير.

(٢) ما في الرسل جميعًا، ولا في الأنبياء عامتهم، ولا في الأولياء الصادقين من هو أعرف بحق الربوبية والإلهية من محمد رسول الله ﷺ، وما فيهم من أحد أدى هذا الحق كما أداه، فما جاءنا عنه ﷺ خرافة الوحدة المطلقة الصوفية، أو أنه وصل إلى حال لم يشاهد فيها شيئًا غير الذات الإلهية، والصوفية يعنون بالشهود معاينة الذات، وفناء الكائنات جميعها في هذا الشهود حتى في الليلة التي تجلى الله فيها على عبده بأعظم نعمه، وأراه فيها من آياته الكبرى ليلة الإسراء والمعراج. قال ﷺ لما سئل: هل رأى ربه؟: «نورٌ أنى أراه؟!»، وفيها كان يشهد غير الله: الأنبياء، وجبريل، والجنة، والبيت المعمور وسدرة المنتهى، وغير ذلك، وسمى لنا كل شيء باسمه، فأين منه البيان عن شهود الذات =

أسطورة الكشف

ويروجوّن تلك السفسطة بإحالتها على الكشف، ويتفيهقون بأن مرتبة الكشف وراء طور العقل، وأنت خبير بأن مرتبة الكشف نيلُ ما ليس له العقل ينال، لاَ نَيْلُ ما هو ببديهة العقل محال، وذلك أن الله تعالى خلق العباد وبين لهم سبيل الرشاد، وزينهم بالعقل نورًا يهتدون به إلى معرفته، وحجة توصلهم إلى محجته بالاستدلال على وجود الصانع بالمصنوعات[1]، والنظر فيما يجوز ويستحيل [٥٦] عليه من الأفعال والصفات، وأن إرسال الرسل من أفعاله الجائزة، وأنه قادر على تعريف صدقهم

= فنيت فيها الكائنات؟! ولكن لعل البخاري وأضرابه يفترون أنهم يصلون إلى ما لم يستطع أن يصل إليه خير البشرية وخاتم النبيين!! ثم إنه ﷺ أخبرنا خبر صدق وحق أن أحدًا لن يرى ربه حتى يموت. وكان ﷺ يتجاوب قلبه الطهور المشرق بنور الإيمان الأسمى مع كل حق عليه، فيؤديه أتم وأكمل وأوفى أداء، حق الله سبحانه، حق النفس، حق الحياة، حق الأهل والولد، فيا ترى هل لم يبلغ الرسول الأعظم في الدين والمعرفة مرتبة البخاري وأحلاس الصوفية؟ فما أبان لنا عن البقاء والفناء، وفناء الفناء والوحدة، وما في عمله ولا قوله ما يحدد مفاهيم هذه الأساطير الصوفية. والله سبحانه يذكر لنا أن خليله إبراهيم رأى - منة من الله - ملكوت السموات والأرض، فأين البيان من الخليل عن الفناء وفناء الفناء والوحدة المطلقة؟! وداود عليه السلام في تسابيحه كانت الطير تؤوب معه، والجبال سخرها الله له يسبحن معه بالعشي والإشراق فما جاءنا عنه أنه كان في فناء، أو فناء فناء، أو شهود ذات فنيت فيها الكائنات، بل كان مع ذلك في الحديد يعمل. وربنا العليم بذات الصدور يثني على خير رسله في أسمى مقاماتهم بأنهم عباده المخلصون المتقون المؤمنون الأوابون، لا الذين يشهدون الذات فنيت فيها الكائنات! ويثني على الملائكة بأنهم عباد مكرمون، لا الذائقون حال الوحدة المطلقة، والرسول ﷺ يقول عن الإحسان - أسمى مراتب الإخلاص في العبودية -: **«أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه، فإنه يراك»**، والبخاري وأضرابه يقولون أسمى مرتبة: أن تشهد الذات فنيت فيها الكائنات!! وحقيقة التوحيد: «أن تعبد الله وحده، وأن لا تعبده إلا بما شرعه»، ولكن البخاري يقول: أن تشهد الذات فنيت فيها الكائنات، وقد أجهد الصوفي البخاري نفسه في الرد على باطل الصوفية حتى لهثت أنفاسه. فما بلغ إلا تأييد باطل كان يتمنى الصوفية مثل قلم البخاري للدفاع عنه، ولو أنه لجأ إلى الكتاب والسنة لاستطاع بحجة واحدة منهما أن يأتي بنيانهم من القواعد، بل لو لجأ إلى العقل مؤمنًا لدك على الطاغوت هيكله، ولدمر أصنامه. ولكنه صوفي!!

(١) لم لا يقال: الخالق بالمخلوقات؟!

بالمعجزة، وعند ذلك ينتهي تصرف العقل[١] لعدم استقلاله بمعرفة المعاد، وبما يحصل السعادة والشقاوة هنالك للعباد، وإنما يستقل بمعرفة الله تعالى[٢]، وصدق الرسول، ثم يعزل نفسه، ويتلقى من النبي ﷺ ما يقول، في أحكام الدنيا والآخرة بالقبول[٣]، إذ لا ينطق بما يحيل العقل بالبديهة والبرهان؛ لامتناع ثبوت ما تحكم حجة الله عليه بالبطلان فلا مجال في مورد الشرع، ولا في طور الولاية والكشف لما يحكم العقل عليه بأنه محال، بل يجب أن يكون كل منهما في حيز الإمكان والاحتمال، غير أن الشرع يَرِدُ بما لا يدركه العقل بالاستقلال، وبالكشف يظهر ما ليس له العقل ينال[٤]؛

---

(١) الله سبحانه هو العليم الخبير حقًا بما يجب لربوبيته وإلهيته. وقد بين لنا عز شأنه تفضلاً منه ورحمة هذا في كتابه الحكيم أجلى وأتم وأكمل بيان. فما يجوز لامرئ الزعم بأن للعقل التصرف في إثبات ما يجب وما يجوز وما يستحيل على الله سبحانه، والمؤمن الحق هو من يؤمن صادقًا بكل ما وصف الله به نفسه إثباتًا ونفيًا. فيثبت خاشعًا ما أثبت الله سبحانه لنفسه. وينفي منزهًا ما نفاه عنها جلا وعلا. هو من يوحد الله توحيدًا قوليًا وعمليًا وعلميًا واعتقاديًا في الربوبية والإلهية بما ورد في الكتاب والسنة.

(٢) فرية فلسفية، وإفك صوفي، فالعقل حينما استقل بمعرفة الله سماه سبحانه ووصفه بما لا يحب الله أن يسمى أو أن يوصف به، أثبت له ما أوجب الله نفيه، ونفى عنه ما أوجب الله إثباته، نفى عنه كونه خالقًا مدبرًا يعلم كل خافية، وأثبت له ما عربد من الشهوة، وما ضل من العاطفة، فسماه عاشقًا ولاذا وملتذًا، ألا فليؤمن العقل دائمًا بأنه دائمًا في قبضة من خلقه، وأنه الفقير دائمًا إلى الغني الخلاق العليم الخبير.

(٣) بل يجب عليه قبل هذا أن يتلقى مؤمنًا مخلصًا ما جاء في الكتاب والسنة عن صفات الله وأسمائه، دون لمسة من ريب تدفعه إلى التأويل، أو همسة من فكر تلوذ به إلى التعطيل، أو تجاوب مع الحس يهيم به في التجسيم أو التمثيل.

(٤) جعل من الشرع قسمًا لا يناله العقل، بل الكشف، فمن قال هذا؟ وسيزعم أن الطريق إليه كذلك معاينة الذات؟ فمن أين جاء بهذا؟ وهل في مقدور كل مسلم الكشف والمعاينة؟ يجيبون هم بأن هذا لخواص الخواص!! وهذا يستلزم أن الخواص والعوام لا يمكن أن يصلوا إلى معرفة أهم حقائق الشرع!! ثم ما هذا الذي لا يظهر إلا بالكشف؟ إن كان هو عين ما في الشريعة، فما للكشف فائدة إذًا. وإن كان غير ما فيها قالوا: بجواز عبادة الله بغير ما شرعه الله، وتلك هي الطاعة الكبرى، فما صنع البخاري شيئًا سوى أن فر إلى ما فر منه، وحارب ما يحارب هو من أجله!!

لأن الطريق إليه الكشف والعيان؛ دون بديهة العقل والبرهان، ولكن إذا عُرِض عليه لا يحكم عليه بالبطلان، لكونه في حيز الإمكان، ولا ينبغي متوهم أن ما يتستر به الوجودية من دعوى الكشف من قبيل ما ليس له العقل ينال، بل هو مستحيل وللعقل في إبطاله تمكن ومجال؛ إذ الطريق إليه التصور ثم التصديق بالبطلان، وذلك وظيفة العقل بالبديهة أو البرهان، وأما الأمور الممكنة الكسبية فيجعلها العقل في حظيرة الإمكان، ولا يحكم عليها بالبطلان ثم إن ما يناله الكشف، ولا يناله العقل الممكنُ الذي الطريق إليه العيان[1]، دون البرهان، لا المحال الممتنع الوجود في الأعيان؛ إذ الكشف لا يجعل الممتنع متصفًا بالإمكان، موجودًا في الأعيان؛ لأن قلب الحقائق بين الامتناع والبطلان فلو تخايل حصول المحال بالكشف ككون الوجود المطلق واحدًا شخصيًا، وموجودًا خارجيًا، وكون الواحد الشخصي منبسطًا في المظاهر، متكررًا عليها بلا مخالطته، متكثرًا مع النواظر بلا انقسام، فذلك شعوذة الخيال، وخديعة الشيطان ـ وقال بعد ذلك: «إنهم صرَّحوا بأن التَّكَثُّر في الموجودات ليس بتكثر وجوداتها، بل تَكَثـر الإضافات والتَّعَيُّنات»، ثم قال: «فقالوا: معنى قولنا: الواجب موجود، أنه[2] وجود، ومعنى قولنا: الإنسان أو الفرس موجود، أنه ذو وجود، بمعنى أن له نسبة إلى الوجود، لا أنه متصف بالوجود، على ما هو معنى الوجود لغة وعرفًا وشرعًا؛ احترازًا عن شفاعة التصريح بكون الواجب صفة الممكن، وأنت خبير بأن جواز الإطلاق فرع صحة الاشتقاق، ولو سلم فما ذكروا في بيان معناه في الواجب والممكن ليس معناه، لا لغة، ولا عرفًا، ولا شرعًا، ومنشأ الغلط فيما يكشفه الشرع بما يقصر عنه العقل، وما يدعيه هؤلاء مما يُحيله [٥٧] عدم التفرقة بين ما أحاله العقل كهذه المذكورات، وبين ما لا يناله العقل كاطمحلال وجود الكائنات عند سطوع

---

(١) يريد الصوفية بها معاينة الذات الإلهية، ومشاهدة أسرار الربوبية والإلهية.

(٢) في الأصل: موجوداته، بدل: موجود أنه.

أنوار التجليات، وإنما ينال ذلك بجذبة الإلهية[1]، أو رياضة في متابعة الحضرة النبوية في الوظائف العلمية والعملية والنيل هو الحصول الاتصافي، والعلم هو الحصول الإدراكي، ثم إن كُلاً مما لا يدركه العقل بالاستقلال، وما ليس له العقل ينال، لما كان مستوقفًا على الإعلام والإرشاد من رب العالمين، بعث الأنبياء والمرسلين، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين لبيان الأول، وهو علم الشريعة صريحًا، والإشارة إلى الثاني، وهو علم الحقيقة رمزًا وتلويحًا[2]، كما يلوح من القرآن المجيد ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هالكٌ إلاَّ وَجْهَهُ ﴾ (سورة القصص:٨٨) إلى درجة الفناء في الفناء في التوحيد».

---

(١) عجيب أن يجعل البخاري هذا مما لا ينال إلا بجذبة، فالمؤمن الحق يدرك باللمحة الهافية من الفكر والوجدان والشعور، أن بين وجود الله ووجود العالم فرق ما بين رب السموات والأرض، وبين عبد خلق من طين، بيد أن البخاري يريد بالاطمحلال عند التجلي فناء وجود السوى، فلا يشهد العارف ثم إلا وجودًا واحدًا هو الواجب، أو المطلق، يعني يرى الكثير واحدًا، والظاهر عين المظاهر فإن يك هذا فقد هوى في غيابة صوفية، إذ ينفي الوحدة من جهة، ويثبتها من جهة أخرى، فالصوفية يريدون بالتجلي ما ينكشف للقلب من أنوار الغيوب، أو ظهور الذات في عين المظاهر، وفي الأول ادعاء معرفة الغيب وقول على الله بغير علم وفي الآخر الإقرار بوحدة الوجود، فأيهما يريد البخاري؟! ثم ما هذه الجذبة؟ ما سبيلها؟ ما دليلها؟ ما مثالها في الماضي المؤمن؟ لا يقال: سبيلها العبادة، فإنه جعل العبادة قسمًا آخر غير الجذبة، وليس في الكتاب ولا في السنة عليها دليل ، وما سمعنا عن صحابي أو تابعي، أو مؤمن صادق أنه نال هذه الجذبة!!

(٢) يدين البخاري كغيره من الصوفية أن الدين حقيقة وشريعة، وأن الأولى غير الأخرى، بل أسمى منها وأفضل، وأن الشريعة لا تتضمن الحقيقة، وأن البيان عنها في القرآن جلي صريح. أما عن الحقيقة، فرمز وتلويح!! وبذا أركس البخاري فيما أركس فيه الصوفية. الله سبحانه يصف كتابه بأنه بيان للناس، ويمن علينا بأنه بعث في الأميين رسولاً يتلو عليهم آياته ويزكيهم، ويعلمهم الكتاب والحكمة، والبخاري يزعم أن القرآن أشار إلى علم الحقيقة عن طريق الرمز والتلويح، وما كل الناس يفهمون الدلالة الرمزية، أو التلويحية، وما كل أمي يفهمها، وهذا يستلزم طامتين، الأولى: اتهام القرآن بالعجز في البيان عن الحقيقة، فلم يستطع الإفصاح عنها إلا عن طريق الرمز والتلويح، وهما أغمض وأعجز أنواع الدلالات، الأخرى: اتهام الأكثرية الغالبة من هذه الأمة بأنها لا تعلم الحقيقة من دينها الحق، ولا يعبدون الله على بصيرة من الحق، بل ينسحب هذا الاتهام على الصحابة أجمعين، إذ ما كانوا فلاسفة ولا صوفيين.

=

انتهى ما نقل من رسالة الشيخ علاء الدين البخاري، لكنني تصرفت فيه بالتقديم والتأخير، وقد وضح بذلك محالهم، وتبين به ضلالهم(١) والله الموفق.

= فإن قيل: كانوا يعرفون علم الحقيقة في زعم الصوفية، قلت: أين الدليل؟ أجاء عن أحد منهم افتراء أن الدين حقيقة وشريعة مغايرًا بين القسمين؟. أتكلم واحد منهم عن الفناء، وفناء الفناء، والوحدة المطلقة، وهذه هي معارف علم الحقيقة عند الصوفية؟ بل أقول: إن في قول البخاري ومن دان دينه من الصوفية اتهامًا للرسول ببهتانين:

أولهما: كتمان علم الحقيقة في الدين، أو الجانب الأسمى منه، إذ لم يرد فيما بلغ إلينا عن الله هذا العلم الذي يدعيه البخاري: علم الفناء، وفناء الفناء، ومعاينة الذات!!

وآخرهما: أنه كان ﷺ لا يعلم الحقيقة، ولم يهتد إلى ما اهتدى إليه البخاري وغيره، واتهام الرسول ﷺ بوهم من هذا كفر خبيث، وقد اتهمه الصوفية فعلاً بالأول: أي الكتمان، اسمع لابن عجيبة في شرحه لحكم ابن عطاء الله السكندري يقول: «وأما واضع هذا العلم - يعني التصوف - فهو النبي ﷺ علمه الله له بالوحي والإلهام، فنزل جبريل أولاً بالشريعة، فلما تقررت نزل ثانيًا بالحقيقة، فخص بها بعضًا دون بعض» ص٥، جـ١، ط١٣٣١هـ. وفي هذا حجة على دين الصوفية مقت للشريعة، واتهام صريح للرسول بأنه لم يبلغ بعض ما أنزل إليه، وبأنه هوى مع الهوى فخص به بعضًا، وحاشا الرسول الكريم.

(١) علاء الدين البخاري رجل أشرب قلبه وفكره التصوف، وقد خدع البقاعي بهذره الصوفي، فكل ما هول به البخاري في الرد على الصوفية لا ينابذ لهم باطلاً. بل يواليه ويمالئه. نعم صرح الرجل في قوة وشجاعة وجلاء بتكفير ابن عربي وأحلاسه، بيد أن ما حسبه أدلة تدمغهم بالزندقة هي في حقيقتها أساطير صوفية، أو هي بالذات عناكبهم التي يصيدون بها العقول الذبابية. وهذا يثبت ما قلته من قبل، وهو أن كل من به مس من الصوفية إنما يطوي النفس على أمشاج وثنية. وإن تراءى بتكفير غيره من لدانه وأقرانه. قارن بين ما رد به البخاري الصوفي، وبين ما رد به الإمام ابن تيمية، لتدرك البون الشاسع بين الرجلين، في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فالبخاري صوفي يرد بتصوفه على تصوف غيره؛ كي يؤمن الناس به هو، وبما يدعو إليه من التصوف، وابن تيمية يدمغ الباطل بما دمغه به الحق من الكتاب والسنة، بل وبراهين العقل الذي جعل هدى القرآن مناره، ولم يلوثه دنس صوفي، ابتغاء مرضاة الله، والجلاد المستلئم في الجهاد في سبيل الله. وهذا هو دائمًا فرق ما بين المؤمن والصوفي.

عود إلى من كفروا ابن عربي

وعن الحافظ تقي الدين محمد بن أحمد الفاسي المكي في كتابه (تحذير النبيه والغبي من الافتتان بابن عربي)، أنه قال ـ وقد سئل عنه وعن شيء من كلامه ـ: شيخنا العلامة أبو عبد الله محمد بن عرفة الورغمي التونسي عالم إفريقية، فقال «ما معناه: إن من نُسب إليه هذا الكلام لا يشك مسلم منصف في فسقه وضلاله وزندقته» انتهى.

ومنهم شيخنا العلامة إمام القراء شمس الدين محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف الجزري الدمشقي نزيل بلاد الروم ثم العجم، قال: «ومما يجب على ملوك الإسلام، ومن قدر على الأمر بالمعروف [والنهي عن المنكر] أن يعدموا الكتب المخالفة لظاهر الشرع المطهَّر من كتب المذكور[1] وغيره، ولا يلتفت إلى قول من قال: هذا الكلام المخالف للظاهر ينبغي أن يؤول، فإنه[2] غلط من قائله. إنما يؤول كلام المعصوم، ولو فُتِح باب تأويل كل كلام ظاهره الكفر لم يكن في الأرض كافر» ومنهم العلامة نادرة زمانه علمًا وعملاً بدر الدين حسين بن عبد الرحمن الأهدل[3] اليمني الحسيني نسبًا وبلدًا، وصنف في ابن عربي وابن الفارض كتابًا كبيرًا[4] نافعًا جدًا، وذكر فيه أنه كان في اليمن شخص من أكابر أتباعه يقال له الكرماني، حصلت به في اليمن فتن كبيرة، وحصل بينه وبين ابن المقري خطوب، وصنف في الرد على ابن المقري كتابًا قال فيه عن نفسه وأهل مذهبه ما لفظه: «إنا حيث قلنا: المخلوق، فمرادنا الخالق، وحيث قلنا: الحجر فمرادنا الله» انتهى.

---

(١) يعني: ابن عربي، واقرأ نص فتوى الجزري في ص٤٩٥ من (العلم الشامخ) للعلامة المقبلي.

(٢) أي: القول بالتأويل لكلام الصوفية.

(٣) ولد سنة ٧٧٩هـ تقريبًا، وتوفي سنة ٨٥٥هـ، وهو من كبار علماء اليمن في عصره.

(٤) سماه: (كشف الغطا عن حقائق التوحيد وعقائد الموحدين)، وله كتاب آخر سماه (بيان حكم الشلح والنص على مروق ابن عربي وابن الفارض وأتباعهما من الملحدين). انظر (الضوء اللامع) للسخاوي.

من مكر الصوفية

ومن مكر هذه الطائفة، كما شرعه لهم شيخهم[١] من أن الدعوة إلى الله مكر أن يُخَيِّلوا[٢] كلٌّ من ظنوا أنه مال عنهم بأنه يصاب في نفسه، أو ماله[٣]، ويقولون: ما تكلّم أحد فيهم إلا أصيب، ويباهتون [٥٨] بأشياء هي كذب ظاهر. ولا عليهم - وأكثر الناس صبيان العقول، مَرْضى الأفكار، تجد أحدهم إذا سمع هذا نَفَرَ منك نفرة النعام الشارد، ثم يكون أحسنهم خلالاً الذي يقول: التسليم أسلم!! ولا يتأمل أن الشك في الكفر بعد البيان كفرٌ، وهو مع كونه[٤] كذبًا بمن أنكر عليهم من أكابر العلماء الذين لا يحصون كثرة، وماتوا على أحسن الأحوال - تَشَبّهٌ باليهود في قولهم في الإسلام لما مات أبو أمامة أسعد بن زرارة[٥] الأنصاري ﷺ فإنهم شرعوا يقولون

---

(١) يعني: ابن عربي.

(٢) صوابها: إلى كل، أو لكل. ففي الذكر ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ (سورة طه:٦٦).

(٣) كاد لي لئيم فضيع لي ما يسمى: «مسوغات التعيين في وزارة المعارف» فتنادى بعض الصوفية: يا للكرامة، ويالـ انتقام أوليائنا الرهيب!! فقلت: يا سبحان الله!! لا يتورع القوم حتى من اتهام أوليائهم أنهم لصوص بغاة، يحاربون الناس في أرزاقهم!!

(٤) لعلها: كذب، ولو أن الأمر كان تكذيبًا للعلماء فحسب لهانت الجريمة، ولكنه تكذيب لله ولرسوله، وتقوى لغير الله، ورهب من زنادقة، فما يطيق أمثال هؤلاء - رغم إخراج الكفر لهم لسانه من كتب الصوفية - النطق بكلمة حق يرضون بها الله سبحانه. سل اليوم كبار الأحبار، عبيد المتن والحاشية، عن فصوص ابن عربي، وتائية ابن الفارض، وطبقات الشعراني. سلهم ثم أنصت للجواب الذليل. ستسمع من يقول عن ابن عربي: الشيخ الأكبر، وعن ابن الفارض: سلطان العاشقين، وعن الشعراني: الهيكل الصمداني! وستسمع من يقول - ممن يزلزل الريب يقينهم، وتغشى الوثنية معتقداتهم: يسلم لهم حالهم، فالتسليم أسلم! هذا ما يجيده الأحبار من أساليب الدفاع عن دين الله.

(٥) من أول الأنصار إسلامًا، ويقال: إنه أول من بايع ليلة العقبة، وكان نقيب قبيلته بني النجار، وأول من صلى الجمعة بالمدينة في هزمة من حرة بني بياض، يقال له: نقيع الخضمات، وكانوا أربعين رجلاً، مات أسعد ﷺ والمسجد يبنى - في السنة الأولى من الهجرة في شوال قبل بدر. (أسد الغابة)، و(الإصابة).

تخييلاً لبعض الضعفاء: لو كان نبيًا ما مات صاحبه. فكان النبي ﷺ [يقول]: «بئس الميت أبو أمامة ليهود!! يقولون: كذا، ووالله ما أملك لنفسي ولا لصاحبي شيئًا»[١].

وتَسَنُّنٌ[٢] بالكفرة في قولهم: ﴿ وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ [هُمْ] أَرَاذِلُنَا ﴾ (سورة هود: ٢٧)، ﴿ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا (٧٣) وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِءْيًا (٧٤) قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا ﴾ (سورة مريم: ٧٣-٧٥)، ونحو ذلك من الآيات، ومتى مال الإنسان نحو تخييلهم، كان كمن قال الله تعالى فيه: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾ (سورة الحج: ١١).

من آيات ثبات الإيمان في القلب

مع أن الكتاب والسنة ناطقان بأن علامة صحة الإسلام في القلب المصائب[٣] قال الله تعالى: ﴿ الم (١) أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ ﴾ (سورة العنكبوت: ١-٢) الآيتين، وقال الله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا ﴾ (سورة البقرة: ٢١٤) الآية، إلى غير ذلك من آيات الكتاب الناطق بالصواب. وقال شخص للنبي: إني أحبك، قال: «فأعد للبلاء تجفافًا»[٤]، وقال ﷺ: «من يرد الله به خيرًا يُصِبْ منه»[٥]، «أشد الناس بلاء

---

(١) هذا لفظه في سيرة ابن هشام، أما في أسد الغابة: «بئس الميتة ليهود!! يقولون: أفلا دفع عن صاحبه؟ وما أملك له ولا لنفسي شيئًا».

(٢) معطوفة على قوله قبل: تشبه باليهود.

(٣) يعني الصبر عليها.

(٤) التجفاف: آلة للحرب يلبسه الفرس والإنسان ليقيه الحرب، وجفف الفرس: ألبسه إياه (القاموس والنهاية).

(٥) رواه البخاري ومالك.

الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى المرء على قدر دينه»[١]، إلى أمثال ذلك، وهو كثير جدًا، وأعجب من ذلك أن البيعة على الإسلام كانت ـ ليلة العقبة ـ على الصبر على المصائب، فإن العباس بن نضلة[٢] ﷺ قال لقومه قبل المبايعة يثبتهم على البيعة: «إن كنتم ترون أنه إذا نهكَت[٣] أموالكم مصيبة، وأشرافكم قتلا أسلمتموه فمن الآن، فهو والله ـ إن فعلتم خزي الدنيا والآخرة، وقالوا: فإنا نأخذه على مصيبة الأموال، وقتل الأشراف، فما لنا بذلك يا رسول الله إن نحن وفينا؟ قال: «الجنة»، قالوا: ابسط يدك، فبسط يده، فبايعوه»[٤]، على هذا كانت المبايعة، وعلى السمع والطاعة في العسر واليسر، والمنشط والمكره[٥]. ولقد شرع لنا [٥٩] رسول الله ﷺ سنن الهدى، وتركنا على بيضاء نقية، ليلها كنهارها[٦]، ولم يتغير دينه بعده، ولم يتبدل، ولم يزدد إلا شدة.

---

(١) من حديث رواه الترمذي وابن ماجه والحاكم وابن أبي الدنيا. ولم لا نفهم في الحديث معنى آخر، هو أن أفضل الناس أشدهم بلاء في سبيل الله، من قولهم: أبلى فلان في الحرب بلاء حسنًا، إذا أظهر بأسه حتى بلاه الناس وخبروه؟! أو يراد به ما يصيبهم من الناس من بلاء لاستلامهم في الدعوة إلى الله، والجهاد في سبيله.

أقول: هذا لأنه ثبت في أذهان الناس أن الإيمان الصحيح صنو المصائب، وأن الله يدخر الرزايا للمخلصين من عباده.

(٢) أنصاري خزرجي، شهد العقبة، وقيل: العقبتين، بل قيل: كان مع النفر الستة الذين لقوا رسول الله، فأسلموا قبل جميع الأنصار، خرج عباس ﷺ إلى مكة، وأقام مع الرسول ﷺ حتى هاجر إلى المدينة، فكان أنصاريًا مهاجريًا، قتل في أحد، ولم يشهد بدرًا «أسد الغابة، الإصابة».

(٣) يقال: نهكته الحمى، أضنته وهزلته، وجهدته، ونهكت الناقة حلبًا: إذا لم تبقى في ضرعها لبنًا (القاموس) و(النهاية).

(٤) ص (٢٧٧، جـ١) سيرة ابن هشام على هامش الروض الأنف ط(١٩١٤).

(٥) من حديث نصه: عن عبادة بن الصامت: «بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره، وعلى أثرة علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله، وعلى أن نقول بالحق أينما كنا، لا نخاف في الله لومة لائم» الصحيحان، الموطأ، النسائي. المنشط: الأمر الذي ينشط له، ويخفف إليه، الأثرة: الاستيثار بالشيء والانفراد به.

(٦) من حديث رواه ابن ماجه: «وايم الله، لقد تركتكم على مثل البيضاء، ليلها كنهارها».

ولم يتغير دينه بعده، ولم يتبدل، ولم يزدد إلا شدة. وأخبرنا ﷺ أن الدين بدأ غريبًا، وأنه سيعود كما بدأ، وقال: «**فيا طوبى للغرباء**»[١]، فلا يهتم الإنسان بقلة الموافق، فإن الله معه، ومن كان الله معه كان كثيرًا، ولا بكثرة المخالف المشاقق، فإنهم أعداء الله، فليس معهم، ومن لم يكن الله معه كان قليلاً: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٣٦) وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انتِقَامٍ﴾ (سورة الزمر: ٣٦-٣٧).

هوان الدين عند الأكثرية

ومما ينبغي أن يكون نصب العين معيارًا يعرف به هوان الدين عند أكثر الناس، وهو أن أحدهم لو كان مُشْرِفًا على الموت من الجوع، ووجد طعامًا شهيًا، فقال له أحد: إنه مسموم لم يقربه بعد ذلك، ثم لا يبالي بقول هؤلاء العلماء[٢]، الذين هم القدوة في الدين[٣] أن كلام هؤلاء الاتحادية سم حاسم للدين من أصله، ذابح للإيمان بسيفه ونصله، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

من هم الأولياء؟

هذه نبذة من ذم أهل الحق له[٤] وهم الأولياء حقيقة؛ لما شاع لهم من الأنوار التي ملأت الأقطار بمصنفاتهم التي أحيوا بها الدين، وأيدوا سنة سيد المرسلين، فقد قال

---

(١) نص الحديث: «**بدأ الإسلام غريبًا، وسيعود كما بدأ، فيا طوبى للغرباء**» مسلم عن أبي هريرة، والنسائي عن ابن مسعود، وابن ماجه عنهما وعن أنس، وطوبى: فرح وقرة عين كما فسرها ابن عباس.

(٢) بل لا يبالي بالقرآن والسنة، وفيهما الفيصل الحق بين الحق والباطل، والإيمان والكفر، والهدى والضلال.

(٣) القدوة والأسوة: رسول الله ﷺ.

(٤) لابن عربي.

الشيخ محيي الدين النووي[١] في مقدمة (شرح المهذب): «فصل في النهي الأكيد، والوعيد الشديد لمن يؤذي أو يبغض الفقهاء، والمتفقهين»، وروى الخطيب البغدادي[٢] عن الشافعي وأبي حنيفة رضي الله عنهما أنهما قالا: «إن لم يكن الفقهاء[٣] أولياء لله، فليس لله ولي»، وعن ابن عباس رضي الله عنهما[٤]: **«من آذى فقيهًا، فقد آذى رسول الله ﷺ، ومن آذى رسول الله ﷺ، فقد آذى الله عزَّ وجلَّ»** انتهى.

ومن نابذ كلامهم، فقد عاداهم. وقال النبي ﷺ: «قال الله: «من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب»[٥]، ومن رد أقوالهم[٦] لأجل توهّم أن من حكموا بكفره ولي لشهرة باطلة، وكلام مُزَوَّق يراد به الإضلال والغرور، فَمَنْ كَمَنْ[٧] أصابه داء، فوصف له الأطباء العارفون دواء، فقال له عامي: لا تسمع منهم وخذ هذا فقد قال لي فلان وفلان ـ وعد جماعة مثله ـ أنه نافع، فاعتمد على مُجَرِّب، ولا تعتمد على طبيب؛ وأمثال هذا من الخرافات، فقبل كلامه، لكونه قريب الطبع من طبعه، فأعطاه

---

(١) يحيى بن شرف. ولد سنة ٦٣١. ومات سنة ٦٧٦هـ. وكان واسع المعرفة بالحديث والفقه واللغة.

(٢) أحمد بن علي بن أبي ثابت أبو بكر الإمام الحافظ المصنف المؤرخ، ولد سنة ٣٩٢هـ، وتوفي سنة ٤٦٣هـ، وقد ترك قرابة مائة مصنف.

(٣) هم الذين يعتصمون في فقههم بالكتاب والسنة، ويدعون الناس إلى الاعتصام بهما والعمل بما فيهما، لا أولئك الذين يصنع لهم فقههم الرأي المفتون، أو يدعون الناس إلى اتخاذ كتبهم أربابا من دون الله، ويدينون بمذهب فلان. فمثل هؤلاء أولياء الشيطان، ثم الله سبحانه بين خصائص الولي في قوله: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ سورة يونس:٦٣)، وبينها رسوله الكريم بقوله: **«إن أولياء الله المصلون، ومن يقيم الصلوات الخمس التي كتبها الله على عباده، ومن يؤدي زكاة ماله طيبة بها نفسه، ومن يصوم رمضان، ويحتسب صومه، ويجتنب الكبائر...»** الحديث، رواه أبو داود والنسائي وابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني والحاكم وابن مردويه كلهم عن عبيد بن عمير الليثي.

(٤) في الأصل: عنه.

(٥) البخاري وأحمد والطبراني وأبو يعلى.

(٦) هذا إذا كانت حقًا مشرقًا من النورين: الكتاب والسنة. لا كأقوال علاء الدين البخاري، فقد رد أساطيرهم بأساطيره.

(٧) أي من فعل هذا فهو كمن أصابه داء .. الخ.

سُمًّا، فَتَحَسَّاه، فهلك إلى لعنة الله، فإنه لا عبرة بشهرة أصلاً إلا شهرة كانت بين أهل العلم {٦٠} الموثوق بهم، لأن الاستفاضة والشهرة من العامة لا يوثق بها، وقد يكون أصلها التلبيس، وأما التواتر فلا يفيد العلم إذا لم ينتبه إلى معلوم محسوس، وأما من مدحه، فهو أحد رجلين كما مضى عن الفاسي وغيره: رجل بلغه زهده وانقطاعه عن الناس، ولم يبلغه ما في كلامه من المصائب فالجرح[1] مُقَدَّم على ثنائه، أو رجلٍ كان يعتقده في الباطن، فهو يناضل عن نفسه، فلا عبرة به[2].

رأي ابن أيوب في الحلاج وابن عربي

وحدثني الفاضل جمال الدين عبد الله بن الشيخ القدوة زاهد زمانه، والمشار إليه بالصلاح والمعارف والورع، وحفظ اللسان في أوانه بدمشق الشيخ علي بن أيوب[3]: أنَّ أباه - الشيخ عليا المذكور - كان يجلس في الجامع مُطرقا يقيم إحدى رجليه هيئة المستوفز، ويضع ذقنه على ركبته، فلا يُكلَّم لهيئته، فإذا رفع رأسه، عُلم أنه أذن في الكلام، فسأله من أراد عما شاء، ففعل ذلك يوما، فلما رفع رأسه سأله شخص عن ابن عربي هذا، فأطرق زمانا طويلاً، ثم رفع رأسه، فقال: إنه كفر كفرًا ما وافق فيه كفرَ ملة من الملل، بل خرق بكفره إجماع الملل[4]، وزاد عليهم.

---

(١) في الأصل: فالحرح.

(٢) الحكم على ابن عربي بما حكم الله به على من ألهوا عيسى، وعبدوا الأوثان وغيرهم ليس في حاجة إلى كل هذا، فكتابه الفصوص ثابت النسبة إليه ثبوت لعن الله لأبي لهب، والفصوص - ردغة كفر، وحمأة زندقة. وما ينفع ابن عربي أن يشهد له ملايين الصوفية بأنه الرباني الأعظم، فشهادة كتبه عليه شهادة الحق والصدق، فليشهد الصوفية له بأنه وأنه، فكذلك الصديد، لا يشهد له بأنه طعام طيب سوى الميكروب الذي يحيا به وفيه!!

(٣) الإمام الفقيه البارع المتقن المحدث بقية السلف - كما يقول الذهبي. ولد سنة ٦٦٦هـ وتوفي سنة ٧٤٨هـ.

(٤) هذا يدل على فهم دقيق غاية الدقة لمعتقد ابن عربي، فإنه كفر بكل كفر ثم أضاف إليه كفره، ثم جعل من هذا كله دينًا للصوفية.

قال الشيخ جمال الدين: «فحكيت ذلك لبعض من يشار إليه بالعلم والميل إلى ابن عربي، فقال: والله لو سمع ابن عربي هذا الكلام لقال: ما عرفني أحد غير هذا الرجل. قال: وسئل والدي أيضًا عن الحلاج، فقال: لا شك أن الحجاج قتل من العلماء خلائق يتعسر حصرهم، وشتت شملهم وأبادهم، وقتل سعيد بن جبير[1]، وأهل الأرض محتاجون إلى علمه، وخلعه العلماء وخرجوا عليه، وقاتلوه، ومع هذا كله لم يقل أحد منهم: إنه كافر، بل قالوا: إنه من عصاة المسلمين، لا تحل امرأته لذلك. والحلاج ما تعرض لأحد من أهل العلم بأذى في دنياه، وأجمع جميع أهل زمانه منهم على كفره، واستباحة دمه، فلو كان العلماء يقولون بالهوى لقالوا في الحجاج الذي ما ترك نوعًا من الأذى حتى رماهم به، فثبت أنهم لا يقولون بالهوى، فوجب على الناس اتباعهم[2]، وقبول كلامهم»، وهذا غاية في البيان، والله المستعان، وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

قال الشيخ الإمام العالم العلامة الحافظ الضابط المتقن المتفنن أستاذ المفسرين نادرة المحدثين، برهان دين العالمين، أبو الحسن إبراهيم بن عمر بن حسن الرُّباط بن علي ابن أبي بكر البقاعي الشافعي، نزيل القاهرة المحروسة: فرغت من مسودة هذا الكتاب بحمد الهادي للصواب في شوال سنة أربع وستين وثمانمائة والحمد لله وحده.

وفُرِغ من نسخ هذه النسخة المباركة في وقت العصر من يوم الأربعاء من شهر ربيع الآخر من شهور سنة سبع وأربعين وتسعمائة.

---

(١) أحد أعلام التابعين، كان مع عبد الرحمن بن الأشعث لما خرج على عبد الملك بن مروان، فلما قتل ابن الأشعث، فر سعيد إلى مكة، فظفر به الحجاج، فقتله في شعبان سنة ٩٥هـ كما في (الوفيات)، أو سنة ٩٤ كما في (مروج الذهب) و(الكامل) لابن الأثير.

(٢) إنما الواجب اتباع الكتاب والسنة، وتأييد كل داع إلى الله بالحق. وما أركس الناس في فتنة الضلالة سوى اتخاذهم القرآن مهجورًا، وكتب الناس أربابًا من دون الله!!

تحذير العُبَّاد من أهل العناد

ببدعة الاتحاد

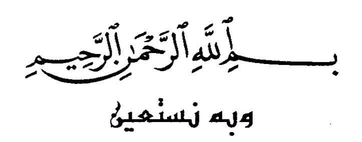
للشيخ الإمام العالم العلامة، الحافظ المحقق الرحلة، ناصر السنة
قامع البدعة، محيي العدل، برهان الملة والدين

إبراهيم بن عمر بن حسن بن علي بن أبي بكر البقاعي الشافعي

- لطف الله بهم أجمعين -

آمين





وبه نستعين

الحمد لله الهادّ، لأركان الجبابرة الشِّداد، القامع لأهل الإلحاد، بسيوف السُّنَّة الحِداد، وأشهد أن لا إله إلا الله المفضل[1] الهاد، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده [ورسوله][2] الداعي لسائر العباد، إلى سبيل الرشاد صلى الله عليه وعلى آله الخيرة الأمجاد، وصحابته الأبطال الأنجاد، وسلم تسليمًا يغلب التعداد، ويبقى على مر الآباد.

وبعد: فهذه رسالة سميتها: **(تحذير العُبَّاد من أهل العناد، ببدعة الاتحاد)** أنفذتها إلى الْعبَّاد في جميع البلاد، الراغبين في الاستعداد ليوم المعاد، بموالاة أهل الوداد، وملاواة[3] الأشقياء الأضداد، الضالين بنحلة الاتحاد، أرجو أن تكون ضامنة للإسعاد يوم التناد، فقلت: اعلموا أيها الإخوان الذين هم على البر أعوان ـ حفظكم الله، ورعاكم، وصانكم من كل سوء وحماكم ـ أنه لا يقدم على الأمر بالمعروف [والنهي عن المنكر][4] إلا من جعل نفسه هدفًا للحتوف[5]، وتجرع من مر الكلام ما هُوَ أمَرّ من السهام، فإن الناهي عن المنكر يعاني الهوان الأكبر، بمعاداة كل شيطان من الإنس والجان، يقوم عليه الجيلان، ويرشقه بسهام الأذى القبيلان، شياطين الإنس ظاهرًا بالمقال والفعال، وشياطين [الجن][6] باطنًا بما يوحون إليهم من الضلال.

---

(١) لعلها المضل، فهكذا وردت في أول رسالته الأولى.

(٢)،(٤)،(٦) كلها ساقطة من الأصل، والسياق يوجبها.

(٣) يقال: لاوت الحية الحية ملاواة إذا التوت عليها.

(٥) جمع حتف وهو الهلاك، وقيل: هي مصدر بمعنى الحتف، وهو قضاء الموت. (أساس البلاغة للزمخشري.

آيات سلَّى الله بها نبيه

ولصعوبة المقام، وما فيه من الأخطار والآلام، سلَّى الله نبيه ﷺ، فقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ (٩٧) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ (٩٨) وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾ (سورة الحجر: ٩٧-٩٩)، وقال الله تعالى: ﴿ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ (سورة الأنعام: ٣٣)، وقال تعالى: ﴿ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (سورة الأنعام: ١٠٨).

وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً مَّا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ (١١١) وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ (١١٢) وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴾ (سورة الأنعام: ١١١-١١٣).

وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ (١٢١) أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ {٦٣} زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٢٢) وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلاَّ بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ (سورة الأنعام: ١٢١-١٢٣)،

إلى غير ذلك من الآيات والدلالات الواضحات، ففي الأنبياء الذين هم أشرف الخلق عليهم أفضل الصلاة والسلام مَسْلاَةٌ لأتباعهم، واعتبار بأحوالهم، واعتصام، وما أَتَى أحدٌ قط أحدًا[1] بمخالفة هواه إلا ساءه[2] وأذاه، إلا من عصم الله: ﴿ أَفَكُلَّمَا

---

(١) في الأصل: أحد بالرفع. وهو خطأ.

(٢) في الأصل: ساه.

جاءكم رسولٌ بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقًا كذبتم وفريقًا تقتلون ﴾ (سورة البقرة: ٨٧)، وهؤلاء الذين اتسموا بسمة الاتحاد، وقد ألفهم الطغام[١] من الأنام؛ لما غرَّروهم به من إظهار التصوف، ليأخذوهم من المأمن، وما دروا أن الصوفية أشد الناس تحذيرا منهم، وتنفيرًا للعباد عنهم.

الرأي في سلف الصوفية

فإن المحققين منهم والمحققين[٢] بنوا طريقهم على الاقتداء بالكتاب والسنة[٣]، كما نقل القاضي عياض في أوائل القسم الثاني من الشفاء فيما يجب من حقوق المصطفى ﷺ عن الحسن[٤] - رحمه الله أنه - قال: «إن أقوامًا قالوا: يا رسول[٥] الله، إنا نحب الله، فأنزل الله تعالى: ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ﴾ (سورة آل عمران: ٣١)، وعنه أنه قال: «عمل قليل في سُنّةٍ خيرٌ من عمل كثير في بدعة» وعن أبي عثمان الحيري[٦] أنه قال: «من أمَّر على نفسه السنة قولاً وفعلاً نطق بالحكمة، ومن أمَّر الهوى على نفسه نطق بالبدعة»، وقال سهل بن عبد الله التستري[٧]: «أصول مذهبنا ثلاثة: الاقتداء بالنبي ﷺ في الأخلاق والأفعال، والأكل من الحلال، وإخلاص النية في جميع الأعمال»[٨].

---

(١) الأوغاد من الناس، مفرده طغامة، وهو يتطغم على الناس: يتجاهل عليهم. (أساس البلاغة).
(٢) كذا بالأصل: ولعل الثانية زائدة، أو لعلها: المتحققين.
(٣) كتب الصوفية سلفهم وخلفهم تشهد عليهم بنقيض هذه الدعوى الكذوب وقد سبق بيان هذا.
(٤) يعني: البصري. ولم يك صوفيا.
(٥) في الأصل: برسول. وهي كما أثبتها في الشفاء.
(٦) هو سعيد بن إسماعيل بن منصور، توفي سنة ٢٩٨هـ.
(٧) توفي سنة ٢٧٣هـ.
(٨) انظر (ص٧، جـ٢ - الشفاء)، وإذا كان هذا صحيحًا، فلِمَ يوجبون الاقتداء بالشيوخ وحدهم؟ ولِمَ يأكلون السحت من صناديق نذور الأصنام؟ ولم يقصدون بالصلاة في مساجدهم وجوه الهامدين في الأضرحة؟!

وفي كتب القوم كالرسالة والعوارف[١] من ذلك شيء كثير، والشهادة على من قال: الحقيقة خلاف الشريعة بالزندقة[٢]، وأن الطرق كلها مسدودة إلا على من اقتفى أثر الرسول ﷺ[٣]، قاله الجنيد[٤]، وقال أبو عثمان الحيري: خلاف السنة في الظاهر علامة رياء في الباطن، وقال النوري[٥]: من ادعى حالاً يخرجه من حد العلم الشرعي فلا تقربن منه، وقال الخراز: كل باطن يخالفه ظاهر فهو باطل، وقال القشيري: حكم الوقت فيما ليس لله فيه أمر، إذ التضييع لما أمرت به، والإحالة على التقدير، وعدم المبالاة بما يحصل من التقصير - خروج عن الدين[٦]، وقال السهروردي في قوم تسموا بالملامتية[٧]: «إنهم - في غرور - يزعمون أن الارتسام بالشريعة رتبة العوام، وهذا عين الإلحاد، وكل حقيقة ردتها الشريعة فهي زندقة»[٨]، وكذا قال الشيخ {٦٤} عبد القادر الكيلاني، وقال القشيري: «من كان سكره بحظ مشوبًا كان صحوه بحظ {صحيح}[٩] مصحوبًا، ومن كان مُحِقًّا في حاله، كان

---

(١) الرسالة لعبد الكريم بن هوازن القشيري. ولد سنة ٣٧٦ وتوفي سنة ٤٦٥هـ. والعوارف لأبي حفص شهاب الدين عمر بن محمد بن عبد الله السهرودي ولد سنة ٥٣٩ وتوفي سنة ٦٣٢هـ.

(٢) إن من يقسم الدين إلى حقيقة وشريعة لا يقترف هذا إلا وهو يتصور المغايرة بين الاثنين، ويؤمن بهذه الغيرية، وكتب القوم جميعها طافحة بهذا مفضلة الحقيقة على الشريعة، وإلا فما فائدة التقسيم عندهم؟

(٣) انظر ص ١٩ من الرسالة للقشيري.

(٤) يسمونه سيد الطائفة، توفي سنة ٢٩٧هـ وكما نقل عنه القشيري هذا، فقد نقل عنه أنه سئل عن العارف، فقال: من نطق عن سرك وأنت ساكت!! والله وحده هو الذي يعلم ما تكن الصدور.

(٥) أحمد بن محمد أبو الحسين. مات سنة ٢٩٥هـ.

(٦) ولكن اسمع للقشيري يقول في رسالته ص٣١: «الكَيِّس من كان بحكم وقته؛ إن كان وقته الصحو فقيامه بالشريعة، وإن كان وقته المحو فالغالب عليه أحكام الحقيقة» ألا ترى القشيري هنا يؤكد المغايرة بين الشريعة والحقيقة، وأن العارف في المحو ترفع عنه تكاليف الشريعة؟.

(٧) اقرأ عنهم كتاب الدكتور عفيفي (الملامتية).

(٨) (ص٥٧ ـ عوارف المعارف) للسهروردي.

(٩) ساقطة من الأصل، وأثبتها عن الرسالة للقشيري.

محفوظًا في سكره، والعبد[١] في [حال][٢] سكره يشاهد الحال، وفي حال صحوه يشاهد[٣] العلم، إلا أنه في حال سكره محفوظ، لا بتكلفه، وفي حال صحوه متحفظ بتصرفه، ومن شرط الولي أن يكون محفوظا، كما أن من شرط النبي أن يكون معصومًا»: وإنما نقلت هذه النبذة الماضية من الشفاء[٤]، ليعلم أن طريق الفقهاء هي طريق الصوفية[٥]، هذا ما بني عليه الصوفية أمرهم، وأما هؤلاء الذين تشبهوا بهم، ونبه العلماء ـ حتى الصوفية ـ على أنهم ليسوا منهم، ودلَّسوا على الناس، ولبسوا أحوالهم، ليقطعوا الطريق على أهل الله وهم يظهرون أنهم منهم.

---

(١) في الأصل: وهو. والتصحيح من رسالة القشيري.

(٢) ساقطة من الأصل، وأثبتها عن الرسالة للقشيري.

(٣) في الأصل: بشرط. والتصحيح من رسالة القشيرى.

(٤) نقل المؤلف هذه النصوص ليقيم الحجة على الصوفية بشهادة أئمتهم، ولكن ما ينبغي أن تغربا بالحق هذه النصوص، فإنما هي وجه إسلامي لقلب مجوسي، يحتدم حنقًا على الكتاب والسنة، فالقشيري الذي يتراءى بتمجيد السنة هو الذي زعم في رسالته أن قبر معروف الكرخي يستشفى به، ونقل قول الكرخي للسري للسقطي: «يا سري. إذا كانت لك حاجة إلى الله فأقسم عليه بي»، ويكفي هذا لإخراج المرء من زمرة المسلمين. ويقول السهروردي في عوارفه ص١٥٨: «وقد تقرر أن الوحدة والعزلة ملاك الأمر، ومتمسك أرباب الصدق»، فأين الجمعة والجماعة والجهاد في سبيل الله؟ ثم يدعو السهروردي دعوة مانوية صرفة فينسب إلى الرسول زورًا أنه أباح العزوبة لأمته بعد المائتين، ويقول: «سمعنا عن الجيلي أن بعض الصالحين قال له: لم تزوجت؟ فقال: ما تزوجت حتى قال لي رسول الله، فقال له: الرسول يأمر بالرخص، وطريق القوم: التزم بالعزيمة» يلتزم طريق القوم، ولا يلتزم أمر الرسول!! فهل تشم نفحة من السنة؟ لا بل يحموم المانوية الصرفة الداعية إلى القضاء على النوع الإنساني، وإبادة الجنس البشري كله، وهذا يؤكد لك قوة الصلة بين مجوسية ماني وبين التصوف.

(٥) شتان شتان ما طريق الصوفية، وطريق الفقهاء، والصوفية أنفسهم يقرون بهذا، ويزعمون أن طريقهم هو الحقيقة لا الشريعة، ومتمسك الفقهاء هي الشريعة، والصوفية يرون المستمسك بالشريعة محجوبًا عن الحقيقة، ثم ما لابن حنبل يأبى أن يسير في جنازة الحارث المحاسبي؟! إنه اشتم من كلامه نتن رائحة التصوف؟!.

منابذة الصوفية للعقل والشرع

فأول ما بنوا عليه أمرهم ترك العقل[١] الذي بنى الله أمر هذا الوجود على حكمه بشرط استناده إلى النقل الذي أنزل به كتبه: وأرسل به رسله عليهم الصلاة والسلام، لئلا يزل العقل بما يغلبه من الفتور والشهوات والحظوظ، وجعل العقل حاكما[٢] لا يعزل بوجه من الوجوه في وقت من الأوقات في ملة من الملل وضموا إلى ذلك[٣] الداهية الدهياء، وهي ترك ما عظَّر الله ورسوله ﷺ الكون بمدحه، وملأ الوجود بذكر مناقبه وفضائله، وهو العلم والشرع، وحذروا من اتباع شيء من ذلك غاية التحذير، فكانوا كالأنعام، بل هم أضل سبيلاً، وذلك بيِّنٌ جدًا في فصوص ابن عربي، ونظم تائية ابن الفارض اللذين قصد بهما هدم الشريعة، وكل منهما[٤] ثابت عمن نُسِب إليه عند أهله ثبوتًا رافعًا للريب والتائية متصلة بابن الفارض بالآحاد والتواتر.

موقف العلماء من ابن عربي وابن الفارض

وقد كفرهما العلماء بسبب ما نُقل من حالهما، وما صَدَّق ذلك من كلامهما. أما ابن عربي فالمتكلمون فيه كثير جدًا، وكان له علم كثير في فنون كثيرة، وله خداع كبير

---

(١) مقياس الحقيقة ومصدر المعرفة عند الصوفية هو الذوق، وهذا سر ترديدهم لأسطورتهم: من ذاق عرف، أما العقل فيكفرون به، ويرونه حجابا يستر الحقيقة، كل هذا ليغروا من حكم العقل عليهم بالأفن والضلال.

(٢) ما للعقل أن يحكم على الحقائق الشرعية والقيم الدينية إلا بحكم الكتاب والسنة، لا كما يزعم الفلاسفة وغيرهم من علماء الكلام والأصول: وهو أن العقل أصل النقل وحاكم عليه.

(٣) أي إلى تركهم للعقل.

(٤) يعني: الفصوص والتائية الكبرى.

غَرَّ به خلقًا، فأثنى عليه لأجل ذلك ناس من المؤرخين[١] ممّن خفي عليهم أمره، أطبق العلماء على تكفيره وصار أمرًا إجماعيًا، وأما ابن الفارض فأمره أسهل، وذلك أنه لم يوجد لأحد من أهل عصره الخبيرين بحاله ثناء عليه بعدالة، ولا ولاية، ولا ظهر عنه علم من العلوم الدينية، ولا مدح النبي ﷺ بقصيدة واحدة على كثرة شعره، فدل ذلك على سوء طويته، ونُقِل القدح فيه نقلاً قطعيًا عن محبيه ومبغضيه، فقد قال شراح تائيته التابعون لطريقته والمنتقدون عليه من أهل السنة: إن أهل زمانه كلهم من أهل الشريعة، وأرباب الطريقة رموه بالفسق والإباحة والزندقة [٦٥] على الإجمال.

---

(١) كم سجل الهوى في التاريخ البطولة للرعديد، والقدسية للداعر، والعدالة للطاغية، والجماعة الإنسانية التي تتعدد، وتتباين فيها المقاييس الدينية والخلقية والاجتماعية تختلف على نفسها في تقدير قيم الحقائق والأشياء، وبالتالي فيمن تنسب إليهم هذه القيم إثباتًا أو نفيًا، لذا أمر الله سبحانه أن يجعل المسلمون كتاب الله وسنة نبيه حكمًا بينهم، يحتكمون إليها كلما شجر بينهم خلاف، حتى يقوموا حقائق الأشياء بالحق والعدل، ويحكموا في أقضيتهم بالحق والعدل، فلا يبدد الخلاف وحدتهم، ولا يذهب بهم الهوى شيعًا وأحزابًا.

وقد حدد الكتاب والسنة مفهوم التوحيد والشرك، ومفهوم الإيمان والكفر، بل والخير والشر، وضرب الله سبحانه لنا أمثالاً ممن حكم عليهم بواحد منها. فبجانب نوح ﷺ ذكر ابنه وبجانب إبراهيم ﷺ ذكر أباه آزر، وبجانب موسى وهارون عليهما السلام ذكر الله فرعون وهامان وقارون، وبجانب محمد ﷺ ذكر أبا لهب بالاسم، وغيره بالصفة، وبجانب مريم وامرأة فرعون ذكر امرأة نوح وامرأة لوط. ذكر الأولون في مقام الثناء عليهم، وإسباغ الرضى والرحمة، وذكر الآخرون في مقام الذم وصب الغضب واللعنة عليه، مع ذكر أسباب الثناء وأسباب الذم، لتكون لنا بالصالحين نعم القدوة، فنسعى سعيهم ما استطعنا، وفي الطالحين العظة والعبرة، فنحذر مما أركسوا فيه، وبسببه لعنهم الله وطردهم من رحمته. وبهذه المقاييس القرآنية يجب أن نؤمن، وبها يجب أن نقيس كل ما يعرض علينا من أمور الدين والحياة، فلا نفهم في التوحيد إلا ما بينه الله سبحانه به، وكذلك الشرك وغيرهما. ولا يخدعنا عن الحق الجلي من كتاب الله كهان ولا أحبار، ولا رهبان، وعلى هداية الحق ننقد التصوف، دون أن نعير التفاتا إلى ثناء المثنين، أو ذم الذامين، ما دمنا نحمل المشعل الوهاج من القرآن يكشف لنا ما خفي من أمر التصوف. فما يهم بعده ثناء الملايين على ابن عربي وابن الفارض، وكيف ونحن نعرف قصة فرعون وقصة الوثنية، ونعرف بم حكم الله على الجميع!؟ فكل من نجده في دينه منتسبًا إلى الفرعونية أو الوثنية حكمنا عليه بحكم الله، وإن ضج الملايين من الصوفية!!

المكفرون لابن الفارض

وأما التفصيل والتعيين، فقد رماه بالزندقة بشهادة الكتب الموثوق بها نحو من أربعين عالمًا، هم دعائم الدين من عصره إلى عصرنا، فمن أهل عصره سلطان العلماء عز الدين [ابن] عبد السلام الشافعي، والحافظ الفقيه الأصول تقي الدين ابن الصلاح الشافعي، والإمام الفقيه المحدث الصوفي قطب الدين القسطلاني الشافعي، والإمام نجم الدين أحمد بن حمدان الحنبلي[١] وشرح التائية، وبين عواره فيها بيتًا بيتا - وأبو علي عمر بن خليل السكوني المالكي، والشيخ جمال الدين بن الحاجب المالكي.

وممن يليهم قاضي القضاة تقي الدين ابن دقيق العيد الصوفي الشافعي، وقاضي القضاة تقي الدين عبد الرحمن بن بنت الأعز الشافعي، وقاضي القضاة بدر الدين ابن جماعة الشافعي، والشرف عيسى الزواوي المالكي، والسعد الحارثي الحنبلي، والإمام أبو حيان الشافعي، وأبو أمامة ابن النقاش الشافعي، والحافظ شمس الدين الموصلي الشافعي، وشيخ الإسلام تقي الدين السبكي الشافعي، وشيخ الفقهاء الزين[٢] الكتناني الشافعي، والشيخ تقي الدين ابن تيمية الحنبلي.

وممن يليهم الكمال جعفر الأدفوي[٣] الشافعي - ونقل ذم التائية عن العلماء - والبرهان إبراهيم السفاقسي المالكي، والشهاب أحمد بن أبي حجلة الحنفي، والحافظ شمس الدين الذهبي الشافعي، والحافظ عماد الدين ابن كثير الشافعي.

وممن يليهم العلامة شمس الدين محمد العيزري[٤] الشافعي، وشيخ الإسلام سراج الدين عمر البلقيني الشافعي، وعلامة زمانه علاء الدين محمد البخاري الحنفي

---

(١) من أئمة الفقه والأصول، ولي نيابة القضاء بالقاهرة. ولد سنة ٦٠٣، وتوفي سنة ٦٩٥هـ.

(٢) في الأصل: الدين.

(٣) ولد سنة ٦٨٥، أو سنة ٦٧٥هـ، وتوفي سنة ٧٤٨هـ.

(٤) ولد بالقدس سنة ٧٢٤، وتوفي سنة ٨٠٨هـ، ومن شيوخه ابن قيم.

الصوفي - وكفَّر بعض من قال بحضرته: إن ذلك يُؤوَّل[١]، وما أنكر عليه أحد ممن كان حاضره من العلماء تكفيره له، ولا غيرهم من أهل زمانه من مذهب من المذاهب، وما وسع المكفِّر إلا البراءة من الاتحادية ومذهبهم.

وممن يليهم قاضي القضاة ولي الدين العراقي، وقاضي القضاة حافظ عصره شهاب الدين أحمد بن حجر الشافعي، وقاضي القضاة بدر الدين محمود العيني الحنفي وقاضي القضاة شمس الدين البساطي المالكي، وعلامة اليمن بدر الدين حسين ابن الأهدل الشريف الشافعي الصوفي، كما شهد بهذا النقل عنهم نحو عشرين كتابًا من مصنفاتهم، ومصنفات غيرهم من العلماء، وهي شرح التائية لابن حمدان، وديباجة ديوان ابن الفارض، ولحن العوام لابن خليل، وتفسير أبي حيان البحر والنهر والفرقان لابن تيمية[٢]، وقصيدة السفاقسي التي يقول فيها:

وكالششتري القونوي ابن فارض ■■■ فلا برَّد الله ثراهم، ولا أسقى

والقونوي الذي ذكره صدرُ الدين [٦٦] صاحب ابن عربي، وكتاب ابن أبي حجلة، والميزان ولسانه لابن حجر، والتاريخ لابن كثير بخطه، وناصحة الموحدين للعلاء البخاري، والفتاوى المكية للعراقي، وتاريخ العيني وشرح التائية للبساطي، وكشف الغطاء لابن الأهدل. فهذه ستة عشر كتابًا وقصيدة شهدت بكفره من بضع وعشرين عالماً، هم أعيان كل عصر.

---

(١) من قال بهذا هو شمس الدين البساطي كما ذكر المؤلف من قبل.

(٢) لا يكاد يخلو كتاب من كتب ابن تيمية من نقد الصوفية، وبيان عوارهم ويلاحظ أن البقاعي لم ينقل عن ابن تيمية سوى النذر اليسير، بل الذي لا يكشف تمام الكشف عن العبقرية المحلقة للإمام الجليل في نقده للتصوف بالعقل والنقل، وهذا يثير الدهشة من جانب البقاعي، أما نحن فيسرنا هذا حتى لا توضع خصومة ابن تيمية للتصوف موضع التهمة من الصوفية في هذا الكتاب.

موقف شيوخ المذاهب من ابن الفارض

وممن كفره قاضي القضاة سعد الدين الديري الحنفي، وقاضي القضاة محقق زمانه شمس الدين القاياتي، ونادرة وقته عز الدين بن عبد السلام القدسي الشافعي والعلامة علاء الدين القلقشندي الشافعي، والشيخ يحيي العجيسي المالكي والعلامة شمس الدين البلاطنيسي الشافعي شيخ الشاميين في وقته، وشيخ الإسلام عبد الأول السمرقندي الحنفي ابن صاحب الهداية، والعلامة الصوفي كمال الدين ابن إمام الكاملية الشافعي، والعلامة شهاب الدين ابن قر الشافعي، والعلامة أبو القاسم النويري المالكي، كما شهد بذلك الثقات من أصحابهم.

فهؤلاء أعيان العلماء في عصر ابن الفارض، وفي كل عصر أتى بعده طبقة بعد طبقة إلى وقتنا هذا؛ وقد اجتمع فيهم أهل المذاهب الأربعة التي هي عمدة الإسلام[١]، فشهادة هؤلاء العلماء الموثوق بهم حجة على من قال بكفره، أما من لم ندركه فبشهادة الكتب الموثوق بصحة نسبتها إلى قائليها.

وأما من أدركناه فبشهادة الكتب في بعضهم، وشهادة الثقاة في باقيهم[٢]، هذا إلى ما شهدت به شروح التائية كما يأتي.

---

(١) يسير المؤلف مع القافلة الشرود فيرى في المذاهب الأربعة عمدة الإسلام، وينسى الكتاب والسنة اللذين أمرنا الله سبحانه أن نرد إليهما كل شيء، ولو رددنا أمر الصوفية إلى بعض شيوخ هذه المذاهب - لا الأئمة الأربعة رضوان الله عليهم - لوجدناهم يصححون له زندقته، أما الكتاب الكريم فقد حكم الله فيه بالكفر على القائل: الله هو المسيح، وابن عربي يقول: الله عين كل شيء.

(٢) إن من يقرأ نصف بيت من تائية ابن الفارض، كقوله مثلاً: فبي دارت الأفلاك، أو: وفي الصحو بعد المحو لم أك غيرها. أو: وما زلت إياها. من يقرأ شيئًا من هذا لا يتردد في الحكم على ابن الفارض أنه رجل انسلخ عن الإسلام، يحكم بهذا المسلم، بل غير المسلم ممن يقارنون بين التوحيد في القرآن، وبين الوحدة عند ابن الفارض. فما بالك، وقد حكم عليه كل أولئك العلماء؟!

تواتر نسبة ابن الفارض إلى الكفر

فقد صارت نسبة العلماء له إلى الكفر متواترة تواترًا معنويـًا، وقد علم بهذا عذر من كفَّره، لو لم يكن له سند غير هذا، فكيف وقد تأيد هذا بما في كلامه وكلام ابن عربي من الطامات التي منها منابذة العقل والشرع كما مضى؟.

الضلال عند الصوفية خير من الهدى

أما ما في الفصوص من ذلك، فقد قال في الفص النوحي في أثناء تحريفه لسورة نوح عليه السلام، التحريف الذي يكفر الإنسان بأدنى شيء فيه[1]: ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيراً﴾ (سورة نوح:٢٤) أي حيَّروهم في تعداد الواحد، ﴿وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ﴾: المصطفين الذين أورثوا الكتاب، فهم أول الثلاثة ﴿إِلاَّ ضَلالاً﴾ إلا حيرة، فالحائر له الدور والحركة الدورية حول القطب، فلا يبرح منه، وصاحب الطريق المستطيل مائل خارج عن المقصود طالب ما هو فيه، صاحب خيال إليه غايته، وله «من» و «إلى» وما بينهما، وصاحب الحركة الدورية لا بدء له، فيلزمه «من» ولا غاية له، فيحكم عليه «إلى» فله الوجود الأتم، وهو المؤتى جوامع الكَلِم والحكم» وقال: ﴿وَمَكَرُوا مَكْراً كُبَّاراً﴾ (سورة نوح:٢٢)؛ لأن الدعوة إلى الله مَكْرٌ بالمدعُوِّ، لأنه ما عدم من البداية، فَيُدْعى إلى الغاية، ادعوا إلى الله، فهذا [٦٧] عين المكر»[2].

رب ابن الفارض أنثى

وأما ما في التائية من ذلك فقال فيها مخاطبًا لله تعالى - كما أجمع عليه شراحه - بضمير المؤنث من أولها إلى آخرها وهي نحو سبعمائة[3] بيت، ولو خاطب أحد من

---

(١) في هامش الأصل: لعله: منه.

(٢) سبق نقل هذا عن ابن عربي وتعليقي عليه.

(٣) بل تقارب الثمانمائة.

أهل الزمان غيرَه بمثل ذلك[١] قاتَلَه، لكن الناس لا يحلمون إلا عند حقوق مولاهم سبحانه، وأما في حقوقهم، فهم في غاية الحدة والمشاحة[٢]، والله الهادي.

تفضيل الزنديق نفسه على الرسل

قال:

وحزني ما يعقوبُ بَثَّ أقلّه ■■■ وكلُّ بلا أيوب بعضُ بليتي

فضله الشارع على من ذكر في البيت كما هو ظاهر العبارة وعلَّل ذلك بقوله «لقوة استعداده، فسار في خطوة واحدة ما لا يستطيعه غيره إلا في أزمنة طوال» وقال القاضي عياض في أواخر الشفاء: «من قال: صبرت كصبر أيوب، إن دريء عنه القتل لم يسلم من عظيم النكال» وأقول: فكيف إذا فضل نفسَه، وكذب نحو قوله ﷺ: «أشد الناس بلاءً الأنبياء»[٣]؟!

الخلاعة سنة ابن الفارض

قال:

وخلع عذاري فيك فَرْضِي وإن أبى اقترابي ■■■ قومي، والخلاعة سنتي

وليسوا بقومي ما استعابوا تهتكي ■■■ فأبدوا قلًى واستحسنوا فيك جفوتي

وأهليَ في دين الهوى أهلُه، وقد ■■■ رضوا ليَ عاري واستطابوا فضيحتي

فمن شاء، فليغضب سواك، فلا أذى ■■■ إذا رضيت عني كِرام عشيرتي

ذللتُ بها في الحي حتى وجدتني ■■■ وأدنى منالٍ عندهم فوق همتي

---

(١) أي: بمثل غزله الماجن في الذات الإلهية.

(٢) مثال ذلك حنق الصوفية على كل من يذود عن الكتاب والسنة، ومن يحكم على طواغيتهم بحكم الله، ثم تمجيدهم لما يشتم به ابن عربي الله رب العالمين، وهتافهم الساجد لوثنيته الباغية.

(٣) سبق ذكره، وتخريجه ومعناه.

وأخملني وَهْنا خضوعي لهم، فلم ■■■ يروني . هوانًا[١] بي . محلا لخدمتي
ومن درجات العز أمسيتُ مُخْلِدًا ■■■ إلى دركات الذل من بعد نخوتي
فلا باب لي يُغشى، ولا جاه يُرتجى ■■■ ولا جار لي يُحمى لفقد حَمِيَّتي
كأن لم أكن فيهم خطيرًا، ولم أزل ■■■ لديهم حقيرًا في رخائي وشدتي
فحالي بها حالٍ[٢] بعقلٍ مُدَلَّهٍ[٣] ■■■ وصحةِ مجهود، وعز مذلة
أسرَّت تُمَنِّي وصْلَها النفسُ حيث لا ■■■ رقيب حِجًا سِرًا لِسِرِّي وخصت
يغالط بعض عنه بعضي صيانة[٤] ■■■ ومَيْني في إخفائه صدق لهجتي

أجمع شراح التائية على أن المراد بالأبيات التسعة الأولي: أن طريقه هتك أستار الحرمة، والخرق في بعض النواميس الإلهية، وتخليته الناس مع ربهم من غير أمرٍ بمعروف، ولا نَهْيٍ عن منكر، ورضاه بكل ما يقع منهم لشهوده الأفعال كلها الواحد[٥] الحقيقي الظاهر في صور الكثرات، وعدم الالتفات إلى المُتَرَسِّمين من الزُّهَّاد والعُبَّاد، وكسر نواميسهم[٦]، والرد عليهم وعدم التقييد بظواهر العلوم والاعتقادات، فحملهم ذلك على أن رموه بالفسق والبدعة والكفر والإباحة والزندقة والخروج عن طريقهم، فذل بين حي أهل الشريعة والطريقة وأجمعوا[٧] على أن المراد من الثلاثة {٦٨} الأخرى أن نفسه أَسَرَّت تُمَنِّي الوصلَ، وتَحَقَّقَها بحقيقته حتى غاب عنها رقيبُ العقل؛ خوفًا من اطلاعه على ذلك، فيغلب عليه حكم التنزيه، فيقوم

---

(١) في الأصل: هو أناتي.
(٢) أي: متزين.
(٣) في الأصل: لعقل مدلة، والتصويب من الديوان.
(٤) في الأصل: صبابة، ويقصد ببعضه الأول: نفسه، وبالآخر: عقله.
(٥) لعله سقط قبلها: من، أو: فعل، أو: صادرة عن .
(٦) في الأصل: نواميسم.
(٧) أي: شراح التائية.

بالمنع والتشنيع، فيقول[١]: ما للراب ورب الأرباب، وأنه بالغ في الإخفاء خوفًا من أن يتنبه العقل[٢]، فيقوم يشنع وينكر، فصار كل واحد من الصفات يغالط الآخر، وكذبه في هذا صدق لهجته.

وقال بعد ذلك بكثير:

ولا استيقظت عين الرقيب، ولم تزل ▪▪▪ عليَّ بها في الحب عيني رقيبتي

قال التلمساني: «يعني لما سكرت روحي، ونامت عين الرقيب ـ وهو الشرع والعقل ـ أقمت عيني رقيبة عليَّ، لرعاية آداب حضرة المحبوبة».

ذمه للرسل وللشرائع

وقال في ذم الشرع أيضًا:

منحتُك عِلْمًا إن تُردْ كَشْفَه فَردْ ▪▪▪ سبيليَ، واشْرَعْ في اتباع شريعتي

فَنَبْعُ صَدَاءِ[٣] من شراب نقيعُه[٤] ▪▪▪ لَدَيَّ، فدعني من سراب بقيعة

ودونك بحرًا خضته، وقف الأولى ▪▪▪ بساحله صَوْنًا لموضع حُرْمَتي

قال الشراح: «إن معنى ذلك أنه منع أتباعه علمًا كماء صَدَّاء، وهو ماء يُضرَب به المثلُ في الغزارة والعذوبة، ونهى عن متابعة غيره من علماء الظاهر من الأصوليين والفلاسفة والفقهاء، وغيرهم من أهل العلوم الفكرية، فإنها تغر السامع، وهي كسراب بقيعة ليست شيئًا، وأنه خاض بحر التوحيد، وأخرج منه ما لم ينله أحد من

(١) أي: العقل.
(٢) هذا إقرار صريح بأن نتائج التصوف تجافي العقل، فإذا كان دينهم يجانب الشرع والعقل. فماذا بقي؟
(٣) في الديوان: صدا بالقصر لضرورة الشعر، وهي صداء بالمد وتشديد الدال.
(٤) في الأصل: نقيعة.

السابقين من الأنبياء والأولياء لوقوفهم في ساحل ذلك البحر لأجل حفظ حرمته»[١].
ثم خادعوا[٢] بأن قالوا: «قال هذا على لسان الحضرة المحمدية[٣]؛ إذ كمال التوحيد مختص بمقام جمعه، والكمل والتابعين إياه» انتهى.

وقد وقع من شرحه بذلك ـ مع الحيدة عما لا محيد عنه ـ في الكفر من جهة أخرى، وهي أنه يلزم منه تفضيل أتباع النبي ﷺ على الأنبياء الماضين عليهم السلام[٤].

يفضل أتباعه على الرسل، وزندقته على شرعة الله

ومن نمطه ـ لكونه لا ينفك عن كفر ـ قوله عَقِبَه:

وأصغرُ أتْباعي على عين قلبه ■■■ عرائسُ أبكارِ المعارفِ زُفَّتِ
فإن سِيل[٥] عن معنى أتى بغرائب ■■■ من الفهم جلَّت، أو عن الوهم دَقَّتِ

فإنه لا يصح على لسانه، ولا لسان غيره[٦].

---

(١) أي: حرمة ابن الفارض.
(٢) أي: شراح التائية.
(٣) ظن المؤلف أنهم يقصدون بالحضرة المحمدية محمداً ﷺ، وهذا غير صحيح، فالصوفية يريدون بالحضرة المحمدية الذات الإلهية مع التعين الأول، ومن باطنها يزعمون أنهم يستمدون الفيوضات الإلهية مباشرة، فمعنى قول الشراح إذاً: إنه قال هذا على لسان الله سبحانه. والدليل قولهم: مختص بكمال جمعه: أي أنه هو الذات الكاملة التي جمعت بين الحق والخلق في أكمل ماهية.
(٤) بل تفضيل نفسه على خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى فرض صحة زعمهم أنه يتكلم بلسان محمد ﷺ، فإنه يكون بهذا قد تعمد الكذب على رسول الله، فهو ﷺ ما قال هذا الشعر الصوفي، وجزاء متعمد الكذب على الرسول الكريم معروف.
(٥) أي: سئل.
(٦) أي: ولا لسان محمد ﷺ، رداً على زعمهم أنه يتكلم بلسان الحضرة المحمدية.

ثم قال في ذم الشرع والعلم:

ولاتك ممن طيَّشْته دروسُه ■■■ بحيث استقلَّت عقلَه واستفزت

فثَمَّ وراء النقل علم يَدِقُّ عن ■■■ مدارك غايات العقول السليمة

تلقيتُه مني، وعني أخذتُه ■■■ ونفسي كانت من عطائي[1] مُمِدَّتي

قالوا في معناه: «لا يستخفنك كثرة دروس العلوم النقلية، فوراءها علم مكنونٌ أخذتُ ظاهره من حسي، وباطنه من عقلي، وسِرَّه من روحي، ومكنونه من سري من حيث أن كل واحد منها عيني وذاتي، ولا وصف، ولا نَعْتَ زائد عَلَيَّ حاكم بمغايرتي، وغيريتي إياها، فكنتُ المعطِي، وكنتُ المعطَى، وكنتُ المُمِد، وكنتُ المُسْتَمِدَّ، والفاعلَ والقابلَ»[2].

هذا أمرهم {٦٩} في الانسلاخ من العقل.

الصلة بين التصوف والنصرانية

وقد شهد عليهم العلماء بذلك. قال العلامة قاضي القضاة شمس الدين البساطي في أول كتاب له في أصول الدين في المسألة السادسة من الكتاب الثاني في أنه سبحانه ليس متحداً بشيء: «واعلم أن هذه الضلالة المستحيلة في العقول سرت في جماعة من المسلمين، نشأوا في الابتداء على الزهد والعبادة ـ إلى أن قال ـ: ولهم في ذلك ـ أي الاتحاد بالمعنى الذي قالته النصارى ـ كلمات يعسُر تأويلُها، بل منها ما لا يقبل التأويل، ولهم في التأويل خَلْطٌ وخَبْطٌ كلما أرادوا أن يقربوا من المعقول،

---

(١) في الأصل: بالعطاء. والتصويب من الديوان. وابن الفارض يختار كلمتي الإعطاء والإمداد عن عمد آثم يدلك على مبلغ اعتقاده في أنه هو الله؛ إذ الله سبحانه هو الذي يقول عن نفسه تعالى: ﴿كُلاً نُمِدُّ هَؤُلاء وَهَؤُلاء مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ﴾ (سورة الإسراء: ٢٠).

(٢) لو قرأت بإزاء هذا قول الله ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ لحكمت على هذا الرجل بآية واحدة بأنه خارج عن الإسلام.

ازدادوا بعدًا، حتى أنَّهم استنبطوا قضية حلَّت لهم الراحةَ، وقنعوا في مغالطة الضرورة بها بالمغيب، وهي أن ما هم فيه ويزعمونه وراء طَوْرِ العقل، وأنه بالوجدان يحصل، ومن نازعهم محجوبٌ مطرود عن الأسرار الإلهية»، وهكذا قال الشيخ سعد الدين في شرح المقاصد، والشريف في شرح المواقف[١].

ادعاؤه الربوبية

ولما تمهد له في زعمه[٢] ادعى أنه الله؛ عنادًا لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ (سورة المائدة:١٧)، وقوله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ﴾ (سورة التوبة:٣١)، وقوله تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ (سورة مريم:٦٥)، ولأمر[٣] رسول الله ﷺ في قتاله لكل من سمَّى شيئًا غير الله إلها، فقال شعر:

فَبي دارت الأفلاكُ فاعجب لقطبها ▪▪▪ المُحيطِ بها، والقطبُ[٤] مركز نقطتي

---

(١) سبق ذكر نصي العضد والسعد.

(٢) أي: في زعم ابن الفارض.

(٣) معطوفة على قوله قبل: لقوله تعالى.

(٤) زيادة على ما ذكرته قبل عن القطب عند الصوفية أقول هنا: القطب عندهم نوعان: قطب قديم أو معنوي، وقطب حادث أو حسي. فإن كان بالنسبة إلي ما في عالم الشهادة من الخلق فهو القطب الحادث أو الحسي، وهذا يستخلف بدلاً منه عند موته أقرب الأبدال منه، إذ كان هو قبل القطبية بدلا، ثم استخلفه القطب الذي كان قبله عند موته، وإن كان بالنسبة إلى ما في عالم الغيب والشهادة من تعينات الوجود المطلق، فهو القطب القديم، أو المعنوي. لا يستخلف عنه بدلاً، ولا يقوم أحد من الخلائق مقامه، إذ هو قطب الأقطاب المتعاقبة في عالم الشهادة، فلا يسبقه قطب ولا يخلفه آخر، أي ليس قبله قبل، ولا بعده بعد. والقطب القديم هذا هو الروح المصطفوي، أو الحقيقة المحمدية، أو هو الله ـ وسبحان رب العالمين ـ حين عرف نفسه في أول صورة تعين فيها، وسماها الحقيقة المحمدية، ومن خصائص هذا القطب القديم وجود كل الأفلاك بوجوده، ودورانها به، وحوله، وإحاطة علمه وقدرته بأقطارها، وسمو رتبته وشرفه عن ذرى رتبتها وسنام شرفها. وهنا يزعم ابن الفارض أنه هو هذا القطب القديم، يعني قطب الأقطاب، يعني أنه الله سبحانه!! يزعم أن =

فمن قال، أو من طال، أو صال إنما ■■■ يَمُنُّ بإمدادي له برقيقة

وما سار فوق الماء، أو طار في الهوا ■■■ أو اخترق النيران إلا بهمتي

وعنِّيَ من أمددتُه برقيقةٍ ■■■ تصرَّفَ[1] عن مجموعة في دقيقة

وَمِنِّيَ لو قامت بميْتٍ لطيفة ■■■ لَرُدَّت إليه نفسه، وأعيدت

ولا تحْسَبَنَّ الأمر عَنِّيَ خارجا ■■■ فما سادَ إلا داخلٌ في عبودتي

فلا حَيَّ إلا عن حياتي حياتُه ■■■ وطوْعُ مرادي كلُّ نفس مُريدَة[2]

[ولولاي لم يوجد وجود، ولم يكن ■■■ شهود، ولم تُعْهَدْ عهود بِذِمَّةِ][3]

ولا قائل إلا بلفظي مُحَدِّثٌ ■■■ ولا ناظِرٌ إلا بناظر مقلتي

هذا لا يصح كونه عنه، ولا عن الله[4]!!

= علمه محيط بكل شيء، وأن قدرته تصرف لمشيئته كل شيء، وأنه فوق كل شيء بالشرف والرتبة، وأنت ـ ولا ريب ـ على ذكر من أن الله سبحانه هو وحده الذي يحيط علمه بكل ما في عالم الغيب والشهادة وغير هذا مما لا يوصف به إلا الله سبحانه وتعالى وحده. أنت ـ ولا ريب ـ مدرك من قول ابن الفارض أنه ينسب كل هذه الصفات الإلهية لنفسه، فهل يجوز أن يعتريك وهم في أن ابن الفارض يقرر أنه هو الله ذاتًا وصفةً وعلمًا وقدرةً، أعني له الربوبية والإلهية.

«انظر (ص ١٠٣، جـ٢ـ كشف الوجوه الغر، لعبد الرازق القاشاني المطبوع على هامش شرح ديوان ابن الفارض، ط ١٣١٠هـ المطبعة الخيرية) فعنه بخاصة كتبت ما كتبت عن القطب، وإن كان لنا شيء فالأسلوب وحده. كل هذا لنقطع على الصوفية سبيل ادعاء أن ما نقول مفترى عليهم، فلا والله ما نأخذ ما نكتبه عنهم إلا من كتب آلهتهم!!.

(١) في الأصل: في.

(٢) في الأصل: أبية. والتصويب من الديوان.

(٣) هذا البيت ساقط من الأصل، وأثبته عن الديوان.

(٤) هذا رد علي زعم شراح التائية أن ابن الفارض يتكلم بلسان الحضرة الإلهية.

زعمه أن صفات الله عين صفاته

ويقول أيضًا أن الله يتحد به، بحيث يصير الذاتان ذاتًا واحدة، فمن ذلك قوله:

ولا مُنْصِتٌ إلا بسمعي ولا سامع ■■■ ولا باطشٌ إلا بأزْلي وشِدَّتي

ولا ناطق غيري، ولا ناظرٌ، ولا ■■■ سميعٌ [سِوَائي][1] من جميع الخليقة

وهاأنا أُبْدِي في اتحادي مَبْدَئي ■■■ وأُنْهي انتهائي في تواضُع رِفْعَتي

جَلَتْ في تَجلِّيها الوجودَ لناظري ■■■ ففي كل مَرْئي أراها برؤية

وأُشْهِدتُ غَيْبي إذ بدت فَوَجَدْتني ■■■ هنالك إيَّاها بجَلْوَة خَلْوَتي

فَوَصْفي ـ إذا لم تَدْعُ باثنين ـ وصفُها ■■■ وهيئتها ـ إذ واحد نحن ـ هيئتي[2]

---

(١) في الأصل: سواي. وهي في الديوان كما أثبتها.

(٢) زعم الزنديق قبل أنه قطب الأقطاب، وأن له وحده القدرة المهيمنة، والعلم المحيط بما في عالمي الغيب والشهادة، وفي هذه الأبيات يوغل أيضًا في التزندق إيغالاً فاجرًا، فيزعم أنه السيد لكل سيد، وأنه مفيض الحياة والوجود، وأنه المهيمن على إرادة كل مريد، فلولاه ما وجد موجود، ولا خلق كائن، ولا أخذ العهد على الآدمية أن تعبد الله، ولا دعا إلى الله ـ بالحق ـ نبي أو رسول؛ لأنه الآخذ لهذا العهد على عبيده، المرسل للرسل، المانح المعطي كل كائن وجوده وحياته، ولما كان ابن الفارض يدين بأن الله سبحانه هو عين خلقه، وأنه ـ أي ابن الفارض ـ هو الله، فقد هوى هنا في هذه الأبيات مع الزندقة إلى غورها السحيق، إذ يزعم أن ما تلفظه الشفاه هو في الحقيقة ألفاظ الله، وأن ما تسمعه الآذان، وتراه العيون، عين ما يسمع الله ويرى، بل الآذان والعيون هي في حقيقتها آذان الله وعيونه ـ وتعالى الله عما يشركون، مشيرًا في لآمة ماكرة إلى الحديث القدسي «كنت سمعه.. الخ» ملمحًا بهذه الإشارة إلى أن السنة تؤيد بهتان مجوسيته. وقد سبق الرد على ما يدندن به الصوفية حول هذا الحديث... كل هذا يهرف به مخبول الزندقة، ليؤكد لك عشرات المرات أنه هو الله، ورغم جلاء الكفر الآثم في شعره، فإنا مازلنا نسمع من الأحبار أن ابن الفارض سلطان العاشقين، في حين أن كفر ابن الفارض أشد جحودًا، وأخبث وسيلةً وغايةً من كفر الشيطان، فإبليس في لحظة تحدي العبودية الآبقة للربوبية المهيمنة، لم يذهله التحدي عن عزة الله، وأنه سبحانه هو الأعظم الأكبر، فلم يقسم بغير عزة الله: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (سورة ص:٨٢)، وإبليس في لحظة الجحود والعناد لم يزعم لنفسه القدرة الشاملة، ولا التصرف الكامل، فقال: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾، وإبليس في لحظة التخايل بالكبر المقيت لم يزعم لنفسه أنه غني عن الله، ولا أن حياته طوع إرادته هو، فدعا الله سبحانه دعاء المفتقر إلى من يؤمن بأنه غني أن ينظره الله إلي يوم البعث: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ (سورة الحجر:٣٦)، فتأمل في كفر إبليس وكفر ابن الفارض، وثمت تقول مع الحق: وأين من كفر الزنديق كفر إبليس؟!!

فـإن دُعـيت كنتُ المجـيب وإن أكن ▪▪▪ مُنادَى أجـابتْ من دعـاني، ولبَّت

[٧٠] وإن نطقت كنتُ المناجي، كذاك إن ▪▪▪ قـصصتُ حديثًا إنما هي قصَّتِ

فقد رُفعت تاء المخاطب بيننا[١] ▪▪▪ وفي رفعها عن فُرقة الفَرْق[٢] رفعتي

فإن لم يُجَوِّز رؤية اثنين واحدًا ▪▪▪ حجاك، ولم يُثْبِتْ لبعد تَثَبُّت

سأجلو إشارات عليك خفية ▪▪▪ بها، كعبارات لديك جلية

وأثبتُ بالبُرهان قولي. ضاربًا ▪▪▪ مِثال مُحِق، والحقيقة عمدتي

بمتبوعة ينبيك في الصَّرْع غيرُها ▪▪▪ على فمها في مسِّها حين جُنَّت[٣]

ومن لغة تبدو بغير لسانها ▪▪▪ عليه براهينُ الأدلَّة صَحَّت

وفي العالم حقًا أنَّ مُبْدِي غريبَ ما ▪▪▪ سمعتَ سواها، وهي في الحسِّ أبدت

قال الإمام شمس الدين البساطي في شرح هذه الأبيات: «ومن ظنَّ هذا برهانًا، فجنونُه أعظمُ من جنون المتبوعة» وقال قبل ذلك:

زعمه أن الله سبحانه يصلي له

ولا غــرو أن صلى الأنام إليَّ أن ▪▪▪ ثوت بفؤادي، وهي قِبلةُ قِبْلَتي

لها صلواتي بالمقام أقيمها ▪▪▪ وأشهد فيها أنها لي صَلَّت

---

(١) الخطاب يستلزم الاثنينية، إذ يقتضي وجود مخاطِب، ومخاطَب. لذا ينفي ابن الفارض الخطاب، ليثبت من وراء نفيه، أنه ما ثم غيره حتى يخاطبه، وإنما هناك ذات واحدة، هي الذات الإلهية المتعينة في صورة ابن الفارض، أو لعله يريد أن تاء المخاطب ـ وهي مفتوحة ـ تحولت إلى تاء المتكلم وهي مضمومة، فبدل أن يقول: أنت خلقت، أصبح يقول: أنا خلقت.

(٢) الفرق عند الصوفية: «شهود قيام الخلق بالحق، ورؤية الوحدة في الكثرة، والكثرة في الوحدة من غير احتجاب صاحبه بأحدهما عن الآخر» جامع الأصول في الأولياء. فالفرق لا يزال مشوبًا بالغيرية، لذا يزعم ابن الفارض أنه تسامى عن هذه المرتبة التي يشعر فيها السالك أن ثمت بينه وبين الله سبحانه وجها ما من وجوه الغيرية، وأنه في أفق يوقن فيه وتحقق منه أنه هو عين الذات الإلهية.

(٣) سبق هذا البيت وتعليقي عليه.

كلانا مُصَلٍ واحدٌ ساجدٌ إلى ▪▪▪ حقيقته بالجمع[١] في كلِّ سجدة
وما كان لي صلى سوايَ[٢] ولم تكن ▪▪▪ صلاتي لغيري في أدا كل ركعة

ثم قال بعد ذلك:

وفارق ضلال الفرقِ فالجمعُ مُنْتِجٌ ▪▪▪ هُدَى فُرْقَةٍ بالاتحاد تحدت

رب الصوفية في صور العاشقات

وصَرِّح بإطلاق الجمال، ولا تقل ▪▪▪ بتقييده مَيْلاً لزخرف زينة
بها قَيْسُ لبنى[٣] هام، بل كل عاشق ▪▪▪ كمجنون ليلى[٤]، أو كُثَيِّر[٥] عَزَّة

---

(١) الجمع عند الصوفية: «شهود الحق بلا خلق، أو الإشارة إلى حق بلا خلق، وهو ما يسمى: وحدة الشهود» غير أن ابن الفارض يعني به هنا ما هو أشد كفرًا، إذ يزعم أنه حين يسجد، فالساجد والمسجود له حقيقة واحدة هي الحق في صورة خلق، يعني الإله باعتبار الإطلاق، والإله باعتبار التعين في صورة ابن الفارض.

(٢) فيما قبله عبر بقوله: كلانا مصل وكلا. والضمير الذي بهما يشعران بأنه ثم اثنان يؤديان الصلاة، - وإن كان قد عقبه بما ينفي الاثنينية المفهومة من «كلانا» وهو قوله «واحد ساجد». غير أنه لم يكتف بهذا في نفي الاثنينية، فنظم هذا البيت «وما كان لي صلى سواي... إلخ» توكيدًا لنفي ما نفاه من قبل، وتوكيدًا لمعنى الوحدة بينه وبين الله سبحانه، ومعنى قوله: احذر أن تفهم أن المصلي غير من صلى له، فإنما هما حقيقة واحدة تخدع غير العارف بتجليها في مظهرين غيبي وشهودي، أو مصلى له ومصل، المصلي أنا، والمصلَّى له أنا!! غير أني أقول للزنديق وعبيده: ما زال ثمَّ غير. هو مكان الصلاة، فلا يثبت لك نفي الغيرية والاثنينية.

(٣) في الأصل ليلى، وقيس المذكور هو ابن ذريح أحد مشاهير العشاق. ما زال يشبب بلبنى بنت الحباب الكعبية، ويسعى سعيه حتى تزوج بها، ثم طلقها ثم تزوجها، وكانا في أيام معاوية. عن (تزيين الأسواق) للأنطاكي.

(٤) المجنون هو عامر بن ملوح بن مزاحم، وصاحبته ليلى بنت مهدي بن سعد سلبه عشق ليلى رشده. وكانا في أيام مروان ومن شعره فيها:

أراني إذا صليت يممت نحوها ▪ بوجهي وإن كان المصلى ورائيا
وما بي إشراك ولكن حبها ▪ وعظم الجوى أعيا الطبيب المداويا

(٥) هو كثير بن عبد الرحمن بن أبي جمعة الأسود بن عامر كنيته أبو صخر الشاعر المشهور، كان رافضيًا =

فكلٌ صبا منهم إلى وصف لبسها ▪▪▪ بصورة حسن لاح في حسن صورة

وما ذاك إلا أن بدت بمظاهر ▪▪▪ فظنوا سواها، وهي فيها[١] تجلت

ففي النشأة الأولى تراءت لآدم ▪▪▪ بمظهر حوًا[٢] قبل حكم الأمومة

فهام بها كيما يصير بها أبا ▪▪▪ ويظهر بالزوجين سِرُّ البنوة

انظر إلى هذا التجاسر مع الكفر على صَفِيِّ الله آدم عليه السلام في وصفه بالهيام بالذات الأقدمين[٣] كما لا يخفى ولما لا يخفى:

وما برحت تبدو وتخفى لعلة ▪▪▪ على حسب الأوقات في كل حقْبة

وتظهر للعُشَّاقِ في كل مظهر ▪▪▪ من اللَّبْس في أشكالِ حسن بديعة

ففي مَرَّة لُبْنَى، وأخرى بثينة ▪▪▪ وآونةً تُدْعى بِعَزة عَزَّتِ

ولسن سواها، لا، ولا كُنَّ غيرها[٤] ▪▪▪ وما إن لها في حُسْنِها من شريكةِ

= شديد التعصب لآل أبي طالب، توفي سنة ١٥٠هـ، وصاحبته عزة بنت جميل بن حفص بن إياس، ومن شعره فيها:

لله يعلم لو أردت زيادة ▪▪▪ في حب عزة ما وجدت مزيدا

رهبان مدين والذين عهدتهم ▪▪▪ يبكون من حذر العذاب قعودا

لو يسمعون كما سمعت حديثها ▪▪▪ خروا لعزة ركعًا وسجودًا

والميت ينشر أن تمس عظامه ▪▪▪ مسا، ويخلد أن يراك خلودا

(١) في الأصل: فيهم، والتصويب من الديوان، فالضمير يعود على المظاهر.

(٢) يفتري أن الذات الإلهية تعينت لآدم في صورة حواء.

(٣) في الكلام خلل فلعله سقط منه شيء، ويعجب المؤلف من جسارة ابن الفارض على آدم، وليس بعجيب هذا من رجل قال قبل ذلك: إن الله هو جسد حواء!! وسبحان الله رب العالمين.

(٤) يفتري الزنديق أن لبنى وبثينة وعزة وليلى ما هن إلا الذات الإلهية تعينت في صور هؤلاء الغواني العاشقات، وأن قيسًا وجميلاً وكثيرًا وعامرًا عشاق أولئك النسوة، ما هم إلا الذات الإلهية تعينت في صور هؤلاء العشاق، فمن خصائص الإله الصوفي أنه يتجلى في صورة رجل عاشق، وفي صورة امرأة هلوك عاشقة، وأنه حين يعشق فإنما يعشق نفسه، فهو العاشق والعشق والمعشوق. وابن الفارض يختار لفظ العشق عن عمد تثيره الغريزة الملتهبة، فالعشق كما يعرفه صاحب القاموس: «إفراط الحب، ويكون في عفاف وفي دعارة، أو عمى الحس عن إدراك عيوبه أو مرض وسواس يجلبه إلى نفسه =

كذلك بحكم الاتحاد، لحُسنها ■■■ كما لي بدتْ في غيرها، وتزيّت

بدوت لها في كل صبٍ مُتيم ■■■ بأيّ بديع حسنُه، وبأيتِ

وليسوا بغيري في الهوى لتقدمُهم ■■■ عليَّ بسبقٍ في الليالي القديمةِ

وما القوم غيري في هواي، وإنما ■■■ ظهرت بهم للَّبْسِ في كُلِّ هَيْئَة

ففي مرةٍ قيسًا، وأخرى كُثيِّرًا ■■■ وآونة أبدو جَميل بثينة[(١)]

(٧١) تَجَلَّيت فيهم ظاهرًا، واحتجبت ■■■ باطنًا بهمُ، فاعجب لِكَشفٍ بسُترة[(٢)]

وهن، وهم[(٣)] - لا وَهْنَ وَهْم - مظاهر ■■■ لنا[(٤)] بتجلينا بِحُبٍّ، ونضْرَة

فكل فتى حُبٍّ أنا هو، وهي حِبُّ ■■■ كُلِّ فتى، والكلُّ أسماء لبسة

أسام بها كنتُ المسمَّى حقيقةً ■■■ وكنتُ لي البادي بِنفسٍ تَخَفَّت

وما زلتُ إياها، وإيَّاي لم تزل ■■■ ولا فرقَ، بل ذاتي لذاتي أَحَبَّت[(٥)]

وليس معي في الملك شيء سواي ■■■ والمعيَّة لم تخطر على ألمعيَّتي

= بتسليط فكره على استحسان بعض الصور»، والصوفية المعاصرة تعيب علينا الإيمان بصفات الله كما هي في الكتاب والسنة، وترجف بنا باغية في كل ناد أننا نجسم الله!! ومعاذ الله أن ننسب إليه إلا ما نسب هو سبحانه إلى نفسه. ألا فلينظروا إلى ربهم الذي صنعته زندقة ابن الفارض، إنه يصوره شهوة عارمة النزوات، وبهذا لقبوه بسلطان العاشقين!!

(١) تكنى أم عبد الملك، وصاحبها جميل بن عبد الله بن معمر بن صباح وكلاهما من بني عذرة، قبيلة اشتهرت بالجمال والحب والعفة فيه، حتى قيل: هوى عذري. وجميل مضرب المثل في صدق الصبابة وعفة الحب، كان وصاحبته في عهد عبد الملك بن مروان.

(٢) دائمًا يذكر ابن الفارض عن نفسه باعتباره أحد تعينات الذات الإلهية أنه يتجلى في صور رجال عاشقين، أما حين يتحدث عن الذات مطلقًا فيزعم أنها تتجلى في صور نساء عاشقات، وما من شك في أنه يريد بهذا تفضيل نفسه على كل تعينات الإله الصوفي، إذ الرجل قيم على المرأة.

(٣) العشيقات والعشاق الذين ذكروا قبل، والذين هم رمز عن الوجود المتعين.

(٤) أي للذات الإلهية باعتبارها وجودًا خاليًا من التعين، ولها باعتبارها خلقًا سمي ابن الفارض.

(٥) هذا وما قبله يؤكد أن ابن الفارض ممن يدينون بوحدة الوجود، لا بالاتحاد. ألا تراه يؤكد أن مظاهر الوجود المختلفة هي عين الذات، وأن الذات منذ أحبت أن تتعين وهي تتجلى في صور الوجود، وأن هذه الحقيقة - حقيقة تعين الحق في صور الخلق - لا يطيف بها وهم من الأوهام؟!

فهذا ظاهر في إرادة الاتحاد[١] بحيث أن الذاتين تكونان ذاتا واحدة، لا شبهة فيه أصلاً.

ثباته على اعتقاد الوحدة

ثم قال في إثباته[٢]، ونفي الحلول:

رجعت لأعمال العبادة عادة ■■■ وأعدت أحوال الإرادة عُدَّتي

وعُدتُ بِنسْكي بعد هَتكي، وعدت من ■■■ خلاعة بسطي، لانقباض بعفتي

وصمتُ نهاري رغبةً في مثوبة ■■■ وأحييت ليلي رهْبةً من عقوبة

وعَمَّرتُ أوقاتي بِوِردٍ لِوَارِدٍ ■■■ وصُمْتُ لِسَمْتٍ، واعتكافٍ لحُرمة

وبنت عن الأوطان هجران قاطع ■■■ مواصلة الأحباب، واخترت عُزلتي

ودققتَ فكري في الحلال تَورُّعًا ■■■ وراعيتُ في إصلاح قُوتي، وقُوَّتي

وأنفقتُ من يُسْرِ[٣] القناعة راضيًا ■■■ من العيش في الدنيا بِأيْسَرَ بُلغَةِ

وهذبتُ نفسي بالرياضة، ذاهبًا ■■■ إلى كشف ما حُجْبُ العوائد غَطَّت

وجَرَّدت في التجريد عزمي تَزَهُّدًا ■■■ وآثرتُ في نُسكي استجابةَ دعوتي

متى حِلْتُ عن قولي: أنا هِيَ، أو أقل ■■■ وحاشا لمثلي انها فيَّ حَلَّت

جميع هذه الأفعال التي هي محاسن الشريعة جعلها نقائض، ودعا على نفسه بها[٤]، إن ادعى الحلولَ، أو حالَ عن دعوى الاتحاد.

---

(١) الصور اللفظية لابن الفارض تشعر بهذا، أما معانيه وشرحه في القصيدة لمعتقده فيؤكدان إيمانه بالوحدة.

(٢) أي: في إثبات الاتحاد، والحق أنها وغيرها في إثبات الوحدة.

(٣) في الأصل: سر، والتصويب من الديوان.

(٤) يدعو ابن الفارض على نفسه بالعودة إلى مرتبة العبودية المصلية الصائمة الذاكرة، المنطوية على أحزانها في كهف الزهد وغيابة الحرمان، يدعو بهذا على نفسه إن تحول يومًا عما يدين به، =

استدلاله على زندقته

ثم قال بعد هذا بكثير في أواخر القصيدة، دالاً على مذهبه فيما زعم:

وجاء حديث في اتحاديَ ثابت ▪▪▪ روايتُه في النقل غيرُ ضعيفة
يُشير بحُبِّ الحقِّ بعد[1] تَقرُّبٍ ▪▪▪ إليه بنَفْلٍ، أو أداء فريضة
ومَوْضعُ تنبيه الإشارة ظاهرٌ ▪▪▪ بكُنتُ له سمعًا كنورِ الظَّهيرة

قال شارحه: «إن الحبَّ ميل باطني أثره رفع امتياز المحب والمحبوب، ورفع ما بينهما[2]، والمحب عين الحضرة الإلهية، والمحبوب ظهور كماله الذاتي والأسمائي، ولن يصح لقبول هذا الظهور المحبوب منصة إلا الحقيقة الإنسانية صورة ومعنى؛ لكمال جمعيتها، وتتميمها دائرة الأزلية والأبدية، والحديث المشير بهذا الاتحاد: لا يزال العبد يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت له سمعًا وبصرًا ويدًا ولسانًا ورجلاً[3]، وعبارة التلمساني في مقدمة شرحه: نصٌّ في المراد، وهي:

= وهو أنه هو الله سبحانه، أو كما يقول: متى حلت عن قولي: أنا هي!! وجواب «متى» يدل عليه ما سبق من أول قوله: رجعت لأعمال العبادة... إلخ.

(١) في الأصل: عند. وهي كما أثبتها من الديوان.

(٢) أي: رفع كل ما بينهما من فروق ذاتية وصفاتية، حتى تصير الذاتان ذاتًا واحدة هي الحق متلبسًا. بصورة خلقية، قال الجنيد: ويسمونه سيد الطائفة ـ ويزعم من لا يستبطن خبيئة التصوف: أن تصوف الجنيد أقباس من السنة، «سمعت السري السقطي يقول: لا تصلح المحبة بين اثنين حتى يقول الواحد للآخر: يا أنا» بهذا يؤمن الجنيد وخاله السري السقطي، والقشيري ناقل هذا في رسالته في باب الحب، فتأمل متى بدأ التصوف ينفث زندقته!! فالجنيد والسقطي من رجال القرن الثالث الهجري. وكلاهما يؤمن أن غاية الحب صيرورة العبد ربا، حتى يقول الرب للعبد، والعبد للرب: يا أنا!!

(٣) روى الحديث باختصار مخل. وليس في الحديث ذكر كلمة: لسان، وقد سبق الحديث وبيان سنده والرد على ما استنبطه منه الزنادقة. وأنقل لك هنا طرفًا مما شرح به ابن قيم الحديث لترى كيف يفهم المؤمنون، ويهرف بالزندقة الصوفيون: «وخص في الحديث السمع والبصر واليد والرجل بالذكر، فإن =

«فالسمع والبصر، وغيرهما من الصفات في أي موصوف كان هو الله حقيقة» وسيأتي كلام القشيري {٧٢} والسهروردي: أن هذا زندقة، وساق ابن الفارض بعد الأبيات الماضية ما زعم أنه يدل على دعواه الاتحاد وأنه إذا دل على ذلك انتفى الحلول، فقال:

ولستُ على غيبٍ أحيلُك. لا، ولا ▪▪▪ على مستحيل موجب سلب حِليَتي

وكيف، وباسم الحق ظل تحققي ▪▪▪ تكون أراجيف الضلالِ مخيفتي؟

وها دِحْيَةٌ[(١)] وافي الأمينُ[(٢)] نبيَّنا ▪▪▪ بصورته في بدء وَحْي النبوةً

أجبريل قل لي: كان دحية إذ بدا ▪▪▪ لِمُهدي الهدى في هيئة بشرية

وفي علمه عن حاضريه مَزِيَّةٌ ▪▪▪ بما هيَّة[(٣)] المرئيِّ من غير مِرْيَة

يرى ملكًا يوحي إليه، وغيرُهُ ▪▪▪ يرى رجُلاً يرعى لديه لصحبة

ولي من أصحِّ الرؤيتين إشارةٌ ▪▪▪ تنزه عن رأي الحلول عقيدتي

= هذه آلات الإدراك وآلات الفعل، والسمع والبصر يوردان على القلب الإرادة والكراهة، ويجلبان إليه الحب والبغض، فتستعمل اليد والرجل، فإذا كان سمع العبد بالله وبصره به كان محفوظًا في آلات إدراكه، فكان محفوظًا في حبه وبغضه، فحفظه في بطشه ومشيه، فمتى كان العبد بالله هانت عليه المشاق، وانقلبت المخاوف في حقه أمانًا، فبالله يهون كل صعب، ويسهل كل عسير، ويقرب كل بعيد، وبالله تزول الأحزان والهموم والغموم، فلا هم مع الله، ولا غم مع الله، ولا حزن مع الله. ولما حصلت هذه الموافقة مع العبد لربه في محابه، حصلت موافقة الرب لعبده في حوائجه ومطالبه، فقال: «ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه» أي كما وافقني في مرادي بامتثال أوامري والتقرب إليَّ بمحابي، فأنا أوافقه في رغبته ورهبته فيما يسألني أن أفعل به، ويستعيذني أن يناله مكروه» اقرأ الشرح كاملاً في (الجواب الكافي) لابن قيم ط السنة المحمدية ص٢٠٢ وما بعدها.

(١) هو دحية بن خليفة بن فروة بن فضالة، صحابي مشهور. أول مشاهده الخندق، وقيل: أحد. كان مضرب المثل في حسن الصورة، حتى كان جبريل ينزل بصورته. عاش ﷺ إلى خلافة معاوية. (أسد الغابة، الإصابة، الاستيعاب).

(٢) جبريل عليه السلام.

(٣) ما هية الشيء: حقيقته التي تقال في جواب: ما هو؟

يدين بتلبس الله بصورة خلقه

قالوا: «إن المراد ـ كما هو ظاهر جدًا ـ أن جبريل عليه السلام ظهر في صورة دحية من غير حلول فيه، ولأجل ظهوره كذلك ادعى أن الله تعالى تجلى بصورة الناظم، لم يدع حلوله فيه»(١).

---

(١) مع كفره البين بقياس شأن الله على شأن عبده جبريل، وحكمه بوقوع تلبس الخالق بصور الخلق، قياسًا على ما وقع لجبريل، إذ تلبس بصورة دحية.

أقول: مع كفره بهذا، فالحديث ناطق بالحق يهدم ما بنى ابن الفارض ومخانيثه عليه من باطل، فهو لا يثبت إلا ظهور جبريل بصورة دحية، فلم يكن ثم ـ إذا ـ ذاتان اتحدت إحداهما بالأخرى، أو صورتان لحقيقة واحدة، وإنما كان ثم غيران منفصلان تمام الانفصال، ليسا متحدين، لا في ذات، ولا في صفة، ولا في فعل، بل ولا في ماهية أو هوية، ولكل منهما خصائصه، ومقوماته، وحياته التي لا تشبه الأخرى في أدنى شيء، أو تقاربها، كان ثم الحقيقة الملكية، وكان ثم الحقيقة الآدمية. وهذا نقيض ما يدين به ابن الفارض، إذ يدين بالوحدة التامة بينه وبين الله في الهوية والماهية والذات والصفة، يؤمن بأن هذه الكائنات التي لا تتناهى هي عين الذات الإلهية. وأنت ـ ولا ريب ـ قد آمنت بأن الحديث حجة عليه لا له. ثانيًا: فصل الرسول ﷺ وهو سيد العارفين، كما يوقنون ـ بحكمه عن بينة بين جبريل وبين دحية، وهذا الفصل يقتضي أن ذات جبريل غير ذات دحية، أعني يستلزم الغيرية الحقيقية. وابن الفارض يدين بعدم الغيرية وينكرها بتاتًا. ثالثًا: حينما ظهر جبريل بصورة دحية كان ثم أغيار كثيرون حقيقيون غيره. هم الرسول ﷺ وأصحابه، وكان ثم المكان والصوفية يدينون بأنه ما ثم غير من الأغيار، وإنما الكل عندهم عين الذات. رابعًا: حينما ظهرت الملائكة لإبراهيم الخليل عليه السلام ظنهم رجالاً ـ والعارف الحق عندهم من لا تخدعه الصورة عن الحقيقة ـ فقدم لهم طعامًا، فلم ينالوا منه شيئًا، وهذا دليل على أن الملائكة ـ رغم ظهورهم في صور بشرية ـ ظلت على خصائصها الملكية، ولم تنزل على حكم البشرية، فتأكل وتشرب، في حين يدين الصوفية بأن الله سبحانه عين الماهية والهوية من كل موجود، وله خصائصه الحيوانية، أو الإنسانية، أو الجمادية، فيأكل ويشرب ويتزوج وغير ذلك.

قال الحافظ ابن حجر في الفتح: «والحق أن تمثل الملك رجلاً ليس معناه أن ذاته انقلبت رجلاً، بل معناه أنه ظهر بتلك الصورة تأنيسًا لمن يخاطبه» لكن الصوفية ـ يعبر عنها ابن الفارض وابن عربي وغيرهما ـ تدين بأن ذات الحق عين الخلق فيجوز عليها كل ما يجوز عليهم، فهي حقيقة القاتل من فاعل القتل، وشارب الخمر من شاربها، فما من فاعل يأتي بشيء، وما من مجرم يقترف إثمًا إلا وهو الله حقيقة عند الصوفية، وتعالى الله الملك الحق عما يصفون!!».

قال البساطي: لكن دعوى تَجَلِّي الله بصورة ما مُكَفَّر بها[١] شرعًا بإجماع المسلمين والكافرين من آمن به، وإن لم يكن حلولاً»

ثم قال، دالاً على أن ما قاله بزعمه في الكتاب والسنة:

وفي الذِّكْر[٢] ذِكْرُ اللَّبْسِ ليس بِمُنْكَرٍ ... ولم أَعْدُ عن حُكْمي كتابٍ وسنة

وشرحه الشراح كلهم بقوله تعالى في الكتاب العزيز: ﴿نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِ الأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ﴾ (سورة القصص: ٣٠)[٣]. وقوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾ (سورة الأنفال: ١٧)[٤].

---

(١) سبق ذكر هذا النص وتعليقي عليه.

(٢) القرآن.

(٣) يفتري الزنديق أن من كلم موسى هي الشجرة، وأنها كانت هي الله سبحانه متجليًا في صورة شجرة، ثم يأخذ من هذا الإفك الأثيم دليلاً على دعواه، وهو تعين الله في صور خلقية، وتجليه في صورة ابن الفارض، ورغم هذا البهتان المجوسي، فالآية تدمغهم. فإنها تثبت وجود أغيار كثيرة غير الرب الذي ظنوه شجرة. تثبت وجود موسى، والشاطئ، والبقعة المباركة، وابن الفارض ومخانيثه يدينون بأنه ما ثم غير أبدا، فعندهم أن الله سبحانه عين كل شيء. وهم يزعمون هنا أن الشجرة وحدها كانت هي الله، فما استدلوا به يناقض ما يدينون به.

(٤) يتخذ الصوفية ـ كدأبهم في التلبيس الزنديقي ـ من هذه الآية دليلاً على أن فعل العبد عين فعل الله، ليثبتوا من ورائه أن ذات العبد عين ذات الله سبحانه، وإليك ما يرد به الإمام ابن تيمية بهتانهم: «قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾ لم يرد به أن فعل العبد هو فعل الله، كما تظنه طائفة من الغالطين فإن ذلك لو كان صحيحًا لكان ينبغي أن يقال لكل أحد حتى يقال للماشي: ما مشيت ولكن الله مشى، ويقال مثل ذلك للآكل والشارب والصائم والمصلي ونحو ذلك، وطرد ذلك يستلزم أن يقال مثل ذلك للآكل والشارب والصائم والمصلي ونحو ذلك، وطرد ذلك يستلزم أن يقال: وما كفرت إذ كفرت ولكن الله كفر، ويقال للكاذب... ومن قال هذا فهو ملحد خارج عن العقل والدين ولكن معنى الآية: أن النبي ﷺ يوم بدر رماهم، ولم يكن في قدرته أن يوصل الرمي إلى جميعهم، فإنه إذا رماهم بالتراب وقال: «شاهت الوجوه» ولم يكن في قدرته أن يوصل ذلك إليهم كلهم، فالله تعالى أوصل ذلك الرمي إليهم بقدرته يقول: وما أوصلت إذ خذفت ولكن الله أوصل، فالرمي الذي أثبته ليس هو الرمي الذي نفاه عنه، وهو الإيصال والتبليغ، وأثبت له الخذف والإلقاء» باختصار قليل جدًا عن (مجموعة الرسائل والمسائل ـ ص٩٦، جـ١). =

وقوله تعالى: ﴿ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ (سورة الفتح: ١٠)[١]، وفي السنة حديث الإتيان في الصورة التي تُنْكَر يوم القيامة، ثم في الصورة التي تُعرف[٢]، ثم قال[٣]: «فعلم أنه تعالى يتلبس بأي لباس صورةٍ شاء مِمَّا يُعْرَف، ومما يُنْكَر من غير حلولٍ، فكان ظهوره بصورتي جائزًا من غير حلول، فصح بهذا دعوى اتحادي مع نفي الحلول» انتهى. وليس وراءه تصريح بالكفر، نسأل الله العافية.

= وأقول: تثبت الآية وجود رام، وشيء رمي، وقوم أصيبوا بما رمى، فعلى فرض صحة إفكهم أن الرامي هو الله في صورة محمد، فمن هم أولئك الذين رماهم الله؟ وما ذلك الشيء الذي رماهم به؟ أهم عين الله؟ إن قيل بالأول لزمهم كون ربهم من عتاة الجاهلية عباد الصنم، وأنه غلب على أمره. وأصيب بما لم يملك له دفعًا. وهذا هو إله الصوفية الذي تصنعه الأوهام والشهوات. وإن قيل بالثاني لزم وجود غير، بل أغيار كثيرة، وهذا نقيض ما يدعونه، وهو أن الله سبحانه عين كل شيء، وتعالى الله عما يصفون.

(١) يزعم الصوفية أن قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ تؤيد بهتانهم في الاتحاد والوحدة، وإليك رد الإمام ابن تيمية عليهم: «﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾ لم يرد به أنك أنت الله، وإنما أراد به أنك أنت رسول الله ومبلغ أمره ونهيه، فمن بايعك فقد بايع الله، كما أن من أطاعك فقد أطاع الله، ومن ظن في قوله: إن الذين يبايعونك ـ الآية: أن المراد به أن فعلك هو فعل الله، أو المراد أن الله حالٌّ فيك ونحو ذلك فهو مع جهله وضلاله بل كفره وإلحاده قد سلب الرسول خاصيته، وجعله مثل غيره، وذلك أنه لو كان المراد به أني خالق لفعلك، لكان هنا قدر مشترك بينه وبين سائر الخلق، وكان من بايع أبا جهل فقد بايع الله، ومن بايع مسيلمة فقد بايع الله، ومن بايع قادة الأحزاب فقد بايع الله، وعلى هذا التقدير فالمبايع هو الله أيضًا، فيكون الله قد بايع الله، إذ الله خالق لهذا ولهذا، وكذلك إذا قيل بمذهب أهل الحلول والوحدة والاتحاد، فإنه عام عندهم في هذا وهذا، فيكون الله قد بايع الله، وهذا يقوله كثير من شيوخ هؤلاء الحلولية، حتى إن أحدهم إذا أمر بقتال العدو، يقول: أأقاتل الله؟» باختصار قليل جدًا عن (مجموعة الرسائل والمسائل ـ ص٩٧، جـ١).

(٢) سبق ذكر الحديث والرد على استدلال الصوفية به على معتقدهم.

(٣) أي شارح التائية.

وقـالوا في شرح البـيت الثـاني[١]: «إن الحق من أسـمـاء الذات، ومن اتصف بأسماء الذات أعلى ممَّن اتصف بأسماء الصفات،، وقد أخبر عن اتصافه باسم الحق ـ وهو الثابت بذاته، المُثْبِتُ لغيره[٢] ـ فلا يمكن أن يتغيَّر عما ذهب إليه».

رأي القشـيري والسـهروردي

وقال الأسـتاذ أبو القاسم القشـيري في شرحـه للأسماء الحسنى: «إن العـبد لا يجـوز أن يتصف بصـفات ذات الحق كمـا زعم بعضهم: أن العـبد يكون باقيًا ببـقاء الحـق، سمـيعًا بسمـعه، بصيرًا ببـصره[٣]، وهـذا خـروج عن الدين، وانسـلاخ عن الإسـلام بالكلية، وهـذه البدعة أشنع من قـول النصارى: إن الكلمة القـديمة اتحدت بذات عيسى عليه السلام، وهي توازي قول {٧٣} الحلولية».

وقال السهروردي في الباب الحادي والسـتين من عوارفه في الكلام على المحبة ما حاصله: «إن المحبـة: التَّخَلُّقُ بأخلاق الله، ومن ظن من الوصول غيـر ما ذكرنا، أو تخايل له غير هذا القدر، فهـو متعرِّضٌ لمذهب النصارى في اللاهوت والناسوت»[٤]. وقال: «علم البـقاء والفناء يدور على إخلاص الوحدانيـة وصحة العبـودية، وما كان غير هذا فهو من المغاليط والزندقة»[٥].

---

(١) هذا البيت هو:

وكيف، وباسم الحق ظل تحققي ... تكون أراجيف الضلال مخيفتي

(٢) من هذا الغير؟ إن كان خلقًا فقد أقـروا بأن الحق غير الخلق، وهذا نقيض دعواهم، وإن كان هو الحق نفسـه فقد أثبـتوا أن ربهم يغاير نفسـه، محـتاج إلى من يمنحه الثـبوت والوجود، وهذا أيضًـا نقيض دعواهم، فهم ينكرون الغيرية، ويسمونه الوجود المطلق.

(٣) يعني: ما يدين به الصوفـية، وهو أن سمع الله وبصره عين سمع العـبد وبصره، إذ الحق عندهم عين الخلق.

(٤) انظر (ص٣٥٣ ـ عوارف المعارف) ط العلامية، وقد سبق لنا بيان فرق النصارى.

(٥) ص٣٦٢ (عوارف المعارف).

وحدة الأديان عند ابن الفارض

وعلى هذا الأصل المخبث الخبيث - وهو الاتحاد بين جميع الكائنات، وأنه لا غير ولا غيرية في شيء من الوجود - فرَّع صحة كل دين[١]؛ لأن الفاعل عنده إنما هو الله، فأبطل دين الإسلام القائل بأن كل ما عداه[٢] باطل، فصار المحامي له[٣] خاذلاً لمن ينصره[٤]، فإن من كفر ابن الفارض ساع جهده في نصر دين الإسلام، وتأييد النبي عليه أفضل الصلاة والسلام، وأغلب المحامين له يعتقدون أن دين الإسلام - القائل بضلال ما عداه - هو الحقُّ، ويسعون في نصر من يُصَوِّب كل ملة، ويُصَحِّح كل نِحْلة، وهم لا يشعرون أنه قال في تصويب جميع الأباطيل شعر.

شعره في وحدة الأديان

وإن عبد النارَ المجوسُ. وما انطفت ■■■ كما جاء في الأخبار. من ألف. حِجَّة

فما عبدوا غيري، وإن كان قصدهم ■■■ سوايَ، وإن لم يعقدوا عقد نيتي

رأوا ضوءَ نوري مرة، فَتَوَهَّمُوهُ ■■■ نارًا، فضَلُّوا في الهُدى بالأشِعَّة

وإن خَرَّ للأحجار في البُدِّ[٥] عاكف ■■■ فلا وَجْهَ[٦] للإنكار بالعَصَبِيَّة

فقد عبد الدينارَ. معنًى. مُنَزَّهٌ ■■■ عن العار بالإشراك[٧] بالوثنية

---

(١) هذا قول الحق، فالصوفية آمنوا بوحدة الأديان - سماويها ووضعيها - لإيمانهم بوحدة الوجود، فرب الصوفية عين المسلم وعين المشرك وعين المجوسي، ولذا قالوا: الإسلام عين الشرك عين المجوسية عين البهائية، ولذا أيضاً قالوا بنفي العذاب في الآخرة، إذ الإله لا يمكن أن يعذب نفسه!!.

(٢) في الأصل: عدا.

(٣) أي: لابن الفارض.

(٤) أي: لمن ينصر الإسلام.

(٥) بهامش الأصل «البد» بيت الأصنام وهو صحيح.

(٦) في الأصل: فلا تعد بالإنكار، وهي كما في الديوان.

(٧) في الأصل: في الإشراك.

وإن نار بالتنزيل محرابُ مسجد ▪▪▪ فما بار بالإنجيل هيكلُ بِيْعَةِ
وأسفارُ توراةِ الكليم لقومه ▪▪▪ يُناجي بها الأحبارُ في كل ليلة
وما احتار من للشمس. عن غرةٍ[١]. صَبا ▪▪▪ وإشراقها من نور إسفار غُرَّتي
وقد بَلَغَ الإنذار عني[٢] من بَغى ▪▪▪ وقامت بي[٣] الأعذارُ في كل فِرْقَة
فما زاغت الأبصارُ من كل مِلَّةٍ ▪▪▪ ولا راغت الأفكار في كل نِحْلَةِ

قال شراحه: «إنه مَهَّد في هذه الأبيات أعذار كُلٍّ فرقة، وأن كل صاحب ملة ونحلة ـ وإن بطل سعيُه ـ على نصيب من الهدى، فَعُبَّاد النار غيرُ مؤاخذين من جميع الوجوه، بل من وَجْهٍ دون وجه، ولا لوم على أحد، بل لكل واحدٍ وجهٌ، ومحملُ خيرٍ يُحْمَل عليه، فَكُلٌّ يعمل على شاكلته، وكذا عابد الأصنام. قالوا: لا تُنْكِرْ عليه، فإن أنكرت، لم يكن إنكارك إلا تعصبا؛ لأنك لا تنكر على المُقْبِل على الدنيا، مع أنه أقوى شِرْكـا من عابد الصنم ـ وقالوا ـ: كما أن القرآن نور المساجد، فكذلك الإنجيل نور المعابد ـ وقالوا نحو هذا في التوراة، وفي عابد الشمس: إنه بإثباته عينَ الألوهية لم يكن ناقصًا، فقام له عذر من وجه من الوجوه. وذلك كاف للكريم» ولا يقول بشيء من هذا مسلم[٤].

---

(١) في الأصل: غيره.

(٢، ٣) في الأصل: مني - به.

(٤) بل لا يقول به يهودي أو نصراني، والبهائية على خبث معتقدهم، ورغم أنهم امتداد للصوفية لا يقولون بهذا، وإنما القائل به في كل أمة هم الصوفية.

معاندته للتوحيد الحق

وقد عاند التوحيد الحق في قوله:

ولو أنني وَحَّدْتُ أَلحَدْتُ[١] وانسلخت ▪▪▪ من آي جمعي مُشْرِكًا بي صنعَتي

قالوا في شرحه: «لو أنني أثبت وحدة الذات الحق المطلوب المحبوب، ونَفَيْتُ كثرةَ نِسَبِه عنه، كما أثبتت ونفت المُنَزِّهَةُ[٢]، وبعضُ الفلاسفة، لكنتُ مائلا عن سنن الاستقامة؛ لأني أثبت لنفسي وغيري وجودًا يقابل وجودَ الحق» وهذا عين الإلحاد والشرك، فليس وراء هذا كفر، فإن كان هذا مما يفهمه المنازعُ[٣]، كما يفهم الذابُّ عن الشارع، فقد علم منابذته لله، ولرسوله ﷺ، وإن كان لا يفهمه، ويدعي أن له معنى حسنًا، فيكفيه أنه يخوض بالجهل فيما هو أخطر الأشياء، وهو أصول الدين الذي في الزَّلَّةِ فيه ذهابُ الروح والدين، وهو معاندٌ بمنازعته لقوله تعالى: ﴿وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (١٦٨) إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ (سورة البقرة:١٦٨-١٦٩)، ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ (سورة الأعراف:٣٣)، ﴿وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾ (سورة الإسراء:٣٦).

---

(١) يرى في التوحيد الحق الذي جاء به الرسل جميعًا عن الله أنه إلحاد، وهذا هو دين الصوفية سلفهم وخلفهم، ألا تسمع عواء الصوفية تحت قباب الطواغيت وهم يقيئون صلوات ابن بشيش التي يقول فيها: «زج بي في بحار الأحدية، وانشلني من أوحال التوحيد، وأغرقني في عين بحر الوحدة حتى لا أرى، ولا أسمع، ولا أجد، ولا أحس إلا بها» يرون توحيد الرسل أوحالاً من الطين، ويدعون الله أن ينشلهم منها؟ ومتى يدعون، والليل لما يهتك كله السحر عن مهده!! هذا لأن التوحيد الحق يثبت لله وحده الربوبية والإلهية، أما الصوفية فيدعون أن يكون حتى الدراويش منهم أربابا وآلهة، وهذا معنى قولهم: «وأغرقني في عين بحر الوحدة» بل يريدون أن يكونوا وجودًا مطلقًا «وزج بي في بحار الأحدية».

(٢) الذين ينزهون الله سبحانه عن مشابهة خلقه، ويثبتون له سبحانه ما أثبت لنفسه من صفات.

(٣) أي: المنازع في كفر ابن الفارض.

ويكون[١] تابعًا لمجرد العصبية، وحَمِيَّة الجاهلية، مع أنك لا تجد من يحامي عنه إلا منهمكًا في الفسوق والبغي والعقوق، أو قريبا منه، تبعًا له في قوله:

دعوته إلى المجون

وينبيك عن شأني الوليد وإن نشا ■■■ بليدًا بإلهام كوحي وفطنة
ويعرب عن حال السماع بحاله ■■■ فيثبت للرقص انتفاءَ النقيصة
ولا تك باللاهي عن اللهو جملة ■■■ فَهَزْلُ الملاهي جِدُّ نفسٍ مُجِدَّةِ
وإياك والإعراضَ عن كل صورة ■■■ مُمَوَّهَةٍ أو حالة مستحيلة

قالوا في شرحه: «إن الطفل يبين بحاله من الإصغاء إلى المناغي عن حال أهل السماع والرقص، فيثبت بهذا انتفاء النقص خلافًا لما قاله المحجوبون، ولما كان سماع الطفل ورقصُه بَريًّا عن الشهوة والرثاء[٢] كان مُعْرِبًا عن صحة حال سماع الواجدين، ورقصهم[٣] وهزل الملاهي جِدُّ نفس مُجِدَّة، فلا تكن غافلاً عنه، فإنه فائض من الأسماء الإلهية، وما يفيض من الحق إلا ما هو حق لا باطل.

---

(١) أي: المنازع في كفر ابن الفارض، وهو معطوف على قوله قبل: يخوض بالجهل.

(٢) في الأصل: الرثا.

(٣) يدعو ابن الفارض ـ متوهج المجون ـ إلى إلهاب شهوات النفس، واستثارة غرائزها الجامحة بالرقص العربيد والغناء الطافح بالشهوة، ويلح في هذه الدعوة الآثمة، إذ الرقص في دينه معارج الروح إلى أفق رحموت ملكوت الأحدية!!، بل يوقن أن الرقص والغناء فيض إلهي يجب أن تتلقاه أرواح العارفين بالبهجة والنشوة!! وأمس كان يدعو عبد المرآة والشهوات إلى مثل هذا فيستنكر منهم هذا الإثم بعض العلماء، وتثور بها بعض الجماعات الدينية، بل ـ واعجب معي ـ بعض الصوفية، غير أنهم ـ إذا قيل لهم: إن ابن الفارض شيطان هؤلاء، وداعيتهم إلى التلطخ بهذه الردغة ـ أقلقوا مضاجع الليل بالاستغفار أن ذكر سلطان العاشقين أمامهم بسوء!! في حين أن دعوته أدهى شرًا مما يدعو إليه المجان عبيد الغواني، فهو يصور الرقص تنفث به المرأة سم الجريمة، والغناء تتجاوب معه أحط الغرائز، والعشق يرويه دم الأعراض، يصور كل هذه الموبقات على أنها سبحات الإشراق الأسمى، وفيض إلهي =

الباطل إله الصوفية

ولذلك قال ابن عربي «لا تنكر الباطل في طَوْرِه، فإنه بعض ظهوراته»[1]، فقد أفاد هذا أنهم يعتقدون: أن الباطل هو الله، ولو لم يكن في هذا إلا أنه[2] يدعو إلى البطالة والخلاعة والضلالة، لكان كافيًا في استهجانه [٧٥] ومنابذته للدين.

وقد نقل شيخنا حافظ العصر ابن حجر في لسان الميزان أنه كان لهذا الناظم جَوارٍ في البهنسة موظفات للغناء والضرب بآلات الملاهي، وكلما ماتت واحدة منهن اشترى بدلها أخرى، وكان يذهب إليهن في بعض الأوقات، فيسمعهن، ويرقص على غنائهن، ويرجع[3].

المناضل عن ابن الفارض

فالمناضل عنه مسارع إلى شكله، ومضارع لمن كان فعله كفعله، كما قال علي رضي الله عنه بعد قدومه الكوفة بثلاثة أيام: **«قد عرفنا خياركم من شراركم»**، قالوا: كيف؟ وما لك عندنا إلا ثلاثة أيام! قال: **«كان معنا خيار وشرار، فانضم خيارنا إلى خياركم، وشرارنا إلى شراركم»**، وحديث: **«الأرواح جنود مُجَنَّدة»**[4] الذي رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه أعدلُ شاهد لذلك، ويتعين على كل مسلم إنكار ما أنكره الشرع من مثل هذا.

= يصل العارف بالملأ الأعلى يجعل اقتراف ذلك الإثم مظاهر تبتل، ومحراب تألُّه وتعبد، على حين يصفها المجان بأنها علائم حضارة، ودلائل مدنية!! فأي الدعوتين أطغى شرًا، وأخبث كفرًا؟!.

(١) أي: بعض تعينات الإله الصوفي.

(٢) يعني: ابن الفارض.

(٣) ذكر الحافظ في اللسان: أنه نقل هذا عن كتاب التوحيد للشيخ عبد القادر القوصي.

(٤) نص الحديث: **«الأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف»**، ولم يروه الشيخان ـ كما ذكر ـ عن أبي هريرة، وإنما رواه عنه مسلم وأبو داود، أما البخاري فرواه عن عائشة رضي الله عنها.

قوله يوجب إراقة دمه

وقد اعترف هو أن ما قاله موجب لإراقة الدم، وأنه قال في الصحو والإفاقة لا في السكر والجذبة، فقال:

وَثَمَّ أمورٌ تمَّ لي كشف سِتْرِها ■■■ بصحو مُفيقٍ عن سواي تَغَطَّت

بها لم يَبُحْ من لم يبحْ دمه وفي ■■■ الإشارة معنى ما العبارة حَدَّت

قالوا في شرحه: «أي انكشفت لي أمور وأسرار بواسطة الصحو الذي حصل لي بعد السكر والإفاقة، وهي متغطية عن غيري من المحجوبين، ولم يظهر تلك الأسرار إلا من أباح دَمه للمحجوبين[١]، فإنهم يقتلون العارفين الذين باحوا بأسرار التوحيد»[٢] وصَرّح بأن ما يقوله حقيقة لا مجاز، فقال:

عليها مَجَازيٌّ سلامي، فإنما[٣] ■■■ حقيقته: منّي عَلَيَّ تحيتي

قال الشراح: «أي على حضرة المحبوبة سلامي في قولي: التحيات إلى آخره - مجاز لأنها عيني، لا غيري، فحقيقة السلام مني، وإليَّ»، وقد مَثَّلُوا كون التَّشَخُّصَ مجازياً، والإطلاقَ حقيقيًا بأن الروح الكُلي الذي هو الإله عندهم كالبحر، والأشخاص الناشئة منه مثل البخار الصاعد من صورته البخارية ثم في صورة السحابية، ثم يرجع إلى الماء، ويختلط بالبحر، فيصير إياه، وهو بخار وسحاب حقيقة، وتلك الصورة العارضة مجاز[٤]!!

---

(١) يعني: المعتصمين بكتاب الله، والمستمسكين بظواهر الشريعة المؤمنين بالله وحده ربا، وبالخلق عبيدًا لله رب العالمين.

(٢) أسرار التوحيد عندهم: اعتقاد أن الله سبحانه عين خلقه، وعن هذه المرتبة يقول الغزالي: إنها سر، وإفشاء سر الربوبية كفر!!.

(٣) في الأصل: لإنما، وهي في الديوان كما أثبتها.

(٤) مراده من هذا: إثبات أن المغايرة بين الحق والخلق مغايرة وهمية، أو اسمية، أو صورية، =

فأين هذا الانهماكُ في اللذة قولاً وفعلاً، والانقياد للهوى عقدًا وحلاً، من رتبة الولاية التي يدعيها المتعصبون له، التي من شرطها الإعراض عن الانهماك في اللذات الدنيوية ومن رتبة الولاية التي يدعيها هو؟!

ومن هنا تعلم أنهم[١] لا أرضوه، ولا أرضوا الله ورسوله ﷺ، ولا أحدًا من المؤمنين، فإنه هو لا يرضى إلا أن يكون خليعًا، وهم يقولون: متقيِّد، وهو يقول: إن ما قاله مبيح للدم، وهم يقولون: لا يبيحه، وهو يقول: إنه عاقل صاح، وهم يقولون: مجنون {٧٦} سكران، وهو يقول: إن ما قاله: حقيقة، وهم يقولون: مجازًا[٢]، ولا يقدرون على تخريجه على المجاز وهو لا يرضى إلا أن يكون هو الله، وينهى عن ذكره بِغَيْرٍ.

لماذا يزجر عن تكنيته بكنية، أو تلقيبه بلقب:

= ويشبهها بالمغايرة بين الماء المطلق، وبينه في حال تعينه بصورة بخارية، أو سحابية. فالكل حقيقة واحدة، هي الماء، ولكنها تعينت مرة في صورة بخار، وأخرى في صورة سحاب، وكذلك الذات الإلهية عندهم، فإنها هي وذوات الخلق واحد في الحقيقة، كثير بالاعتبار، فهوية الحق قبل التعين تسمى وجودًا مطلقًا، أو حقًا، ثم سميت خلقًا بعد التعين. فهما واحد في الحقيقة، غيران بالنسب والإضافات. يقول التلمساني:

البحر لا شك عندي في توحده ... وإن تعدد بالأمواج والزبد
فلا يغرنك ما شاهدت من صور ... فالواحد الرب ساري العين في العدد

وأقول: هذا المثل حجة على الصوفية، فالماء لا يصير بخارًا من نفسه، بل بتأثير شيء آخر خارج عنه يخالفه في حقيقته: هو الحرارة، وكذلك في صيرورته سحابًا، فالمؤثر في هذه الصيرورة شيء غير الماء يخالفه في الحقيقة، فالمثل إذًا يثبت وجود غيرين هما غير الماء حقيقة وصورة. والصوفية ينكرون الغيرية والكثرة، والمثل كما رأيت يثبتهما، ويثبت أيضًا أن الماء في صيروراته يخضع لمؤثر خارجي، وهذا يستلزم كون رب الصوفية يتأثر بغير حقيقي خارجي. فما ذلك المؤثر، أو من هو؟.

(١) يعني: شارح التائية.

(٢) الحق أن أكثر الشراح للتائية يدينون بأن قول ابن الفارض في الاتحاد والوحدة حقيقي، لا مجازي. والقائلون بالمجاز قلة من منافقي الصوفية خشية على السحت الذي يأكلون به مال اليتامى والأيامى.

وَأَلْغِ الكُنَى عني ولا تلغُ أَلْكَنَا[١] ▪▪▪ بها، فهي من آثار صيغة صَنْعَتي[٢]

وعن لقبي بالعارف ارجع فإن ترى ▪▪▪ التَّنابُذَ بالألقاب في الذِّكر تُمْقَتِ

قال شراحها: «أي أسقط الْكُنَى عني، ولا تستعمل اللغو في إطلاقها على حال كونك عييًا[٣] عن الكلام في تعريف مقامي، فإنها من آثار مصنوعاتي، إذ الإنسان صاغها، وهو من جملة مصنوعاتي التي أوجدتها، وارجع عن إطلاقك عليَّ اسم العارف؛ لاتحادي بذات من لا يُطْلَق عليه هذا الاسم».

فلم يدع جهدًا في زجرهم عن تسميته بالعارف، ولم يَدَعْ النبيُّ ﷺ لَبْسًا في أمرهم بتكفيره، وهم[٤] يعصون كُلاً من الأمرين، ولا يرجعون عن شيء من المنهيين، فيا خسارتهم بما ضَرُّوا به أنفسهم فيما لا ينفعهم، كما قال تعالى فيمن يعبد الله على حَرْف: ﴿ يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُ وَمَا لا يَنفَعُهُ ذَلِكَ هُوَ الضَّلالُ الْبَعِيدُ (١٢) يَدْعُو لَمَن ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِ لَبِئْسَ الْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ ﴾ (سورة الحج: ١٢-١٣).

زعمه أنه عرج إلى السماء

وادعى العروج إلى الله، والوصول إلى مقام: أو أدنى[٥]، فقال:

---

(١) يقصد: الإنسان.
(٢) لا تلغ: لا تكلم باللغو. والألكن: الثقيل اللسان في التكلم.
(٣) في الأصل: عيبًا.
(٤) أي: أتباع ابن الفارض.
(٥) يقرر المؤلف ما زعمه ابن الفارض من العروج إلى السماء، ووصوله إلى مقام ﴿أَوْ أَدْنَىٰ﴾ المشار إليه بقوله تعالى: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ ويعني به ابن الفارض: الدنو من الله، لا من جبريل كما هو الحق. والكمشخانلي الصوفي يشرح هذا المقام في كتابه (جامع الأصول في الأولياء)، فيقول: «هو مقام القرب الأسمائي باعتبار التقابل بين الأسماء في الأمر الإلهي، المسمى: بدائرة الوجود، كالإبداء والإعادة والعروج والفاعلية والقابلية، وهو الاتحاد بالحق مع بقاء التمييز والاثنينية الاعتبارية، هناك الفناء المحض، والطمس الكلي للرسوم كلها»، ومن هنا تدرك لم ادعى ابن الفارض أنه وصل إلى هذا المقام ثم رجع منه، إذ لم يرتض حتى الاثنينية الاعتبارية، أو بقاء التمييز بينه وبين الله سبحانه بوجه ما، وكيف يرتضيه وهو يفتري أنه هو الله ذاتًا وصفةً وخلقًا؟!

ومِنْ أنا إياها، إلى حيث لا إلى ▪▪▪ عرجتُ، وعَطَّرْتُ الوجود برجعتي

قالوا في شرحه: «عرجت من مقام: أنا إياها ـ وهو ابتداء الاتحاد ـ ومن قولهم: أنا الحق[(١)]، ولا إله إلا أنا فاعبدني[(٢)]، إلى أن وصلتُ إلى مقامٍ لا نهاية فيه، وعطر الوجود برجوعه، لاتصافه بصفات الرحمن[(٣)]، واتحاده بذات الملك الديان».

والبيت الذي بعده أشد كفرًا[(٤)]، ثم قال:

ولى عن مُفيض الجمع عند سلامه ▪▪▪ عَلَيَّ: بِأَوْ أدْنَى إشارَة نِسْبَة

---

(١) كفر الحلاج.

(٢) قول طيفور الشهير بالبسطامي عن نفسه.

(٣) يزعم أنه عاد من مقام أو أدنى ـ وقد ذكرت مرادهم منه ـ رحمانًا وقد اختاروا تسميته بهذا الاسم بالذات، لأن الرحمن عندهم: «اسم الحق باعتبار الجمعية الأسمائية التي في الحضرة الإلهية: الفائض منها الوجود وبقية الكمالات على جميع الممكنات»، فهو مرادف للوجود المطلق، وقد سبق البيت الذي نقله المؤلف عن ابن عربي من الفصوص، والذي يقول فيه:

فكن حقًا، وكن خلقًا ▪▪▪ تكن بالله رحمانًا

وهكذا يتغالى الصوفية في الزندقة حتى ليأبى الواحد منهم أن يقال عنه: إنه إله تعين في صورة خلقية، ولا يحب إلا أن يقال عنه: إنه هو الوجود المطلق، وهوية الحق قبل أن تتعين في شيء ما، حتى في الحقيقة المحمدية!!

(٤) هذا البيت هو:

وعن أنا، إياي لباطن حكمة ▪▪▪ وظاهر أحكام أقيمت لدعوتي

ويريد الزنديق بهذا: أنه نال كل مراتب التوحيد، حتى بلغ المرتبة الأخيرة منه فالأولى: فناء عين التفرقة وبقاء أثرها. وصاحب هذه المرتبة يقول: أنا الحق، أو أنا الله. ولكن هذه قضية ذات محمول وموضوع، والحمل يستلزم الاثنينية نعم هو حمل صوري لأن المحمول عين الموضوع. ولكن اختلاف لفظيهما يوهم الغيرية. لذا يرفض الزنديق هذه المرتبة. الثانية: فناء التفرقة عينًا وأثرًا. وصاحب هذه المرتبة يقول: أنا أنا. ولكن ما زال ثَمَّ قضية فيها محمول وموضوع ولذا يرفض الزنديق هذه المرتبة أيضاً. الأخيرة: وهذه لا تسعف فيها العبارة، ولا تومىء إليها إشارة، وغاية ما يستطيع العارف عندهم هو أن يقول عن نفسه: أنا فحسب، غير مدرك بإدراك ما، ولا شاعر بشعور ما: أن هنالك ما يمكن أن يحمل عليه، أو يوضع له، إذ ما ثم غير ولا سوى. هذا هو مراد الزنديق، غير أنه يزعم أنه رضي وتنزل إلى مرتبة التعين في الخلق، ليبرز مكنون قدرته، وإمكانيات وجوده المطلق الأول.

قالوا في شرحه: «إنه لما فَنِيَ في النبي ﷺ، ثم بقي به حِصَّة بمشاركته في قبول عين السلام من حيث عين ذلك المقام - وهو مقام: أو أدنى - فإنه جَلَّ جناب هذا المقام من أن يَطَّلِع عليه إلا واحدٌ بعد واحد، فالواحد السابق هو ﷺ، والواحد اللاَّحِقُ به:[1] أنا إن شاء الله تعالى من جهة غرقي في لجَّيته» انتهى.

وقال عياض في أواخر (الشفاء): وكذلك - أي يكفر - من ادَّعى مجالسة الله تعالى، والعروج إليه، ومكالمته، أو حلوله في أحد الأشخاص، كقول بعض المتصوِّفة»[2].

لا شيء على من يُكفِّر ابن الفارض

وأما من أنكر عليه لأمثال ما رأيته من الألفاظ الصريحة بالنص في الكفر، فلا شيء عليه بإجماع المسلمين بقاعدة من كَفَّر مسلمًا مُتَأَوِّلاً، فلا أضل ممن ترك طريقًا مضمون السلامة، واتبع طريقًا أخف أحواله أنه مظنون العطب والملامة {٧٧}. ودَرْء المفاسد أولى من جلب المصالح، على تقدير تسليم أن يكون لهم فيما هم فيه مصلحة، وليس فيه - والله - مصلحة بوجه، فقد اعترف كل من يحامي له أن ظاهرَ كلامه منابذٌ للكتاب والسنَّة، وإلا لما احتاجوا إلى ادعاء تأويله، مع أن الفاروق أميرَ المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي ما سلك فَجًّا إلا سلك الشيطان فجا غير فجه[3] - قد أنكر التأويل لغير كلام المعصوم[4]، ومنع منه رضي الله عنه وأرضاه، وأهلك كل من

---

(١) يعني: ابن الفارض لأنه يتكلم بلسانه.

(٢) ص ٢٩٨، جـ٢ (الشفاء)، ط تركيا.

(٣) إشارة إلي الحديث المتفق عليه بين البخاري ومسلم، وفيه: أن النبي ﷺ قال لعمر: **«إيها يا بن الخطاب!! والذي نفسي بيده، ما لقيك الشيطان سالكًا فجًا قط إلا سلك فجًا غير فجك»**، والفج: الطريق الواسع، أو المكان المنخرق بين الجبلين.

(٤) بل ما ثبت عن عمر، ولا عن غيره من الصحابة والتابعين لهم بإحسان تأويلهم لشيء ما من كلام المعصوم، وإنما كان الجميع يفهمون ما جاءهم عن الله ورسوله بمعانيه التي هي له في لغة العرب، =

خالفه، وأرداه، وبسيف الشرع قتله وأخزاه، فقال فيما رواه عنه البخاري في كتاب الشهادات من صحيحه: «**إن أناسًا كانوا يؤخذون بالوحي في عهد رسول الله ﷺ، وإن الوحي قد انقطع، وإنما نأخذكم الآن بما ظهر لنا من أعمالكم، فمن أظهر خيرًا أمِنَّاه وقرَّبناه، وليس إلينا من سريرته شيء، والله يحاسبه في سريرته. ومن أظهر لنا سوءًا لم نأمنه، ولم نصدقه، وإن قال: إن سريرته حسنة**»، وقد أخذ هذا الأثرَ الصوفيةُ، وأصَّلوا عليه طريقهم.

منهم صاحب العوارف استشهد به في عوارفه، وجعله من أعظم معارفه، فمن خالف الفاروق رضي الله عنه كان أخف أحواله أن يكون رافضيًا خبيثًا، وأثقلها أن يكون كَفَّارًا عنيدًا، وهذا الذي سماه الفاروق رضي الله عنه ظاهرًا هو الذي يُعْرَف في لسان المتشرعة بالصريح، وهو ما قابل النص والكناية والتعريض، وقد تبع الفاروق رضي الله عنه على ذلك - بعد الصوفية - سائر العلماء، لم يخالف منهم أحد كما نقله إمام الحرمين[1] عن الأصوليين كافة، وتبعه الغزَّالي، وتبعهما الناس.

وقال الحافظ زين الدين العراقي: «أنه أجمع عليه الأمة من أتباع الأئمة الأربعة وغيرهم من أهل الاجتهاد الصحيح»، وكذا قال الإمام أبو عمرو ابن عبد البر[2] في التمهيد، وأصَّله إمامنا الشافعي رضي الله عنه في كتاب الرسالة لقول النبي ﷺ: «إنكم

= لا بما اصطلحت عليه الفلسفة أو التصوف أو الكلام. فما عرف شيء من هذه الضلالات، ولا في عهد أصحابه، وقريب من الذكر تلك الضربات الهادية الشافية التي أنزلها عمر على رأس من جاء يسأله عن معنى الذاريات، إذ استشعر من وراء السؤال فكرًا يهمس فيه الشك.

(١) هو عبد الملك بن عبد الله بن يوسف أبو المعالي الجويني من زعماء الأشاعرة، ولد سنة ٤١٩هـ، ولقب بإمام الحرمين؛ لأنه جاور بمكة والمدينة أربع سنين يدرس ويفتي، توفي سنة ٤٧٨هـ.

(٢) هو يوسف بن عبد البر بن محمد حافظ المغرب، قال عنه ابن حزم: «لا أعلم في الكلام على فقه الحديث مثله»، ولد سنة ٣٦٨هـ، وتوفي سنة ٤٦٣هـ.

تختصمون إليَّ، ولعل أحدكم أن يكون ألحَنَ [١] بحجته، فأقضي له» الحديث رواه الستة عن أم سلمة ﵂ في أمثال كثيرة، وقال الأصوليون: «كافة التأويل - إن كان لغير دليل - كان لعبا، وما يُنْسَب إلى بعض المذاهب من تأويل ما هو ظاهر في الكفر، فكَذِبٌ، أو غلطٌ منشؤه سوء الفهم، كما بينت ذلك بيانًا شافيًا في غير هذه الرسالة، وإنما أوَّلنا كلام المعصوم[٢]، لأنه لا يجوز عليه الخطأ، وأما غيره فيجوز عليه الخطأ سهوًا وعمدًا.

المتوقف في تكفير الصوفية

ولا يسع أحدًا أن يقول: أنا واقف، أو ساكت لا أثبت، ولا أنفي؛ لأن ذلك يقتضي الكفر؛ لأن الكافر من أنكر ما عُلِم من الدين بالضرورة. ومن شَكَّ في كُفْرِ مثل هذا كَفَرَ {٧٨} ولهذا قال ابن المقري في مختصر الروضة: «من شك في اليهود والنصاري وطائفة {ابن}[٣] عربي فهو كافر».

وحكى القاضي عياض في الباب الثاني من القسم الرابع من الشفاء: «الإجماع على كفر من لم يُكَفِّر أحدًا من النصارى واليهود، وكل من فارق دين المسلمين، أو وقف في تكفيرهم، أو شك. قال القاضي أبو بكر: لأن التوقيف والإجماع {اتفقا}[٤] على كفرهم، فمن وقف في ذلك فقد كذَّب النص أو[٥] التوقيف، أو شك {فيه}[٦] والتكذيب، أو الشك فيه لا يقع إلا من كافر»[٧] انتهى.

---

(١) أي: أفطن لها، ونص الحديث: «إنما أنا بشر، وإنكم تختصمون إليَّ، ولعل بعضكم أن يكون الحن بحجته من بعض، فأقضي له على نحو مما أسمع، فمن قضيت له من حق أخيه بشيء، فلا يأخذ منه شيئًا، فإنما أقطع له قطعةً من النار»، فأين من هذا الهدى والحق ضلال الصوفية وباطلهم؟! إذ يزعمون أن حقائق الأشياء تنكشف لهم على ما هي عليه، وأنهم يتصرفون في البواطن، وأن شيوخهم يتكلمون عن سرائر دراويشهم وهم ساكتون؟.

(٢) هذا على دين من يأخذون بالتأويل ممن يجعلون العقل حاكمًا على النقل، وقد سبق الرد على هذا.

(٣) ليست بالأصل والسياق يوجبها.

(٤)،(٦) ساقطتان من الأصل، وأثبتهما عن (الشفاء).

(٥) في الأصل: و. وهي في (الشفاء) كما أثبتها.

(٧) ص ٢٦٧، جـ٢ (الشفاء).

وقال الإمام حافظ الدين النسفي في كتابه (العمدة في أصول الدين): «التوقف باطل؛ لاقتضائه الشك، والشك فيما يفترض اعتقاده كالإنكار»، ومن العجب أنهم يعاندوننا، لأننا لا نُؤَوِّل لمن يجوز عليه الزلل، وينصرون من يتعصبون له، وهو[١] لا يؤول المتشابه من كلام المعصوم، بل يجريه على ظاهره[٢] خلافًا لإجماع الأمة[٣] مع تأدية ذلك إلى إبطال الشرع، ويدَّعون الإسلام، فما أحقهم بقوله تعالى: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً (٨٨) وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾ (سورة النساء: ٨٨-٨٩)، إلى هذا من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وكلام حملة[٤] شريعته من الصحابة والتابعين لهم بإحسان ﷺ دعوتنا ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (سورة فصلت: ٣٣).

---

(١) يعني: ابن الفارض.

(٢) كان واجبًا أن يقول: بل يجريه على ما يشهد الحس له من مظاهر بالنسبة إلى الخلق، أو على ما يشاء الهوى الصوفي، فابن الفارض - ككل صوفي - لا يقترف هذا فحسب، بل يجرد اللفظ من دلالته ومعناه في العربية، ويفتري له معنى يهدف به إلى مساندة زندقته، وأحيانًا يفصل بعض أجزاء الكلام عن بعض كمن يفصل «لا إله» عن «إلا الله»، وأحيانًا يقيس شأن الخلاق الخبير على شأن خلقه، ويحكم على الرب بما يحكم به على العبد، ومثاله ما افتراه من أن الله سبحانه يتلبس بصور الخلق قياسًا على شأن جبريل حين ظهر بصورة دحية والأعرابي. هذا بعض ما يمسخ به الصوفية وجه الحق!!

(٣) قوله هذا يجافي الحق، ويجانب الصواب، فالإجماع الذي يعتد به - إن كان لابد مع النص إجماع - هو إجماع الصحابة والتابعين. وقد أجمع هؤلاء جميعًا - ومن بعدهم الأئمة المهتدون - على إجراء ما تلقوه عن الله سبحانه ورسوله ﷺ على ظاهره، أي على ما له من دلالة ومعنى في العربية، إذ لا يراد بالظاهر غير هذا، أما أن يراد بالظاهر كيفياته الحسية، فهذا ليس من دين أهل الحق، ولا من الحق في شيء. أقول هذا لأن البقاعي يعني بالمتشابه آيات الصفات وأحاديثها، وهذا رأي ساقط الاعتبار، لم يدن به إلا عبيد الفلسفة ومخانيث الكلام.

(٤) في الأصل: جملة، والسياق يوجب ما أثبته.

الرأي في شعر ابن الفارض

وأما المحامون لـه، فإنهم داعون إلى شاعر لم يؤثَر عنه قط شيء غير ديوان شعر لم يمدح النبي ﷺ فيه بقصيدة واحدة، بل هو كُفرٌ وضلالة وخلاعة وبطالة، وقد علم ذم الله، وذم رسوله ﷺ للشعر والشعراء إذا كان حالهم مثل هذا، كما قال تعالى: ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ (٢٢٤) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ (٢٢٥) وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ (٢٢٦) إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ (سورة الشعراء: ٢٢٤-٢٢٧).

وقال النبي ﷺ - كما رواه الستة عن ابن عمر رضي الله عنهما -: «لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحًا [حتى يَرِيَهُ][1] خير من أن يمتلئ شعرًا»[2]، وذلك إذا انفرد بالشعر كهذا الرجل، فإنه ليس له شيء ينفع الدين أصلاً، وليس له من الشعر إلا ما عادى به الإسلام، وأهله، وأذاهم غاية الأذى، وأوقع به بينهم[3] العداوة والبغضاء؛ لأنه ملأه كفرًا وخلاعة، وصدًا عن الدين وشناعة، فقد حادَّ به الله ورسوله ﷺ، وقد قال

---

(١) يري من الورى، وهو داء يفسد الجوف. وهذه الزيادة لم ترد في رواية أبي داود. وهي كذلك ساقطة من الأصل.

(٢) لم يروه الستة عن ابن عمر، وإنما رواه البخاري عنه، ورواه الشيخان وأبو داود والترمذي وابن ماجة عن أبي هريرة. والمقصود والله أعلم: الشعر الذي يمجد الرذيلة، ويفسد الخلق والدين، وينابذ القيم الروحية، ويصرف النفس عن الحق من الكتاب والسنة. أما الشعر الذي يستلهم الإيمان والحكمة، ويصور المثل العليا، ويمجد قيم الحق والخير والمحبة، ويستحث النفوس على الجهاد في سبيل الحق، هذا الشعر من هواتف النفس المؤمنة، وليس بذي مذمة ولا مبغضة، ودليلي قول الرسول ﷺ: **«إن من الشعر حكمة»**، رواه البخاري وأبو داود عن أبي بن كعب، ورواه الترمذي عن ابن مسعود، وأيضًا ما روته عائشة رضي الله عنها: «أن رسول الله ﷺ كان يضع لحسان منبرًا في المسجد يقوم عليه قائمًا، ينافح عن رسول الله، ثم يقول: **«إن الله يؤيد حسانًا بروح القدس ما نافح - أو فاخر - عن رسول الله»** أخرجه البخاري - واللفظ له - وأبو داود والترمذي، كلهم عن عائشة رضي الله عنها.

(٣) يعني: بين المسلمين.

تعالى: ﴿لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ {٧٩} وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ (سورة المجادلة: ٢٢)، فنحن في غاية السلامة - إن شاء الله تعالى - لما قدمت.

وأما من يحامي عنه، فهو دائر بين اعتقاد ما تضمنه كلامه، وذلك هو الكفر المُوجِبُ للسيف في الدنيا، والخلود في النار في الأخرى، وبين الذَّبِّ[1] عنه مع الجهل لما قال، وذلك موجب لموادَّة من حادَّ الله ورسوله ﷺ الموجبة لعداوتهما الجارَّةِ إلى كل شقاء.

تواتر الخبر بتكفير العلماء له

هذا مستندنا، وهو قطعي[2] من جميع وجوهه، تواترَ لنا تواترًا معنويًا نسبة العلماء له إلى الكفر، وتواترًا حقيقيًا أن التائية نظمه، ونحن على القطع بأنها صريحة في القول بالاتحاد بالذات والصفات، وما يتبع ذلك من تصويب جميع المِلَل والنِّحَل إن لم يكن نَصًّا فيه، وعلى القَطْع بأن ذلك كُفْرٌ، والقائلَ به كافر، وقد انتقيت من التائية ما يقارب أربعمائة وخمسين بيتًا شهد شراحها البررة والكفرة أن مراده منها صريح الاتحاد، وما تفرع عليه من تصويب جميع الأباطيل في مجلد سميتهُ الفارض[3].

(١) في الأصل: الذنب. والسياق يوجب ما أثبت

(٢) في الأصل: قطيعي. وهو خطأ في النحو.

(٣) ورد بهامش الأصل ما يأتي: «قال المصنف رحمه الله في كتابه (الفارض في تكفير ابن الفارض): ثم إنه لا ينبغي الاغترار بما قاله ابن بنته في ديباجة الديوان فإنه رجل مجهول لا تقبل روايته، ولاسيما وهو يشهد بحده، ولاسيما إذا كانت شهادته مخالفة بشهادة الأئمة بكفره، وعلى تقدير صحة ذلك لا يدل على صلاح إلا إن كان الجاري ذلك على يده متابعًا للكتاب والسنة، فإن الخوارق ربما كانت لكفره إمتحاناً من الله لعباده، وينبغي لكل مسلم أن يجعل قصة الدجال نصب عينيه، فإنه يظهر على يديه من الخوارق شيء كثير مع كلمنا بأنه أكفر الكفرة، فأي لبس بعد هذا؟ مع أنه قد كثر ضلال الضلالة بمن ظهر على يديه شبه خارقة، وقد علم أن ذلك قد يكون من الشياطين، وقد ضبط العلماء - ولله الحمد - أمر الخوارق وبينوا حقه من باطله، فمن ظهر على يده شيء من الخوارق. وكان عارفًا =

لا عبرة بقول حفيد ابن الفارض

ولا مستند لمن ينابذنا إلا مـا أثبته ابن بنته في ديباجة الديوان من الـزور والبهتان، وهو نكرة لا يعرف، ولو أنه شـهد على أحدهم بدينار لم تُقْبَل شهادته حـتى يُعَدِّلَه العدولُ الموثوق بهم، ولا مُعَدِّلَ لـه، ولا لجده، ممن هو خبير بحالهمـا أصلاً، فصار المحامون له لا مُـسْتَنَدَ لهم إلا سند قريش في منابذة النبي ﷺ في التـوحيد حين قالوا: ﴿إن نَّظُنُّ إِلاَّ ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾ (سورة الجاثية: ٣٢)، ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الآخِـرَةِ إِنْ هَذَا إِلاَّ اخْـتِـلاقٌ﴾ (سـورة ص: ٧)، ﴿إِنَّا وَجَـدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّـةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ﴾ (سورة الزخرف: ٢٢)، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلا يَهْتَدُونَ﴾ (سورة المائدة: ١٠٤)، ﴿إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ (سورة الأعراف: ٣٠).

وكل من هكذا يوشك أن يقـول عند سـؤال الملكين في قـبره مـا قال رسـول الله ﷺ عن المنافق، أو المرتاب: «**هاه [هاه][1] لا أدري، سـمـعت النـاس يقـولـون شـيـئـًا،**

= بالله وصفـاته مواظبـًا [على] الطاعـات، مجـتنبًا للمعـاصي، معـرضًا عن الانهمـاك في الـ[ـملذات] والشهوات، فذلك ولي. والخـارق كرامة، وما كان على يد مخالف للشرع فـهو إهانة له بالاستدراج له، و [لا] يغتر به. هذا الدجال نشهد أنه أكفر الكفرة مع أنه تظـ[ـهر على] يده الخوارق العظيمة، منها مسيـر جبال الثريد معه وو. . الأرض كـذلك، ومنها تمثل الشياطين بصور أقـارب من أرا[د الله] فتنته يدعونهم إلى مـتابعته، ومنهـا أنه يقول للشمس: قفي [فـتقف]، ويقول لها: سـيري فتسـير، ويقول للسماء: أمطري فتمطر، وللأرض: أنبتي فتنبت، إلى غير ذلك ممن يضل الله به من [يشاء من] عباده، وأعظمه إحياء ميت» انتـهى من هامش الأصل. وما بين هذين [ ] ساقط من الأصل، ورأيت السياق يوجبه فاثبته. وأقول: حديثه عن الخوارق تظهر على يد الأولياء حديث القرون التى كانت تعيش تحت سطوة التهاويل، إنما الكرامة هي أن يكون الله مع عبده المؤمن نصرًا وتأييدًا وحفظًا.

(١) وردت مرة واحـدة في الأصل، بيد أنهـا ذكرت مـرتين في الحديث الذي رواه أبو داود عن الـبراء بن عازب «وهاه هاه» كلمة تقـال في الضحك وفي الإيعاد، وللتوجع. وهو أليق بمعنى الحديث كـما قال المنذري، وحديث السؤال في القبر أخرجه ـ غير أبـي داود ـ الشيخان وأحمد والترمذي والنسائي وابن ماجة وابن حبان وأبو حاتم.

فقلته»، على أنه لو ثبت ما في ديباجة الديوان لم يُفِدْ ولاية، فإن العلماء قسموا الخوارق إلى معجزة وكرامة، ومعونة وإهانة.

وأشار إلى ذلك الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه في الفقه الأكبر، انظر إلى ما ورد للدجال من الخوارق[1]، وهو أكفر الكفرة.

بم يكون الإنسان وليًا؟

إنما يفيد الولاية بذلُ المجهود في متابعة النبي ﷺ، فمن بذل جهده في {٨٠} اتباع السنة، قلنا: إنه ولي، فإن خيل بعض المحلولين منهم أحدًا ممن ظهر له الحق بقوله: التسليم أسلم!! فليقل له: هذا خلاف ما أمر به صاحب الشرع ﷺ في الكتاب والسنة: من جهاد أعداء الله، والبغض في الله، من ذلك حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه المتفق عليه في تسليته عن التخلف عن أصحابه بمكة: «ولعلك أن تخلف حتى ينتفع بك أقوام، ويُضَرَّ بك آخرون»، على أن التسليم لأهل الشريعة وأهل الطريقة[2] المجمع عليهم الذين رموا هذا الرجل بالكفر، ورأسهم الفاروق رضي الله عنه بمنعه من التأويل أجدرُ بإيجاب السلامة. وقد قال الإمامان أبو حنيفة والشافعي رضي الله عنهما: «إن لم تكن الفقهاء أولياء لله، فليس لله ولي»[3] نقله عنهما النووي في تبيانه عن الخطيب

---

(١) ما سيظهر على يد الدجال أخبرنا به المعصوم، وإنه لفتنة سيبتلي بها الله عباده ويميز بها بين المؤمن والكافر، أما ما يزعمه هؤلاء، فلم يروه إلا كذاب، أو منافق، أو صوفي، وإنها لشعبذة يقترفها أولئك ابتغاء سلب مال أيم، أو أرملة، أو يتيم! ولا ينخدع بها إلا النوكى مخابيل الأحلام.

(٢) لا، بل الواجب هو الاعتصام بالكتاب والسنة، والتسليم لهما، وتأييد كل من يذود عنهما، ثم من أهل الطريقة؟! أليسوا هم أولئك الأدعياء الكذبة الذين ابتدعوا هذه البدع الصوفية كلها، تأييدًا للمتآمرين على الإسلام من مجوس ويهود ونصارى؟!

(٣) ما من شك في أن الإمامين الجليلين يقصدان بالفقيه: ذلك المؤمن العالم الذي يستمد فقهه من الكتاب والسنة، ويبذل الجهد في سبيل دعوة المسلمين إلى اتباع الكتاب والسنة، لا ذلك الذي تدفعه عصبية حمقاء إلى عبادة مذهب خاص، ودعوة الناس إلى الاقتداء بغير رسول الله، والتدين بكتاب غير كتاب الله سبحانه مثل هذا هو من يسميه الناس اليوم وقبل اليوم بالفقيه، وإنه لفقيه ضلالة، وداعية إلى اتخاذ عبيد الله أربابًا من دون الله.

البغدادي، ودليله: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ (سورة فاطر:٢٨)، ﴿ أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾ (سورة يونس:٦٢-٦٣)، فقد أرشد الله تعالى إلى أن الولي هو العالِم، وأن العالِم هو العامل بعلمه.

دفاع وادعاء

وإن قالوا: أنت تبغض الصوفية، فقل: هذه مباهتة. إنما أبغض من كَفّره من أجمعنا على أنهم صوفية، مثل الجنيد، وسَرِي[١]، وأبي يزيد[٢]، وأبي سعيد الخراز، والأستاذ أبي القاسم القشيري، والشيخ عبد القادر الكيلاني والشيخ شهاب الدين عمر السهروردي صاحب العوارف، فإن بعضهم قال: طريقنا مشبك بالكتاب والسنة، فمن خالفهما فليس منا، وبعضهم جعل أثر عمر ﷺ أصلاً، وبنى عليه طريقهم، وبعضهم قال: من قال: إن الشريعة خلاف الحقيقة فهو زنديق، ومن قال: إن المراد بمحبة الله تعالى، ووصوله إليه غير كمال المتابعة للكتاب والسنة، أو بمحبة الله غير إكرامه بحسن الثواب ـ فهو زنديق[٣]، إلى غير ذلك مما حدوه، فتعداه من عاديتمونا بسببهم بل أنتم

---

(١) هو سري بن المغلس السقطي، خال الجنيد، ومن قوله: «كل ما أنا فيه فمن بركات معروف الكرخي»، توفي سنة ٢٥٧، فهل قائل هذه الكلمة يعتبر مسلمًا؟

(٢) هو طيفور بن عيسى البسطامي، المتوفى سنة ٢٦١، ومن قوله: «سبحاني ما أعظم شاني، تالله إن لوائي أعظم من لواء محمد، ولأن تراني مرة خير لك من أن ترى ربك ألف مرة»، انظر (ترجمة المناوي) لأبي يزيد، و(لطائف المنن والأخلاق ـ جـ١، ص١٢٥-١٢٦). وعجيب من المؤلف أن يستشهد بمثل هذا الزنديق على تكفير صوفي، وهو زعيمهم الذي ألهبهم جرأة وقحة على جلال الربوبية وكبرياء الإلهية، وهو القائل أيضا: «رفعني الله مرة بين يديه وقال: إن خلقي يحبون أن يروك، فقلت: زيني بوحدانيتك، وألبسني أنانيتك، وارفعني إلى أحديتك حتى إذا رآني خلقك قالوا: رأيناك، فتكون أنت ذاك، ولا أكون أنا هناك» (اللمع ـ ص٣٨٢).

(٣) الخبير بحال الصوفية ـ سلفهم وخلفهم ـ والمتأمل في كتبهم يوقن أن الصوفية منذ نشأت، وهي حرب دنيئة ـ خفية أو مستعلنة ـ على الإسلام. هذا القشيري الصوفي القديم ـ ولد سنة ٣٧٦هـ، وتوفي سنة ٤٦٥هـ ـ هذا هو يقول في رسالته عنهم: «ارتحل عن القلوب حرمة الشريعة، فعدوا قلة المبالاة

بعد بغضكم للصوفيـة نابذتم رسول الله ﷺ بموالاتكم من نابذ شريعته، ونحن نذب عنهـا وأنتم تناضلون عـمن يهدمـها من غـير فـائدة في ذلك، وتقـولون: إنهم أرادوا بكلامهم الذي ظاهره قبيح غير ظاهره، ولو قال أحد من الناس لأحد منكم كلمة توهم نقصًا «كالْعِـلْق» الذي قـال أهل اللغة أن معناه: الشيء النفيس[1] ـ عاداه، وإن حلف له أنه ما قصد ذمًا، وإن كرر ذلك كانت القاصمة، فتحرر بذلك أن نابذتم أهل الدين من الفقـهاء والصوفـية[2] المجمع عليـهم بالتأويل في جـانب الله تعالى، ومنعـتم مثله في حقكم، فَأُفٍّ لهذا عقلا، فكيف بالنظر إلى [٨١] الدين؟.

= بالدين أوثق ذريعـة، ورفضـوا التميـيز بين الحـلال والحرام، ودانوا بتـرك الاحتـرام وطرح الاحتـشام واستخفوا بأداء العبادات، واستهانوا بالصوم والصلاة. وركنوا إلى اتباع الشهوات. وادعوا أنهم تحرروا عن رق الأغلال، وتحققوا بحقائق الوصال، وأنهم كـوشفوا بأسرار الأحدية، واختطفوا عنهم بالكلية، وزالت عنهم أحكام البشرية، وبقوا بعد فنائهم عنهم بأنوار الصمدانية» (ص٢-٣ ـ الرسالة) للقشيري.

هذه شهادة عليهم في القرن الرابع الهجري من رجل يعدونه المثل الأعلى للصوفية العملية المعتدلة، وإنها لتدل على أن الصوفية من قديم تواصوا بالكيد للإسلام، وإنا لا تخدعنا هذه الشفوف من النفاق الصوفي، إذ هم السم الـناقع يتراءى شهـدًا مذابًا. فالقـائلون بما هلل له البقاعي هـم عين القائلين بما يخنقك منه يحموم الزندقة، فالقشيري نفسه يقول في مقدمة رسالته عن أهل الطريقة: «جعل الله هذه الطائفة صـفوة أوليـائه، وفضلهم على الكافة مـن عباده بعـد رسله وأنبيائه»، يفـضل الصوفـية على السابقين من المهاجرين والأنـصار، ثم يقول: «وجعل قلوبهم معادن أسراره، واخـتصهم من بين الأمة بطوالع أنواره، فهم الغـياث للخلق» وماذا بقي لله إذا كـان هؤلاء غياثا للخلق؟! وماذا للصـحابة من طوالع الأنوار ومعادن الأسرار إذا كان هؤلاء وحدهم كذلك؟ ثم يقول: «ورقاهم إلى محال المشاهدات بما تجلى لهم من حقائق الأحدية وأشهدهم مجاري أحكام الربوبية». إذًا فهم عند القشيري أعظم مقامًا من خليل الله إبراهيم، ومن محـمد عليه الصـلاة والسلام؟! فتأمل في الأسـتاذ القشيـري وفي قوله، وفيما خلفه في رسالته، ثم اسمع إليـه ينقل في رسالته: «لا تصلح المحبة بين اثنين حتى يقول الواحد للآخر: يا أنا، المحبة سكر لا يصحو صاحبه إلا بمشاهدة محبوبه» انظر مقدمة الرسالة وص١٤٦ منها. وهذه زمزمة قديمة بزندقة الاتحاد ووحدة الشهود.

(١) في القاموس: «العلق: بالكسر» النفيس من الشيء.

(٢) وضع الصوفية بجـانب الفقهاء من المؤلف يوحي بأن هناك طريقان: طريق الفقهـاء، وطريق الصوفية، ويوحي بأن الدين فقه وتصـوف، وأن الطريقين مختلفان، وأن الفقـه والتصوف متغـايران. فما طريق الفقهاء، وما طريق الصوفية؟! وما الفقه، وما التصوف؟! إن كان أحدهما عين الآخر بطلت التسمية =

وجوب الكشف عن زندقة الصوفية وبيانها

وإن قالوا: لا تجرب بالإنكار عليه في نفسك، فليقل: وإن تركت الإنكار عليه، كنت أيضًا مجربًا في نفسي بمنابذة رسول الله ﷺ في قوله ﷺ الذي رواه مسلم عنه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: «من رأى منكم منكرًا، فليغيره بيده، فإن لم يستطع، فبلسانه، فإن لم يستطع، فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»، وفي حديث آخر لمسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه: «وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل»[1].

= وإن كان غيره، استلزم النقص في أحدهما، أعني استلزم أن يكون أحدهما لا يمثل الشريعة الإسلامية في كل أصولها وفروعها، والصوفية يزعمون أنهم يمثلون الجانب الروحي والحقائق الباطنة في الإسلام، ويدمغون الفقهاء بأنهم علماء الرسوم، في حين يقول الفقهاء عن الصوفية: إنهم يتحللون من تكاليف الشريعة بهذه الدعوى!! فأي الفريقين على بينة من قوله؟ لابد من العودة إلى الكتاب والسنة لنحكم على قيم الأشياء بما حدد القرآن من مفاهيم لهذه القيم، وثمت نجد أمين الله جبريل يسأل الرسول: ما الإسلام؟ ثم: ما الإيمان؟ ثم: ما الإحسان؟ ونجد الرسول ﷺ يجيب إجابة واضحة صريحة لا لبس فيها ولا غموض، محددًا هذه الحقائق العليا تحديدًا جليًا مشرقًا، فلنجعل قلوبنا ونياتنا وأعمالنا مظهرًا لها في صدق وإخلاص، ولندع تلك التفريعات، والتقسيمات، والتسميات، لنستمد معارفنا عن الدين من الكتاب والسنة، فلا تستبد بنا حيرة، ولا يعصف بنا شك ولا يستعبدنا بعض خلق الله.

(١) بات المنكر عند بعض الناس هو النهي عن المنكر، ولبعدهم عن الكتاب والسنة حالت في أذهانهم قيم الأشياء، فالدعوة إلى الحق عندهم رغاء بالباطل، والاعتصام بالكتاب والسنة جمود ينافي قانون التطور، والمحافظة على تراث الإسلام الروحي مادية صماء، والحكم بما أنزل الله رجوع إلى وحشية القرون الوسطى، وانتباذ لسماحة القانون الإنساني. هذا في ناحية قيم الخير، أما في ناحية الشر فالإلحاد حرية فكرية، والعصبية المذهبية تقديس للأئمة، وعبادة القبور والجيف محبة لأولياء الله، والمجوسية قداسة روحانية، ومعارج ربانية، وهي الصوفية، والتبرج المتلطخ بدماء الأعراض مدنية حديثة، وأمس قبل ثورة الجيش على الطغيان كانت مساندة الطاغوت والسجود له ولاء واجب مقدس!! هذا فهم المسلمين لقيم الأشياء، يؤازرهم في هذا - ويا أسفاه - بعض العلماء، أو من يسميهم الناس بهذا. ثم تعال وانظر إلى ما كان يحدث من قبل، حاولت بعض الحكومات في عهد الطاغية تعديل قانون الانتخاب!! فماذا حدث؟ قامت قيامة من يسمون أنفسهم بفقهاء القانون، وتنادوا بالويل والثبور!! في حين كان كل رئيس حكومة يعتدي في كل لحظة على كتاب الله، وينتهك =

وقد صرح العلماء بأن من خاف على أحد أنه يقع في هلكة يجب عليه إنذاره، ولو كان في الصلاة ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ (سورة العنكبوت: ٤١).

الجاهلية في الصوفية

على أنهم تابعون في هذا التحريف سنة الجاهلية في قولهم لنوح ﷺ ما أجابهم عنه بما حكاه تعالى عنه في قوله: ﴿ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلا تُنظِرُونِ ﴾ (سورة يونس: ٧١). ثم قولهم لهود ﷺ، وقوله لهم ما حكاه تعالى بقوله: ﴿ إِن نَّقُولُ إِلاَّ اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ (٥٤) مِن دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لا تُنظِرُونِ (٥٥) إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَابَّةٍ إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (سورة هود: ٥٤-٥٦).

ثم قولهم لإبراهيم ﷺ كذلك: ﴿ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ[١] أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلاَّ أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلا تَتَذَكَّرُونَ (٨٠) وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم[٢] بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٨١) الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم

= الحرمات في جرأة مستعلنة وقحة، ويستعبد عباد الله للطاغية الظلوم الغشوم، ويقدم للطاغوت قرابينه: فضيلة مذبوحة، أو رذيلة تغري بإثمها، أو عرضًا كان يرف حياء ويتألق قدسية. كان كل هذا يحدث وغيره فما كنت ترى من الشيوخ والصوفية إلا ابتهالاً إلى الله أن ينصر الطاغية، كانوا كلما استنجد بهم الطاغوت لمساندته هبوا سراعًا هبوب الوثنية إلى هبل، يحلون له ما حرم الله، ويرتلون بين يديه طقوس العبادة، وعلى فمه تتلمظ الفواحش، وعلى أنيابه مزق من الأعراض، ويقولون له: حفظك الله ذخرًا يا أمير المؤمنين!! فيا أبطال الثورة على الطاغوت: إن أسمى ما تحققون من خير هو الجهاد في سبيل أن يفهم الناس قيم الأشياء على حقيقتها، فيؤمنوا بالخير خيرًا، وبالشر شرًا، وثمت تجدون محكومين يتجاوبون مع الحاكمين في صدق ومحبة، وفي الكتاب والسنة الحق، وهدى الدين والدنيا.

(١) ساقط من الأصل.

(٢) ساقط من الأصل.

مُهْتَدُونَ (٨٢) وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ (سورة الأنعام: ٨٠-٨٣).

وقال كفار قريش لزِنِّيرة الرومية رضي الله عنها لما أسلمت[١]، فعميت: «ما أعماها إلا اللات والعُزَّى فرد الله عليها بصرها»، وقالت ثقيف: «والله لا يستطيع أحد أن يخرب اللات، فلما أخربوها، قالوا: والله ليغضبن الأساس»، وقال اليهود لما مات أبو أمامة أسعد بن زرارة رضي الله عنه: «لو كان نبيًا ما مات صاحبه» إلى أمثال هذه الترهات.

دفع اعتراض

وإن قالوا استخفافًا لضعفاء العقول: إن هذا الرجل[٢] له ما يزيد على مائتي سنة ميتاً، فما للناس يقلقونه في قبره؟ تلك أمة قد خلت. فقل - بعد التأسي بفعل الله بفرعون وأضرابه[٣]: هذا الكلام {٨٢} لنا عليكم، فإنه لو كان حيًا لظن أن الكلام فيه لعداوة، أو حظ من الحظوظ الدنيوية، وحيث انتفت التهم كلها، كان الكلام بسبب ما خلفه من كلامه الذي أقر الذابون عنه أن ظاهره خبيث حتى احتاجوا إلى تأويله، فلو تركوا كلامه تركنا الكلام فيه، فمن غض منه علمنا أنه ما غض - مع معاداة أكثر

---

(١) أسلمت في أول الإسلام، وعذبها المشركون عذابًا شديدًا، فاشتراها الصديق ثم أعتقها وقد عميت، فقال المشركون: أعمتها اللات والعزى لكفرها بهما، فقالت: وما يدري اللات والعزى من يعبدهما، إنما هذا من السماء، وربي قادر على رد بصري، فأصبحت من الغد، وقد رد الله بصرها، فقالت قريش: هذا من سحر محمد. عن (الإصابة) لابن حجر، و(أسد الغابة) لابن الأثير.

(٢) يعني: ابن الفارض.

(٣) يريد: أنه لو كان ذم الموتى مذمومًا مطلقًا ما ذم الله في القرآن آزر أبا إبراهيم، وابن نوح وامرأته، وامرأة لوط، وفرعون، وهامان، وقارون، ممن حادوا الله ورسوله. أما وقد جاء في القرآن ذلك، فنعلم قطعًا أنه يجب ذم الشرك، وكل مشرك. وبيان حاله حتى نأمن من الفتنة به على غير الخبير بحاله، وما مثل كفر ابن الفارض وابن عربي وأمثالهما من الصوفية كفر، وما مثل خطرهما على المسلمين خطر، فلا يمنع هلاكهما من بيان حالهما، وذم معتقدهما، والتحذير منهما ومن أمثالهما، وإن كانوا في توابيت من فضة، وتحت قباب من ذهب، وكان لهم ملايين الدراويش!!

الناس - إلا ذَبًا عن حمى الشريعة خوفًا على الضعفاء من الاغترار بهذه الظواهر، ومن حامى عنه كان ذلك قرينة دالة على أنه يعتقد ما ظهر من كلامه، وإن قالوا: «لا تذكروا موتاكم إلا بخير» رواه النسائي عن عائشة رضي الله عنها مرفوعًا، قيل: حتي يكون من موتانا[١]، وإن قالوا: «لا تسبوا الأموات فإنهم أفضوا إلى ما قدموا» رواه البخاري عنها أيضًا مرفوعًا، قيل: هذا إذا كان في أمرهم شك؛ بدليل ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ ﴾[٢]، ونحن لم نسبه، بل أخبرنا بما وصفه به العلماء الذين ثبتت ولايتهم تحذيرًا من كلامه[٣]، واتباعًا لحديث البخاري عن أنس رضي الله عنه - رَفَعَه -: «مَرُّوا بجنازة فأثنوا عليها شرًا، فقال: وجبت»، واتباعًا لإجماع الأمة في جرح من يستحق الجرح. هذا من فوائد قولنا، فليذكر الخصم للدفع عنه فائدة واحدة لنفعه، أو لنفع الدين، أو أحد من المسلمين!! وإن قالوا: ما لأهل زمانه ما أنكروا عليه؟ قيل: قد أنكروا عليه، كما مضى بيانه، وإن قالوا: ما لهم ما قتلوه؟ قيل: منعهم اختلاف الأغراض، كما منع ذلك في الباجريقي، وكما ترى الآن من هذا التجاذب، على أن القتل أيضًا لا يفيد قطع التَّعَنُّت من المتعنتين، فقد أجمع أهل زمان الحلاج الذي هو رأس هذه الطائفة الاتحادية[٤] بعد فرعون، وهم أتباع طريقته على قتله على الزندقة، كما نقله القاضي

---

(١) أي: من المسلمين الذين لم نسمع منهم في صراحة قول الكفر. ولم نر منهم في جلاء فعل الكفر، ولم يخلفوا وراءهم كتبا تطفح بالوثنية والزندقة، كأمثال طواغيت الصوفية، فإن كان من هؤلاء وجب على كل مسلم بيان معتقده، وتحذير المسلمين منهم، ودمغهم بما دمغ الله به كل فاجر كفار.

(٢) يعني: لو كان ذم الموتى مطلقًا غير جائز ما ذم الله في كتابه الحكيم أبا لهب، ونحن اليوم - وقد تقضت قرون كثيرة على هلاك أبي لهب - ما زلنا، وسنظل حتى قيام الساعة نقرأ قول الله ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾.

(٣) أي: من كلام ابن الفارض، والمؤمن الحق ليس في حاجة إلى شهادة عالم يشهد على مثل ابن الفارض بالكفر، فشعر الصوفية وكتبهم تنزو بقبيح الوثنية المجرمة، وتشهد عليهم أنهم فئة يبغضون الله ورسوله ويحبون القبور، ورمم القبور!! وبهذه الشهادة التي لا يمكن الطعن فيها، نحكم عليهم بما حكم الله به على إبليس وفرعون، وعباد العجل والأوثان، والمجرمين من قوم لوط.

(٤) هو حلولي وليس اتحاديًا.

عياض في آخر كـتابه الشفاء الذي هو من أشهر الكتب وأعظمـها، ونقل الأستاذ أبو القاسم القشـيري رأس الصوفية في زمـانه في الرسالة عن أحد مشـايخنا عمرو[١] بن عثمـان المكي تكفيره للحلاج وذلك في باب «حـفظ قلوب المشايخ»[٢]. وقتل بسيف الشرع، وأنت تجـد الآن هذه الطائفة، وأتباعـهم من العامة، يـعتقدون فـيه اعتـقادًا عظيمـًا، وينابذون أهـل الشـريعة، وذلك يـدل على أنهم إنما يقولـون: نؤوِّل تَـقِيَّةً، وخوفًا من السـيوف المحمدية، وأنهم يعـتقدون الكلام على ظاهره، فاسـتوى حينئـذ القتل على الزندقة وعدمه ﴿ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ (سورة غافر: ٣٣).

---

(١) توفي سنة ٢٩١هـ.

(٢) نص ما ذكره القشيري: «ومن المشهور أن عمرو بن عثمان المكي رأى الحسين بن منصور الحلاج يكتب شيئاً، فقال: ما هذا؟ فقال: هو ذا أعارض القـرآن، فدعا عليه، وهجره. قال الشيوخ: إن ما حل به بعد طول المدة كان لدعاء ذلك الشيخ عليه»، والقشـيري لم يذكر هذا انتقاصـًا من مقام الحلاج، وإنما ذكره تأييدًا لما يهدف إليه الصوفية، وهو اسـتعباد قلوب أتباعهم لأهوائهم، ألا تراه يقرر أن الحلاج لم يحل به القتل إلا من دعـاء شيخـه عليه، لا لأنه كان يعـارض القرآن، فغـضب الله عليه!! وألا تراه يرويه في باب «حفظ قلوب المشايخ»؟! ولذا يقول في رسالته: «من رضي عنه شيخه لا يكافأ في حال حياته، لئلا يزول عن قلبـه تعظيم ذلك الشيخ، فإذا مات الشيخ أظهر الله عـزَّ وجلَّ عليه ما هو جزاء رضاه، ومن تغير عليه قلب شيخه لا يكافأ في حـال حياة ذلك الشيخ، لئلا يرق له، فإنهم مجبولون على الكرم، فإذا مات ذلك الشيخ فحينئذ يجد المكافأة بعده»، ويقول: «من خالف شيخه لم يبق على طريقته، ومن صحب شيخًا من الشيوخ ثم اعترض عليـه بقلبه فقد نقض عهد الصحبة، ووجبت عليه التوبة!! على أن الشـيوخ قالوا: حقـوق الأستاذين لا توبة عنهـا!!!» انظر ص١٥٠-١٥١ من الرسالة للقشيري في باب حفظ قلوب المشايخ.

ولكن أرأيت إلى الأستاذ القشيري كيف يقـرر وجوب التوبة حتى على من همس في قلبه اعتراض على شيخه، بل يقرر أن التوبة من هذا لا تقبل!! ولذا يقول الشعـراني: «من أشرك بشيخه شيخًا آخر فكأنما أشرك بالله» يريد الـصوفية سلفـًا وخلفًا أن يكون الناس عـبيد أهوائهم ونزواتهم، ويخـوفونهم بغضب العبيد، لا غضب رب العالمين، ويشـرعون لهم، أن الغاية من الإيمان إرضاء هوى الشيوخ، لا إرضاء مالك الملك سبحانه!!!.

نصيحة

ولا تهتموا أيها الإخوان بكثرة كلام أتباع الشيطان، وهجائهم لنا بالإثم والعدوان، فهم: إنما يقولون ذلك في الغيبة، ولهم عليه الإثم والخيبة، فإن الله تعالى قد ضمن النصرة، وإن كان مع المُبْطِل الكثرة. روى [٨٣] الشيخان عن معاوية رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله، لا يضرهم من خذلهم، حتي يأتي أمر الله، وهم ظاهرون، وحتي يقاتل بقيتهم الدجال»، وفي رواية: «وهم بالشام»، وقال [تعالى]: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ (سورة الأنعام: ٨٢)، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (١٠) تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾ (سورة الصف: ١٠-١١)، إلى أن قال: ﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (١٣) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ فَآمَنَت طَّائِفَةٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ (سورة الصف: ١٣-١٤).

وقد قلت في حالنا وحالهم:

نصرنا سنة المختار حقا ... فهاجينا لذاك[1] الأكافر

وراموا نصر شاعرهم، فخابوا ... وضُلِّلَ سعيُهم في نصر شاعر

﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ (سورة ص: ٨٨)، ﴿إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ (سورة الأنفال: ٢٩)، ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (سورة الحج: ٤٠)، ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ (٥١) يَوْمَ لا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ (سورة غافر: ٥١-٥٢)، ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ (١٧١) إِنَّهُمْ لَهُمُ

---

(١) لعلها: ذياك، أو لذلكم. فبهذا يستقيم وزن البيت.

الْمَنصُورُونَ (١٧٢) وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ (١٧٣) فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ (١٧٤) وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ (١٧٥) أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ (١٧٦) فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ (١٧٧) وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ (١٧٨) وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ (١٧٩) سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ (١٨٠) وَسَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ (١٨١) وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (سورة الصافات: ١٧١-١٨٢).

قال مُنْشِؤها سيدنا الشيخ الإمام العالم العامل العلامة أبو الحسن برهان الدين إبراهيم البقاعي الشافعي نفع الله المسلمين بعلومه: إني فرغت [من] هذه الرسالة في مقدار يوم، وكان فراغي منها ليلة الأحد ثامن وعشرين شهر رجب الفرد الحرام سنة ثمان وسبعين وثمانمائة في مسجد «دلر رجمه العبد»[1] بالقاهرة والحمد لله رب العالمين. وصلى الله على سيدنا محمد، وآله وصحبه أجمعين.

وفرغ من كتابتها الفقير إلى رحمة ربه، سليمان بن عبد الرحيم في شهر ربيع الآخر من شهور سنة سبع وأربعين وتسعمائة من الهجرة النبوية.

[زاد الناسخ، أو غيره بعد هذا].

وممن يقول بكفر ابن عربي غير مصنف هذه الرسالة أيضًا من العلماء الشيخ إبراهيم بن داود الآمدي[2]، والشيخ أبو بكر بن قاسم الكناني[3]، والشيخ الفاضل سليمان بن يوسف الياسوفي[4] الدمشقي، والإمام الجليل علي بن عبد الله الأردبيلي[5]، والعلامة محمد بن خليل عز الدين الحاضري الحلبي الحنفي الفاضل

---

(١) كذا بالأصل.

(٢) أسلم على يد ابن تيمية، وكان دينا خيراً فاضلاً. توفي سنة ٧٩٧هـ.

(٣) ولد سنة ٦٦٦هـ قال عنه الذهبي: ديِّن حسن المحاضرة.

(٤) ولد سنة ٧٣٩ تقريبًا، كان شافعيًا، ثم حبب إليه الحديث، فاقبل عليه بكليته، وسلك طريق الاجتهاد، توفي سنة ٧٨٩هـ معتقلاً بقلعة دمشق.

(٥) ولد سنة ٦٦٧، قال عنه الذهبي: حصل جملة من كتب الحديث، وشغل في فنون وهو عالم كبير حسن الصيانة. مات بالقاهرة سنة ٧٤٦هـ .

محمد بن علي الدكالي[١] ثم المصري، والشيخ الصالح موسى بن محمد الأنصاري[٢] الشافعي قاضي حلب، وكلهم ذكر الشيخ برهان الدين إبراهيم البقاعي عن شيخه شهاب الدين أحمد بن حجر في تراجمهم ما فيه الكفاية من فضلهم وحذقهم، وعلمهم، وزهدهم وورعهم، وإنما أردت ذكر أسمائهم ليعلم أن من قال بكفر هذا الضال جماعة من العلماء غير واحد، ليحذر من مذهبه من لا يعرفه تحقيقاً، ويعلم أن جماعة من العلماء لا يتفقون على ضلالة، وهؤلاء من المتأخرين دون من لم يذكرهم من المتقدمين، كالشيخ عز الدين ابن عبد السلام، وصاحب المواقف وغيرهما، وكذلك الشيخ الجليل أفضل المتأخرين علامة زمانه الشيخ علاء الدين البخاري، وقد عمل في الرد على ابن عربي غبى وبيان كفره رسالة شافعية مُسَمَّاة بـ (فاضحة الملحدين، وناصحة الموحدين). ومن أراد البحث والرد على هذه الطائفة فليطالعها. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

وصلى الله وسلم وبارك على عبد الله ورسوله محمد، خاتم النبيين، وسيد ولد آدم أجمعين.

عبد الرحمن الوكيل
عضو جماعة أنصار السنة المحمدية

---

(١) هو أبو أمامة ابن النقاش. وقد سبقت ترجمته.
(٢) ولد سنة ٧٤٨، ولي قضاء حلب عن الظاهر برقوق، وتوفي سنة ٨٠٣هـ.


الفهرس



الموضـــوع	صفحة

الموضـــوع | صفحة

الموضـــوع | صفحة

الموضـــوع — صفحة

الموضـــوع | صفحة

الموضـــوع | صفحة

الموضـــوع | صفحة

الموضـــوع | صفحة

